دولة ليبيا
وزارة الثقافة والتنمية المعرفية

# مجلة
# مركز البحوث والدراسات الأفريقية

## اتحاد جنوب افريقيا ودوره في الإستيطان الصهيوني في فلسطين (1948 - 1917)

## التمكين التربوي للقدس في المناهج الدراسية (المملكة المغربية أنموذجا)

مجلة فصلية
بحثية محكمة تعتني
بدراسات وشؤون
القارة الأفريقية
الإيداع القانوني
202220

يناير 2022
العدد الثالث عشر

# مجلة البحوث والدراسات الأفريقية

**مجلة فصلية بحثية محكمة تعنى بقضايا ومشكلات القارة الأفريقية**

**تصدر عن مركز البحوث والدراسات الأفريقية - طرابلس ليبيا**



**رئيس المركز:** **د. أحمد الشيباني**

**المشرف العام:** **أ. محمد سالم بن سعيد**

**رئيس التحرير:** **أ.د فتحي مفتاح سليمان خليفة**

**مدير التحرير:** **أ. عز الدين مختار فكرون**

## أعضاء هيئة التحرير

أ.د. إيدير مصطفى أغنيات  د. عمر إبراهيم المنشاز
د. طه محمد والي  د. ناصر ساسي الطويري
د. يحيى عمر القويضي  د. عبد السلام ولد يحيى
إخراج وضبط : د. رمضان بشير امحمد

## اللجنة الاستشارية

أ.د مفتاح بلعيد غويطة (ليبيا)  أ.د محمد المختار جي (السنغال)
أ.د الأمين عمر أبوفارس (ليبيا)  أ.د أمينة العريمى (الإمارات)
أ.د فتحي عمر نصار (فلسطين)  أ.د فتحي محمد أميمه (ليبيا)
أ.د سمير أبو زويتـــة (المغرب)  أ.د عبد القادر التومي (الجزائر)
أ.د. حامد الشريف بركان (ليبيا)  أ.د. مارين الكسندر مارينوف (بريطانيا)
د. رمضان بشير امحمد (ليبيا)

**الآراء والأفكار الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها**

**والمجلة ترحب بمناقشة تلك الآراء وإثرائها**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ
آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

الآية ﴿ 1 ﴾

من سورة الإسراء

# الفهرس


| ر. ت | الموضوع | المؤلف | الصفحة |
|---|---|---|---|
| * | الافتتاحية | رئيس التحرير | و |
| .1 | اتحاد جنوب أفريقيا ودوره في الاستيطان الصهيوني في فلسطين (1917-1948) | د. بدوى رياض عبد السميع | 1 |
| .2 | مدينة القدس في المتخيل الإسلامي وثنائية تقديس المكان والزمان | د. كرايس الجيلالي<br>د. المقروض زين العابدين | 34 |
| .3 | مدينة القدس في كتب الرحلات المغربية خلال التاريخ الحديث والمعاصر | د. ربيع عوادي | 63 |
| .4 | صفقة القرن وأثرها على مستقبل القضية الفلسطينية | د. محديد حميد | 86 |
| .5 | تداعيات تهويد القدس على تسوية القضية الفلسطينية في ظل المتغيرات الإقليمية 2011-2021 | د. بهاء الدين عبد ربه خلف الله | 124 |
| .6 | الفاتيكان وقضية القدس 1948-1967 | د. خالد مكرم فوزى | 167 |
| .7 | القدس الشريف في الأديان السماوية (مدينة المقدسات) | د. خمار نريمان | 189 |
| .8 | القدس الشريف بين الأديان السماوية الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام | د. حمزة نقاش<br>أ. هدى مدني | 224 |
| .9 | الصرة السلطانية المرسلة إلى القدس الشريف خلال العهد العثماني | د. بوجلال قدور | 256 |
| .10 | الجزائر والقدس ومشاريع تسوية القضية الفلسطينية | د. رفيق تلي | 283 |
| .11 | الأوضاع الاقتصادية في القدس: التطورات والمسارات | د. سالي محمد فريد | 309 |
| .12 | التطورات السياسية بالقدس الشريف ما بين 1938-1950: دراسة من خلال صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين | د. لهلالي سلوى<br>أ.د. لهلالي إسعد | 337 |
| .13 | دير السلطان ودلالات التعايش والسلام في بيت المقدس زمن الحروب الصليبية | د. محمد جاب الله على | 359 |
| .14 | التمكين التربوي للقدس في المناهج الدراسية: المملكة المغربية أنموذجا | د. عبد الجليل شوقي | 391 |

# تقديم

تعود جذور قضية فلسطين إلى أكثر من قرن من الزمان، صحيح أنّ إعلان احتلالها جاء بعد النكبة عام **1948**، التي تمّ فيها طرد **700** ألف فلسطيني من منازلهم ليحتلّها الإسرائيليون، لكنّ الحديث حول فلسطين والمحاولات الحثيثة لاحتلالها كان أقدم من ذلك، منذ نهايات القرن التاسع عشر. دفع تصاعد الصراع بين الإسرائيليين والفلسطينيين الأمم المتحدة إلى التحذير من مخاطر "اندلاع حرب شاملة" في المنطقة. وعلى الرغم من أن هذا الصراع هو صراع مستمر منذ عقود إلا أن موجة العنف الأخيرة جاءت في أعقاب السنوات الماضية التي عرفت موجات من التوترات المتصاعدة في القدس من جانب الكيان الصهيوني الغاصب. على المستوى الاستراتيجي، وجدت القوى الكبرى في أوروبا الغربية الأجواء مناسبة بعد ضعف الدول العثمانية لتقسيم العالم العربي، والتفوق عليه استراتيجيًا؛ وذلك لاستباق نهوض دولة إسلامية قوية بعد سقوط الخلافة العثمانية. وضعف هذه الأخيرة هو الذي شجع ظهور الحركة الصهيونية، رغم ما يحفظ للدولة العثمانية من دفاع عن فلسطين وأهلها. كما أنه منذ القرن التاسع عشر، وفلسطين مركز الأطماع الاستعمارية الأوروبية، خصوصًا البريطانية منها: إذ كانت التنافس الاستعماري على أشده بين فرنسا وبريطانيا.. وفي هذا السياق، فكرت بريطانيا في فلسطين، كحاجز بين الجناحين الآسيوي والإفريقي للعالم الإسلامي، ومهمة هذا الحاجز هو منع واستباق أي محاولة توحيد للبلدان الإسلامية، والعمل على شغل هذه الأخيرة بنزاعات مفتعلة. وهنا نؤكد على الحقيقة التالية: إن الاحتلال الصهيوني لفلسطين، هو في العمق احتلال لحلم الوحدة العربية والإسلامية، وإجهاض لأي نهوض حضاري مستقبلي للأمة الإسلامية. وينبغي التعامل مع القضية الفلسطينية على هذا الأساس، وليس باعتبارها مشكلة للشعب الفلسطيني وحده. وظلت فكرة الدولة الحاجزة كمخطط استراتيجي مأمول لبريطانيا،

تحاول تحقيقه تدريجيًا؛ فافتتحت قنصلية لها بفلسطين عام **1838**، وكانت أول مهمة للقنصل حماية اليهود هناك. وبعد نجاح بريطانيا في السيطرة على مصر سنة **1882**، أصبحت في حاجة إلى حماية الجناح الشرقي لقناة السويس، والتي كانت ممرا استراتيجيًا للمواصلات التجارية مع آسيا والهند خصوصًا. مع هذه التطورات، سيحظى المشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين بحافز مزدوج: ديني عند اليهود الصهاينة والمسيحيين البروتستانت؛ واستراتيجي عند الدول الغربية التي لا ترغب في دولة إسلامية موحدة، وعند بريطانيا لتحقيق نفس الهدف، وأيضًا لضمان تفوقها الاقتصادي والاستراتيجي على باقي القوى الاستعمارية. وأثناء الحرب العالمية الأولى، كثفت بريطانيا جهودها لتحقيق مشروع الدولة الحاجزة، فشجعت مختلف الثورات العربية الهادفة للخروج عن الدولة العثمانية، كما عمدت إلى التفاوض مع المنظمات الصهيونية لاستخدام النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية للضغط على هذه الأخيرة لمشاركة في الحرب العالمية الأولى لصالح الحلفاء، وقد نجح اللوبي اليهودي الأمريكي في ذلك، لتنضم الولايات المتحدة إلى الحرب بدءا من آذار/مارس **1917**. ونتيجة لهذا الدعم الصهيوني لبريطانيا، حصل الصهاينة في المقابل على وعد مغر ومشؤوم من وزير الخارجية البريطاني "جيمس بلفور" الذي صرح في (**1917/11/2**) بتعهد بريطانيا بإنشاء وطن قومي لليهود بفلسطين. وهو ما اشتهر تاريخيا "بوعد بلفور"، ومن غرابة هذا الوعد، تعارضه مع الاتفاقيات التي كانت بريطانيا قد التزمت بها، كما أنه وعد بمنح أراض لم تمتلكها بريطانيا بعد حينها! ومنذ إعلان هذا الوعد عمت الاحتجاجات جميع أنحاء فلسطين وبعض الأقطار العربية، ولم يطل الوقت ببريطانيا لتنفيذ هذا الوعد، إذ دخلت جيوشها القدس بتاريخ (**11** كانون الأول/ ديسمبر **1917**) وحدثت على أثر ذلك صدامات بين العرب واليهود.. على مستوى آخر، كانت المفاوضات السرية تجري على قدم وساق بين بريطانيا وفرنسا (انضمت إليهما روسيا

لاحقًا) لتقسيم المنطقة العربية بينهما؛ وهي المفاوضات التي أدارها كل من جورج بيكو عن فرنسا ومارك سايكس عن بريطانيا. وتوجت باتفاقية "سايكس- بيكو" بتاريخ أيار/ ماي **1916**. وبموجب الاتفاقية، حصلت فرنسا على الشام (لبنان وسوريا) ومنطقة الموصل وجنوب الأناضول، بينما حصلت بريطانيا على معظم العراق والأردن ومنطقة حيفا في فلسطين؛ ونظرا لكون كل من فرنسا وبريطانيا تطمعان في الاستحواذ على فلسطين، فقد اتفقا على جعل فلسطين منطقة دولية. تأتي الأوراق البحثية في هذا العدد للإحاطة بالقضية الفلسطينية من مختلف الجوانب وابراز التحديات والرهانات وتسلط الضوء على الإرهاب الصهيوني الممارس في فلسطين ضد الشعب الأعزل صاحب الأرض والذي يقاوم دفاعا عن حقه المشروع في الحرية والانعتاق.

رئيس التحرير

# مجلة البحوث والدراسات الأفريقية

## مقالات العدد الخاص بفلسطين

**فبراير** 2022

# اتحاد جنوب أفريقيا ودوره في الاستيطان الصهيوني في فلسطين (1917- 1948)

- د. بدوى رياض عبد السميع
- جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية

لعب اتحاد جنوب أفريقيا [1] دورًا مهمًا في دعم ومساندة القضية الصهيونية والاستيطان الصهيوني في فلسطين، على بعد المسافة المكانية بينهما بمقاييس تلك الفترة، وذلك عبر فترة طويلة امتدت منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى وصدور وعد بلفور المشئوم وإلى قيام دولة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين المحتلة، من خلال الرجل السياسي الأول في الاتحاد وهو الجنرال سمتس[2] Smuts. ولما لا وقد كان سمتس قائدًا للقوات البريطانية على

(1) اتحاد جنوب أفريقيا: هو الاسم الذى أُطلق على جمهورية جنوب أفريقيا الحالية في الفترة (1910-1961)، بعد أن قامت بريطانيا بتوحيد الوحدات الأربعة، مستعمرتى الرأس وناتال البريطانيتين وجمهوريتي الترنسفال والأورانج الحرة البويريتين، التي كونت الاتحاد منذ عام 1910. وقد ظل الاتحاد عضوًا في الكومنولث البريطاني منذ ذلك الحين حتى خروجه منه في 31 مايو عام 1961، ليتحول الاسم إلى جمهورية جنوب أفريقيا. لمزيد من التفاصيل حول البناء السياسي لجنوب أفريقيا قبل الاتحاد، انظر: بدوى رياض عبد السميع: الأرض والعنصرية في اتحاد جنوب أفريقيا (1910-1961)، سلسلة بحوث افريقية، العدد 4، مركز تاريخ مصر المعاصر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014، ص ص 27-30.

(2) الجنرال جان كريستيان سمتس J. C. Smuts: وُلد في 24 مايو عام 1870 في ضاحية غرب الكيب، في ظل أسرة ثرية. وتلقى منذ صغره تعليمًا جيدًا، ودرس القانون في جامعة كمبردج وحصل على ليسانس الحقوق عام 1892. عمل بالمحاماة في مستعمرة الرأس، وشغل منصب نائب مقاطعة في الجمعية التشريعية للمستعمرة. تولى سمتس وزارة الداخلية والدفاع والمناجم

جبهة فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى، كما شاركت فرقة من مدفعية الميدان الجنوب أفريقية South African Field Artillery في القتال هناك على تلك الجبهة[3].

وتأتى أهمية هذا البحث من أهمية القضية التي يطرحها وهى الارتباط والتعاون بين الكيانات العنصرية، للمحافظة على وجودها من ناحية وتحقيق المصالح الغربية من ناحية أخرى. كذلك، استندت العنصرية البيضاء في جنوب أفريقيا والصهيونية في فلسطين إلى أيديولوجية مشتركة مفادها سيطرة مطلقة على الأرض والثروة، وعززتها باستخدام القوة العسكرية، وبررتها بنظرية الشعب المختار ونظرية النقاء العنصري. أضف إلى ذلك، ما لاحظه من أهمية الدور الذى قام به الاتحاد في الاستيطان الصهيوني في فلسطين، ودوره كذلك

---

في الحكومة الاتحادية الأولى بعد قيام اتحاد جنوب أفريقيا عام 1910، وعمل على التقريب بين الإنجليز والبوير. تولى أيضا رئاسة الوزراء للمرة الأولى في الفترة (1919-1924)، وسار على نهج سلفه في تطبيق سياسة التفرقة العنصرية وتطبيق سياسة المعازل. وفى الفترة (1933-1939) كان الرجل الثاني في الحكومة بعد رئيس الوزراء، وتولى الوزارة مرة أخرى في عام 1939 وحتى عام 1948، بالإضافة إلى كونه فيلد مارشال بريطاني British Field Marshal. اعتبره الجميع رجل دولة من القوام الدولى، وأصبح معروفًا أولاً للجمهور البريطاني كجنرال بويرى قاوم الإمبراطورية البريطانية بجرأة في ساحات المعركة في جنوب أفريقيا. خدم سمتس في وزارة الحرب البريطانية وأصبح واحدًا من المصممين العظماء للكومنولث البريطاني. توفى في 11 سبتمبر عام 1950 عن عمر يناهز الثمانين عامًا. انظر:
Shimoni, Gideon: Jan Christiaan Smuts and Zionism, Jewish Social Studies, Vol. 39, No. 4 (Autumn, 1977), P. 269.

(3) Cooper, F. H.: Khaki Crusaders, with the South African Artillery in Egypt and Palestine, Central News Agency LTD, Cape Town, 1919, P. 12.

في قيام دولة الكيان الصهيوني في الجسد العربي، على الرغم من البون الشاسع بين فلسطين وجنوب أفريقيا بمعايير البُعد الجغرافي والمسافة المكانية.

أما الفترة الزمنية للبحث فتقع بين عامي 1917، وهو العام الذى صدر فيه وعد بلفور المشئوم لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين؛ حيث كان للاتحاد دور مهم في ذلك. أما عام 1948، فهو العام الذى شهد قيام دولة إسرائيل رسميًا على أرض فلسطين. ونحاول أن نرصد ملامح الدور الذى قام به اتحاد جنوب أفريقيا في الاستيطان الصهيوني في فلسطين، وصولاً إلى قيام الدولة العبرية، من خلال النقاط التالية:

**أولاً- اتحاد جنوب أفريقيا ودوره في إصدار وعد بلفور عام 1917:**

ارتبط المصير السياسي لاتحاد جنوب أفريقيا وللاستيطان الصهيوني في فلسطين ببريطانيا؛ ذلك أن ذات الحفنة نفسها من السياسيين هي التي قررت المستقبل السياسي لكل من جنوب أفريقيا وفلسطين: فاللورد ميلنر[4] الذى كان مندوبًا ساميًا في جنوب أفريقيا عام 1903، ولويد جورج[5]، واللورد بلفور[6]،

(4) اللورد ميلنر(1854-1925): كان رجلاً صارمًا، وذا خبرة واسعة في النواحى الإدارية، وخدم في مصر لفترة، وكان ممن أُطلق عليهم لفظ "بناة الإمبراطورية". اعتبره البوير عميلاً لتشمبرلين ورودس، اللَذَين أرسلاه ليبحث لهما عن معركة تبرر فرض السيادة البريطانية. كان ميلنر إمبرياليا مؤمنًا بدور العنصر البريطاني في العالم في قيادة الحضارة الغربية وتمدين الشعوب المتخلفة، وتركز عمله في دعم السيادة البريطانية بشكل صارم. وقد أحدث انقلابًا في أساليب المعالجة البريطانية للخلاف القومي مع الأفريكانريين في جنوب أفريقيا. لمزيد من التفاصيل، انظر: السيد فليفل: التاريخ السياسي والعنصري لمستعمرة رأس الرجاء الصالح (1853-1910)، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1998 ص194.

(5) لويد جورج (1863-1945): صهيوني متحمس للصهيونية وأحد زعماء حزب الأحرار البريطاني، عمل وزيرًا للمالية في الفترة (1905-1915) ثم تولى رئاسة الحكومة في عام

وجوزيف تشمبرلين (1836–1914)، والجنرال سمتس أسهموا في ولادة اتحاد جنوب أفريقيا في عام 1910، وفى ولادة وعد بلفور عام 1917. وقد كان سمتس قاسمًا مشتركًا بين هؤلاء وأولئك، فلولاه لانهار الاتحاد الذى قام عام 1910، ولولا مساعدته لحاييم وايزمان[7]، الزعيم الصهيوني وأول رئيس لدولة إسرائيل، لما كان تصريح بلفور[8].

وفى كلتا الحالتين كانت الفكرة هي تركيز السلطة في أيدى هؤلاء الذين "يفكرون مثلنا"، كما عبر بلفور[9]. لذا وُضعت أكثرية أفريقية تحت سيطرة أقلية من السادة البيض في اتحاد جنوب أفريقيا، وتُركت أكثرية عربية لأقلية أوروبية –المنظمة الصهيونية– في فلسطين. وكان الأساس المنطقي –جعل عدم

---

1916 أثناء الحرب العالمية الأولى. وقد استقال في عام 1922، ولم يشغل أي منصب رسمي بعد ذلك. انظر: ريجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية، ترجمة احمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة، العدد 96، الكويت، 1985، ص 109.

(6) اللورد بلفور(1848-1930): هو آرثر جيمس بلفور، سياسي ينتمى إلى الحزب المحافظين البريطاني، تولى رئاسة الوزارة في بريطانيا في الفترة (1902-1905). عمل بلفور أيضا وزيرًا للخارجية في الفترة (1916-1919) في حكومة ديفيد لويد جورج، واشتهر اسمه عندما وقّع على تصريح أصدرته حكومة بريطانيا في عام 1917، إلى رجل المال روتشيلد ينص على دعمها لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. انظر: نجلاء عبد الجواد: اليهود في جنوب أفريقيا، دراسة في الجذور والتكوين والدور، تقديم د. السيد فليفل، سلسلة الإصدارات الخاصة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2011، ص 278.

(7) حاييم وايزمان: أشهر شخصية صهيونية بعد تيودور هرتزل، لعب الدور الأهم في إصدار وعد بلفور عام 1917. كان رئيسًا للمنظمة الصهيونية العالمية منذ عام 1920 حتى عام 1946، ثم انتُخب أول رئيس لدولة إسرائيل عام 1949. انظر: www.wikpedia.en.org.com

(8) نجلاء عبد الجواد: المرجع السابق، ص 239.

(9) Stevens, Richard P.: Weizmann and Smuts, A study in Zionist-South African Cooperation, The Institute for Palestine Studies, Beirut, 1975, P. 11.

المساواة شرعية– كما وضّحه بلفور، هو، "لا تستطيع أن تعطى السكان الوطنيين في جنوب أفريقيا حقوقًا متساوية مع البيض دون تهديد البنية الكاملة للمدنية البيضاء". أو كما لاحظ اللورد كيرزون لبلفور بعيد نشر وعد بلفور فيما يتعلق بالأهداف الحقيقية لوايزمان في فلسطين: "إنه يفكر بدولة يهودية، بأمة يهودية، وبسكان خاضعين من العرب يحكمهم اليهود، وبامتلاك اليهود للأفضل من الأرض وبتوجيه الإدارة"[10].

وبالتالي كانت الخطوة الأولى في الدور الذى قام به اتحاد جنوب أفريقيا في الاستيطان الصهيوني في فلسطين، والذى جسّده الرجل السياسي الثاني فيه وهو الجنرال سمتس، هو المساهمة في إصدار تصريح بلفور Balfour Declaration عام1917، الذي ألزم بريطانيا بتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين[11]، واستخدم نفوذه في الوزارة البريطانية لدعم المشروع الصهيوني،

(10) مروان بحيرى: معانى التحالف بين إسرائيل وجنوب افريقية، مجلة قضايا عربية، العدد 7، السنة السادسة، نوفمبر 1979، ص 231.

(11) الوطن القومي Jewish National Home: هو مصطلح تواتر في الكتابات الصهيونية والمعادية لليهود، ويعنى أن اليهود لا ينتمون إلى أوطانهم وإنما إلى وطن قومى واحد هو فلسطين، التي يُشار إليها أيضا باسم "أرض الميعاد" أو "الأرض المقدسة". كما يعنى المصطلح أن البلاد التي يقيم فيها اليهود إنما هي منفى أو مهجر أو بابل. ويعنى المصطلح أيضا أن اليهود في حالة شتات يشكلون دياسبورا، وهى حالة يشعرون بها منذ هدم الهيكل على يد تيتوس. وقد ورد المصطلح في وعد بلفور، رغم احتجاجات قيادة الجماعة اليهودية في انجلترا، واكتسب شرعية سياسية منذ ذلك التاريخ. لكن مصطلح الوطن القومي مصطلح ليست له مقدرة تفسيرية عالية، إذ أن كثيرًا من الوقائع التاريخية لا تسانده. ومن الثابت تاريخيًا أن عدد اليهود خارج فلسطين فاق عددهم داخلها قبل هدم الهيكل. كما أن من الثابت أن أكبر الهجرات في تواريخ الجماعات اليهودية، والتي بدأت في أواخر القرن التاسع عشر، اتجهت إلى الولايات المتحدة، ولو كانت فلسطين وطن اليهود القومي لاتجهوا إليها. وقد بلغت نسبتهم نحو 80% من جملة المهاجرين اليهود، بل لم يعد يُشار في الأدبيات الصهيونية إلى الولايات المتحدة باعتبارها

وذلك من منطق رؤيته للمصالح البريطانية في فلسطين[12]. "لقد أكد بثبات أن الأمن الاستراتيجي للخط البريطاني الرئيسي للمواصلات الإمبراطورية عبر قناة السويس سيكون أفضل إذا كان هناك وطن يهودي مدعوم من بريطانيا مجاور له .... وعندما تم صياغة وعد بلفور، كان اعتباره الفوري هو "إيجاد صيغة توافق عليها القوى العظمى"، لإسناد ادعاء بريطانيا إلى الدور الرئيسي لمستقبل فلسطين ما بعد الحرب بالتعاون مع اليهود"[13].

كان هناك قلق خشية أن يسبق الألمان الحلفاء بكسب دعم الحركة الصهيونية العالمية بوعود من قبيل حماية تركية–ألمانية على فلسطين

---

منفى، وإنما باعتبارها وطنًا قوميًا آخر لليهود، وباعتبارها البلد الذهبي الذى يحقق تطلعات المهاجرين المادية. لمزيد من التفاصيل، انظر: عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، المجلد السادس، الصهيونية، دار الشروق، القاهرة، 1999، ص 20.

(12) يمكن أن ندرك خطورة وعد أو تصريح بلفور بإيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين إذا علمنا أن مشكلة انتقال أراضي فلسطين من يد العرب إلى غيرهم ترجع في أساسها إلى أسباب سياسية نشأت عن ذلك الوعد المشئوم، وبموجب صك الانتداب الذى تلى هذا الوعد، والذى نصت المادة الثانية منه على ما يلى: "تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي لليهود". وقد نُفذ ذلك فعلا، فقد كانت إجراءات الحكومة البريطانية تتجه دائمًا طوال مدة الانتداب إلى تحقيق هذه الغاية ومنها تسهيل اقتناء اليهود للأراضي التي يملكها العرب. وقد ساعد على ذلك إنشاء اليهود جماعات اقتصادية مختلفة استطاعت أن تجمع من طريق التبرع وغيره أموالاً طائلة لشراء الأراضي في فلسطين بأثمان لا تتفق وقيمتها، بل حصل أن اشتروا أراضي بثلاثة أو أربعة أمثال ثمنها الحقيقي. وفى هذا إغراء كبير لضعاف العزيمة من العرب أو المدينين منهم أو غير المستوطنين منهم فلسطين، فانتهزوا هذه الفرصة الملائمة لبيع أراضيهم دون تبصر ونظر بعيد إلى المستقبل. لمزيد من التفاصيل، انظر: جامعة الدول العربية: المحاضر الختامية لجلسات دور الاجتماع العادي الثاني لمجلس الجامعة، 31 أكتوبر إلى 14 ديسمبر 1945، القاهرة، 1949، ص 211.

(13) Hunter, Jane: Israel Foreign policy, South Africa& Central America, Boston, 1987, P. 21.

اليهودية؛ وبالتالي كان سمتس مؤمن بشكل ثابت بالقيمة الإستراتيجية الأساسية لفلسطين اليهودية، كما كان واحدًا من أولئك المدافعين عن وعد بلفور في مجلس الحرب البريطاني[14]. ويرى الباحث أن بريطانيا لم تكن في حاجة آنذاك إلى إقناع من سمتس أو غيره لدعم هذه المخططات الصهيونية؛ لأن دعمها كانت تخطيطًا بريطانيًا طويل الأمد سعت إليه بريطانيا، لا سيما حينما اتضحت أهمية اليهود بالنسبة لبريطانيا على وجه الخصوص في مناح كثيرة.

وعلى الرغم من أن سمتس أسهم في صياغة هذا التصريح والاعتراف بذلك من قبل أهم الساسة وأبرزهم آنذاك، فإن مساهماته لم تلق حظاً من الرواج بنفس القدر الذى لاقتها مساهمات بلفور وميلنر ولويد جورج وغيرهم، وبرغم أن أوراق سمتس ووايزمان لم تظهر هذا الدور بصورة واضحة، فإننا نجد من خلال كلام ابنه أنه لعب دورًا مهمًا في خلفيات أو كواليس هذا التصريح ومقدماته[15].

(14) Shimoni, Gideon: Op. Cit., P. 276.

(15) أوضحت الأدلة التاريخية أن فلسطين عربية، وأن تصريح بلفور الذى زعم سمتس أنه رمز للعدل والحرية وإعادة الحقوق إلى أصحابها، يعتبر تصريحًا باطلاً وليس له سند قانوني أو سابقة دولية وصدر قبل أن يصبح لبريطانيا أية صفة رسمية اعتبارية في فلسطين، ولم يأخذ في اعتباره أيًا من معطيات الحق التاريخي للشعب الفلسطيني ولم يتحدث نتيجة لضعفه عن حقوق تاريخية لليهود في فلسطين، ويخالف أحكام المادة( 20) من ميثاق عصبة الأمم التي تقر بحق تقرير المصير، ويخالف ما نصت عليه اتفاقية سايكس بيكو ذاتها بشأن فلسطين، التي تؤكد عدم جواز التصرف المنفرد بشأنها، بما يمكن أن يخلق وقائع جديدة على الأرض، كما أنه تجاهل الأكثرية العربية التي كانت تشكّل آنذاك أكثر من 92 % من مجموع السكان ويعتبرها أقلية ضمن الطوائف الأخرى. وعلى النقيض يعتبر اليهود الذين يشكلون أقل من 8% الشعب المتمتع بالمزايا المختلفة هناك. كما أنه يعتبر بمثابة بذرة جنينية لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، ومنح بريطانيا صديقة الصهاينة واليهود مهمة تنفيذه، والأخطر من ذلك منح اليهود ولو ضمنياً

وداخل الهيئات التي كانت تصيغ السياسات البريطانية، مثل مجلس الحرب، كان سمتس مدافع قوى لتوجيه الحماية البريطانية على فلسطين. حيث أبدى "يجب أن نضمن قيادة فلسطين". أي قوة أخرى ستكون خطر جدًا على المواصلات الإمبراطورية. استراتيجيا، كان سمتس مقتنع بأهمية الهجوم العسكري القوى في فلسطين. في رأيه، كانت تلك البلاد فرصة عظيمة للنصر. أي هجوم قوى هناك سيكون التهديد الأكبر الذى قد تواجهه تركيا منذ حملة جاليبولى Gallipoli Campaign، وسيعطى جبهة فلسطين أهمية كبيرة بعد الجبهة الغربية[16].

ويكمن الدافع الرئيسي في دعم سمتس للحركة الصهيونية أن الغالبية العظمى من أعضاء حزب جنوب أفريقيا (وهو حزب سمتس) من ملاك المناجم والصنّاع وأصحاب البنوك، وهى قطاعات كان لليهود وجود بارز فيها. فضلاً عن كون جنوب أفريقيا معقلاً هامًا من معاقل اليهود، ولما لا وقد كان نفوذهم السياسي والاقتصادي من الدعائم المهمة التي قامت عليها زعامة سمتس وحياته السياسية[17].

---

حق إقصاء أبناء الشعب الفلسطيني لأن إنشاء الوطن القومي الخالص يتطلب إقصاء عناصر الطوائف الأخرى. انظر: إبراهيم جلال: جان كرستيان سمتس والاستيطان الصهيوني في فلسطين (1917-1950)، مجلة بحوث الشرق الأوسط(مجلة علمية محكمة)، العدد 32، الجزء الأول، مارس 2013، ص 98.

(16) Shimoni, Gideon: Op. Cit., P. 276.

(17) سعد رزيج ايدام: العلاقات بين إسرائيل وجمهورية جنوب أفريقيا (1973-1989)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 1991، ص 5.

وقد تزامنت الأعوام الأولى لتعزيز القوة الصهيونية في فلسطين بمساعدة نشطة لنظام انتدابي بريطاني مفروض، مع الوزارة الأولى للجنرال سمتس في اتحاد جنوب أفريقيا(1919–1924)؛ حيث انتهج سياسات معادية للأفريقيين بلغت أوجها في مذبحتى بورت اليزابيث وبولهوك (1921)، وقانون شئون السكان الوطنيين الذى استثنى الأفريقيين من الحياة البرلمانية وعزلهم عن الحياة السياسية في الاتحاد، وبالتالي ربما كان سمتس في حاجة لدعم الأقلية اليهودية في جنوب أفريقيا[18].

وفى الوقت ذاته جدّ في طلب مساعدة الجالية اليهودية الجنوب أفريقية، فيما قدم دعمًا كبيرًا للمنظمة الصهيونية العالمية. وتكلم سمتس في جوهانسبرج في نوفمبر عام 1919، فأوضح رأيه في الرابطة المشتركة بين ثقافة البوير في جنوب أفريقيا والتقليد اليهودي حسب تفسيره. فقال في خطاب موجه إلى مجلس النواب اليهودي والاتحاد الصهيوني لجنوب أفريقيا: "لا حاجة إلى تذكيركم بأن الشعب الأبيض لجنوب أفريقيا، وبخاصة السكان الهولنديين الأكبر سنًا، ترعرعوا بصورة تامة تقريبًا على التقاليد اليهودية"، وأضاف "إننا نقف معًا على منصة مشتركة، أعظم منصة روحية عرفها العالم. على تلك المنصة أريد أن نبنى مستقبل جنوب أفريقيا"[19].

(18) مروان بحيرى: العلاقة بين جنوب أفريقيا والصهيونية وإسرائيل، مجلة قضايا عربية، العدد 3، بيروت، 1981، ص 47، سعد رزيج ايدام: المرجع السابق، ص 5.
(19) ريجينا الشريف: مرجع سابق، ص 170.

وهكذا لأكثر من ثلاثة عقود أيدت جنوب أفريقيا ممثلة في الجنرال سمتس القضية الصهيونية، سواء كان في الحكم أو خارجه، مستخدمًا النفوذ الكبير الذى مارسه في أروقة السلطة البريطانية ليعزز هدفها. وكان بوسع وايزمان أن يعتمد دومًا على استجابة سريعة وفعالة لنداءات المساعدة الملحة، واشتملت هذه أولاً وقبل أي شيء آخر على وعد بلفور وما تبعه؛ إذ قام في عام 1920 بمحاولة مشتركة بالتعاون مع ويزامان لمد الحدود الشمالية والشرقية لانتداب فلسطين، بهدف توسيع إمكانات الاستيطان اليهودي إلي نهر الليطاني في لبنان ووراء نهر الأردن[20]. ودافع سمتس بحماس عن السياسة الصهيونية للهجرة واسعة النطاق، والتي جري تنفيذها في فلسطين مع تجاهل كامل لسكان البلاد الأصليين، ولطاقة البلاد علي الاستيعاب، فضلا عن دعوته المستمرة لجمع الأموال لتنفيذ المشروع الصهيوني[21].

وهكذا لعب اتحاد جنوب أفريقيا من خلال الجنرال سمتس دورًا كبيرًا في إصدار وعد بلفور، الذى أسس لإنشاء الوطن اليهودي القومي في فلسطين. وقد اعترف قادة إسرائيل بعد ذلك بأهمية التأييد الصادر عن اتحاد جنوب أفريقيا في عام 1917.

وقد قدم سمتس دعمًا سياسيًا مهمًا أثناء انتفاضات الفلاحين الفلسطينيين ضد التهديد الصهيوني، مثل ثورة يافا عام 1921، والهجوم المنسق علي

(20) Stevens, Richard P.: Op. Cit., P. 34.
(21) مروان بحيرى: معانى التحالف بين إسرائيل وجنوب أفريقية، مرجع سابق، ص 233.

المستوطنات الصهيونية في القدس والخليل وصفد عام 1929، والثورة الوطنية عام 1936، وكان تدخله في أعلى المستويات، من خلال وجوده في الحكومة البريطانية، لتقويض القضية العربية الفلسطينية ومحاولاته الناجحة لإحباط بدء وتنفيذ سياسة انتداب منصفة والحيلولة دون اتجاه السياسة البريطانية إلي إحداث توازن بين العرب واليهود، كانت حاسمة في المحافظة على المكاسب الصهيونية، وخاصة في مجال الهجرة والحصول علي الأراضي. كما حاول ويزامان وسمتس إبراز القومية العربية كخطر يهدد المصالح الإمبريالية[22].

**ثانيًا- جهود الاتحاد في الفترة (1924-1939):**

لم تترك حكومة اتحاد جنوب أفريقيا فرصة مواتية إلا واستغلتها في دعم وتأييد قضية الاستيطان الصهيوني في فلسطين؛ إذ لم تتأثر هذه المسألة بخروج سمتس من الوزارة. ففي 4 أيلول (سبتمبر) عام 1926 صدر عن حكومة جنوب أفريقيا التصريح التالي "إن حكومة جنوب أفريقيا، التي تتابع باهتمام وتعاطف جهود المنظمة الصهيونية في سبيل تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، تتمني لها النجاح التام في مشروعها وتؤكد أنها ستساندها بكل قوة بواسطة مندوبيتها في عصبة الأمم أو بأية وسيلة أخرى"[23].

(22) سعد رزيج ايدام: مرجع سابق، ص 6.
(23) ريتشارد ب. ستيفنز و عبد الوهاب المسيرى: إسرائيل وجنوب أفريقيا، وزارة الإعلام، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة (رقم 724)، القاهرة، (د.ت)، ص 124.

وعندما أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض في أكتوبر/تشرين الأول عام 1930، والذى أعلنت فيه ضرورة وقف الهجرة اليهودية وشراء اليهود للأراضي الزراعية، نظرًا للاضطرابات التي نشبت في فلسطين، تدخل سمتس لدي الحكومة البريطانية بوصفه أحد المسئولين عن وعد بلفور للعدول عن موقفها، حيث عبر عن شعوره بالقلق العميق بسبب الوضع في فلسطين، والذي اعتبره تراجع عن الإعلان الذي يمثل وعد قاطع ونهائي للعالم اليهودي بـ"وطن قومي لهم"[24].

وفى سنة 1934 كوّن يهود اتحاد جنوب أفريقيا هيئة أو شركة استثمارات أفريقيا–إسرائيل Africa-Israel Investments لشراء الأرض في فلسطين. وقد امتلكت تلك الشركة أو الهيئة (استثمارات أفريقيا–إسرائيل) المملوكة لبنك لومى الإسرائيلي Israel's Bank Leumi عقارات سكنية وصناعية ممتازة. وقد ظل الجنوب أفريقيون كأقلية حملة أسهم أو مساهمون وبيعت سندات الشركة في جنوب أفريقيا. كان لدى بنك لومى "الإسرائيلي" نفسه حوالى 1000 مستفيد (حملة أسهم) stockholders من جنوب أفريقيا[25].

وفى أواخر عام 1939، اعتراضا على التحول المؤيد للعرب في السياسة البريطانية، شدد سمتس على توجيه السيطرة البريطانية على فلسطين لضمان

(24) Stevens, Richard P.: Smuts and Weizmann, Journal of Palestine Studies, Vol. 3, No. 1, 1973, P. 41.
(25) Hunter, Jane: Op., Cit., P. 22.

كسب يهود العالم، خصوصًا في الولايات المتحدة. فقد أبرق إلى وزير المستعمرات البريطاني مالكولم ماكدونالد Malcolm MacDonald، قائلاً:

"فى حالة الحرب في سنة 1917 تم إصدار وعد بلفور لضمان دعم يهود العالم لقضية الحلفاء. هل مثل هذا الدعم سيكون أقل أهمية في الأزمة القادمة؟ ... هل هذا وقت إظهار الحكومة البريطانية العبث بوعد بلفور؟ ... متى جذبت مشكلة اللاجئين عطفًا عالميًا واسعًا؟"

استمر سمتس في تذكير ماكدونالد أنه في عام 1917 طُلب إلى الولايات المتحدة الموافقة على وعد بلفور. وتساءل، هل موافقتها ضُمنت بنفس الطريقة للسياسة الحالية؟ مشددًا على أن "دعم يهود الولايات المتحدة للقضية البريطانية كان اعتبارا مهما جدا"[26].

وبرغم الموقف البريطاني الداعم لليهود منذ تصريح بلفور، فمع نهاية عام 1939، ونتيجة للوضع المتخاذل من جانب بريطانيا فيما يتعلق بدعمها مطالب اليهود من وجهة نظر سمتس، نجده قد اتجه نحو الولايات المتحدة الأمريكية، وطالبها بضرورة الوقوف بجانب اليهود ومطالبهم في فلسطين[27].

مما سبق يتضح أن سمتس كان انتهازيًا ومدركًا لتطور السياسة الدولية واختلاف موازين القوى الدولية، فعندما أدرك أن مركز القوة وراء المشروع الصهيوني سينتقل من لندن إلى نيويورك، آثر أن ينضم إلى الأقوى الذى سيجد

(26) Shimoni, Gideon: Op. Cit., P. 277.
(27) Ibid.

لديه مبتغاه ويستطيع من خلاله الوصول إلى مآربه وتحقيق مطالبه المتعلقة باليهود في فلسطين. كما أن الحركة الصهيونية نفسها ولت وجهها شطر الولايات المتحدة الأمريكية تنشد العون والدعم باعتبارها القوة البازغة والعالمية الجديدة[28].

**ثالثًا- تدفق رؤوس أموال يهود الاتحاد إلى فلسطين:**

على الصعيد الاقتصادي والمالي، كان للعلاقة المالية الوثيقة بين يهود جنوب أفريقيا والمشروع الصهيوني في فلسطين على مر السنين، فائدتها في إبراز الدور الخاص الذى لعبته رؤوس الأموال المتدفقة من جنوب أفريقيا في مشروع إنشاء المستعمرات اليهودية. وقد استطاع سمتس عن طريق الاعتراف بهذه العلاقة وتشجيع استمرارها أن يربط مصيره السياسي بالطائفة اليهودية بطريقة تتفق تماما مع تأييده التقليدي لأقوى المصالح الرأسمالية في البلاد.

لقد قدم يهود جنوب أفريقيا مساهمة مهمة لصندوق الاستيطان اليهودي في فلسطين بلغت 100 ألف دولار في السنة، أو بمعدل دولار للرأس من السكان سنويًا. ويعتبر هذا اكبر مبلغ بشكل متناسب عن أى مبلغ يأتي من اليهود الآخرين. بالإضافة إلى ذلك، تستقبل الجماعة اليهودية نداءات ثابتة وتقدم استجابات ثابتة لأغراض معينة في فلسطين[29].

(28) إبراهيم جلال: مرجع سابق، ص 106.
(29) Bentwich, Norman: Jewish Life in British South Africa, Jewish Social Studies, Vol. 4, No. 1, Jan., 1942, P. 73, P. 77.

لقد مولت الأموال اليهودية شركة جنوب أفريقيا للمشروعات الفلسطينية (بينيان) South African Palestine Enterprise (Binyan)، التي لم تكن مجرد وسيلة لتأييد جنوب أفريقيا للجهود الصهيونية فحسب، وإنما كانت عملاً تجاريًا مضمونًا أيضا. وعلى حد قول برنارد الكسندر Bernard Alexander، أحد زعماء الصهيونيين في جنوب أفريقيا، كانت الصهيونية في نشاطها المعبر عنه بلغة المساعدة العملية هي أبرز خصائص الطائفة اليهودية في جنوب أفريقيا، رغم أن الوضع المادي المزدهر لها كان ييسر لهم إطلاق العنان لهذه النزعة[30].

وقد أشار الكسندر إلى أن "النشاط العملي" الصهيوني جنوب أفريقيا قد دخل مجالاً جديدًا ذا أهمية حيوية. ففي خلال 15–20 عامًا السابقة لقيام الدولة، بدأت شبه هجرة صهيونية من جنوب أفريقيا. وعلى الرغم من أن عدد مواطني جنوب أفريقيا السابقين في فلسطين كان ضئيلاً في سنة 1947، إلا أنه كان ملموسًا كما كان آخذًا في الازدياد بصورة مطردة رغم كل العقبات التي كانوا يلاقونها في دخول فلسطين. وكانت المستعمرات في كافة أنحاء فلسطين تضم روادًا من جنوب أفريقيا، فكان يوجد جنود سابقون في أقصى الشمال، وشبان في منظمة الحارس الفتى في النقب Negev، وقادة شباب سابقون في الحولة Huleh. وكان مهاجرو جنوب أفريقيا منتشرين هنا وهناك يديرون مزارع

(30) (Stevens, Richard P.: Op. Cit., P. 50.

خاصة، وفى المدن كان هناك عدد كبير من رجال الأعمال ومن المهنيين، كما كانت هناك نساء يزاولن الأعمال التجارية والمهنية أيضا، وكان الجميع يقومون بعمل رائد ويدعمون في الوقت نفسه الرابطة بين جنوب أفريقيا و"أرض إسرائيل" Eretz Israel. وفى نفس الوقت كانت شركات جنوب أفريقيا العديدة والنشيطة تمارس "صهيونية عملية"، وذلك بإقامة وصيانة مشروعات إنتاجية أعدت لدعم التنمية الاقتصادية في فلسطين ولتوسيع مجال الاستيطان والاستيعاب[31].

أما بالنسبة للأفراد في جنوب أفريقيا ممن كانوا يستثمرون أموالهم في فلسطين، فقد كان عددهم كبيرًا على حد قول الكسندر. وقد تجلى الدور الهام الذى لعبه الصهاينة من أبناء جنوب أفريقيا، بصورة فردية أو جماعية، في بناء فلسطين في العدد الكبير من "المؤسسات" التي خلدت أسماء شخصيات من جنوب أفريقيا أو التي عُرف أنها تدين بوجودها، كليًا أو جزئيًا، لأعمال خيرية مصدرها جنوب أفريقيا. وقد كانت القائمة طويلة ومؤثرة. ومع ذلك، فقد بقيت حقيقة تتمثل في أن العمل الأساسي من أجل فلسطين بين طائفة تضم نيفًا ومائة ألف نسمة يعيشون على بعد آلاف الأميال من "أرض إسرائيل" سيستمر ليأخذ شكل مساعدات مالية لأعمال بناء الوطن القومي. والواقع أن نمو مزيد

(31) Stevens, Richard P.: P. 51.

من الصلات الشخصية والمباشرة مع فلسطين قد صاحبه دعم متزايد على الدوام لمثل هذه المشروعات[32].

وقد أكد الكسندر أن النتائج كانت مؤثرة للغاية خلال سنوات الحرب وما بعدها، بصفة خاصة، من حيث حجمها ومداها على السواء، وأنها لم تشمل مجالات الإنشاءات اليهودية الأساسية فحسب، وإنما شملت موضوعات ثقافية وأعمال إنقاذ وموضوعات خيرية ذات طبيعة متباينة. إلا أن صهيونيّ جنوب أفريقيا قد كانوا قد توصلوا فيما مضى إلى نتيجة مؤداها أن الأساليب "العادية" غير كافية بصورة لا أمل فيها وأنه لكى ينجح الشعب اليهودي في الفوز بالأرض، وفى الوقت المناسب، ينبغي أن تتوافر له موارد سائلة أضخم حجمًا. ومعنى هذا فيما يتعلق بيهود جنوب أفريقيا القيام بحملات خاصة، علاوة على الوسائل العادية لجمع الأموال. والواقع أن إخلاص يهود جنوب أفريقيا للصهيونية، الذى ظهر من خلال الارتباطات المالية المتزايدة، هو الذى أكد بصورة لا ريب فيها استمرار الصداقة بين سمتس ووايزمان، كما أنه خدم الاثنين بصورة ملائمة تماما[33].

**رابعًا– مساندة فكرة التقسيم في الأمم المتحدة عام 1947:**

إبان الحرب العالمية الثانية وفى أعقابها مباشرة، وهى فترة ذات عواقب مشؤمة لفلسطين، قدم اتحاد جنوب أفريقيا، جهودًا كبيرة لتأييد الدبلوماسية

(32) عبد الوهاب المسيرى، ريتشارد ستيفنز: مرجع سابق، ص 50.
(33) Stevens, Richard P.: Op. Cit., P. 51.

الصهيونية في مقاومة التأثير العربي في الولايات المتحدة الأمريكية، خاصة في مؤتمر سان فرانسيسكو، وفي معارضة بعض التوصيات التي تقدمت بها لجنة التحقيق الأنجلو–أمريكية حول فلسطين. كما أنه وضع موارد الوفد الجنوب أفريقي إلى الأمم المتحدة تحت تصرف الدبلوماسية الصهيونية[34].

في أبريل سنة 1946، أوصت لجنة مشكّلة من قبل الحكومتين البريطانية والأمريكية بالسماح للمهاجرين اليهود بالدخول إلى فلسطين، وإلغاء القيود التي فرضتها حكومة فلسطين منذ عام 1939، على شراء اليهود للأراضي. لكن توصيات اللجنة لم تلق قبول الحكومة البريطانية، فتصاعد الصراع في فلسطين. ومع تصاعد المقاومة اليهودية، كان على بريطانيا أن تزيد من تواجدها العسكري في فلسطين. ووجدت الحكومة البريطانية، التي خرجت من الحرب العالمية الثانية منهكة ماديًا واقتصاديًا في انتظارها مهمة إعادة البناء بعد قتال عنيف في ظل موارد متناقصة وإمبراطورية إلى زوال، وجدت نفسها متورطة في صراع عسكري كبير على أرض فلسطين، صراع يفرض عليها الاحتفاظ بحوالي 100 ألف من قواتها هناك، فقررت أن تعيد الانتداب إلى المجتمع الدولي. وفى 18 فبراير 1947، أعلن وزير الخارجية

(34) مروان بحيرى: معانى التحالف بين إسرائيل وجنوب أفريقية، مرجع سابق، ص 233.

البريطاني أمام مجلس العموم قرار بريطانيا بإحالة المسألة برمتها إلى الأمم المتحدة[35].

وبعد قرار بريطانيا بعرض موضوع فلسطين في الأمم المتحدة، لم تكن اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة والمؤلفة من إحدى عشرة دولة "محايدة"[36] بالنسبة لموضوع فلسطين، لم تكن إلا عامل تشجيع للصهيونيين. وقد استمعت اللجنة في يوليو 1947 إلى شهادة "وايزمان"، الذي استشهد بما قرره "سمتس" عن معاناة اليهود باعتباره "أحد الباقين على قيد الحياة من الساسة الذين قاموا بصياغة وعد بلفور"، وضرورة إقرار التقسيم وإنشاء وطن يهودي[37].

وبعد أن أصبحت الأمم المتحدة بؤرة النشاط استطاع رئيس وزراء الاتحاد، الجنرال سمتس، أن يقدم يد المساعدة لمساندة قرار التقسيم عن طريق وفد الاتحاد في الأمم المتحدة. وفى خطاب لسمتس ألقاه أمام برلمان الاتحاد، وضح أهمية تقسيم فلسطين وحماية الشعب اليهودي من خطر الفلسطينيين، وأشار إلى أنه كان ينظر بارتياب إلى الكتاب الأبيض الصادر عام 1939،

(35) حاييم هرزوج: الحروب العربية الإسرائيلية 1948-1982، ترجمة بدر الرفاعي، الطبعة الأولى، سينا للنشر، القاهرة، 1993، ص 9.

(36) الدول الأحد عشر المفترض أنها "محايدة" هي استراليا وكندا وتشيكوسلوفاكيا وجواتيمالا والهند وإيران وهولندا وبيرو والسويد وأورجواي ويوجوسلافيا. فقد كان ضمن هؤلاء المحايدين أنصار أوفياء للصهيونية مثل ممثل جواتيمالا، وممثل أورجواى.

(37) محمد عبد الحليم الزرقا: التاريخ السياسي والعنصري لجنوب أفريقيا منذ عام 1948 حتى إعلان الجمهورية 1961، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2012، ص 141.

وأن الحكومة البريطانية كانت مرتابة أيضا. وأنه كان يعتقد أن الحكومة قد سحبته بشكل عملي، وأنه معلق بشكل مؤقت. وأن اليهود قد دُفعوا إلى اليأس، وهو ينظر إلى المجرمين منهم في فلسطين نظرته إلى من استبد بهم اليأس والتهور فعلا. واستطرد قائلاً وإني أرجو أن يتحقق للشعب اليهودي ذلك الحل بواسطة الأمم المتحدة[38].

ولعل ما يدل على ما كان يعتمل في نفس سمتس تجاه اليهود والصهيونية وفكرة الوطن القومي في فلسطين، التقرير السرى السابع عشر للقنصلية الملكية المصرية العامة في الكيب عن تصريحه بشأن القضية الفلسطينية. فقد تقدم أحد النواب اليهود في البرلمان طالبًا أن تُمثل جنوب أفريقيا في جلسة هيئة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين، وأن تقترح سحب الكتاب الأبيض الذى يحدد الهجرة لفلسطين للمعاونة على انتهاء "الحركات الإرهابية" وللوصول إلى حل موفق للمشكل. وقد أجاب المارشال سمتس أن تلك الجلسة ليس المقصود منها اتخاذ خطوات لحل المشكلة الفلسطينية، ولكن لكى تعين لجنة تكون مهمتها تقديم تقرير إلى الهيئة في سبتمبر من ذلك العام (1947) عن الحالة هناك[39].

(38) (The speech of Smuts before the South Africans for the Partition of Palestine, Pretoria, December 5, 1947. ،
وثيقة منشورة في: نجلاء عبد الجواد: اليهود في جنوب أفريقيا، مرجع سابق، ص 316.
(39) دار الوثائق القومية، وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف السرى الجديد، أرشيف البلدان، فيلم رقم (54)، محافظ بريتوريا، محفظة رقم (84)، ملف رقم (4)، سرى، بشأن:

ويشير تقرير القنصلية إلى أنه ليس هو فقط بل معظم سكان اتحاد جنوب أفريقيا يحملون لليهود كل عطف، وأن ما حدث لهم هو أكبر مأساة عرفها التاريخ، ويجب إيجاد حل للمشكلة اليهودية – وقد عاش اليهود في فلسطين ألفى عام على حد زعمه، وساهموا بقسط وافر في سعادة البشر – وهو لا يفهم لماذا أن لا يمكن للعربي واليهودي التفاهم للحياة سويًا في سلم من جديد – وأنه موقن بأن هيئة الأمم المتحدة ستجد الحل[40].

ولما سأله أحد النواب عما إذا كانت الحكومة تعلم عن وجود حل مرض من هيئة الأمم المتحدة، أجاب "سنحصل عليه – لا تقنط – وعليك بالصبر". ولما سأله النائب الأول بأنه يجب أن يسمح للمهاجرين اليهود بدخول الاتحاد، قال إن هذا لن يكون حلاً للمشكلة اليهودية. لأن تدفق اليهود بصورة لا تحتملها البلاد لن يؤدى إلا إلى خلق نزعة عداء للسامية، وأنه دائم الاعتقاد في هذا الرأي، ولكن جنوب أفريقيا ستعمل جهدها للمساعدة في التوصل إلى حل، يتمثل في رأيه في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين[41].

وفى الوقت الذى يطالب فيه المارشال سمتس بإنشاء وطن قومي لليهود في بلاد لا تمت له بصلة، وليس له أن يقرر مصيرها، نجده يرفض قبول لاجئين يهود إلى بلاده باعتبار أن ذلك لا يحل المشكلة اليهودية، كما أنه

---

التقرير السرى السابع عشر عن تصريح المارشال سمطس بشأن المسألة الفلسطينية، القنصلية الملكية المصرية العامة بمدينة الكاب، تحريرًا في 23 أبريل 1947، ص 1.

(40) نفس المصدر والصفحة.

(41) Stevens, Richard P.: Op. Cit., P. 50.

يسبب نشوء روح عدائية لليهود. كما أنه يؤكد أن هيئة الأمم ستجد حلاً للمشكلة وأن هذا على حد رأيه بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وبإيجاد طريقة لإقناع العرب بالحياة في سلم مجاورين لليهود؛ أي أن فكرة إنشاء دولة يهودية مختمرة في أذهان وعقول هؤلاء القوم. فهل يعبر المارشال سمتس عما يعرفه قطعًا من الدوائر البريطانية وله فيها مركز ممتاز؟ أم أنه يقوم بدعاية انتخابية وهو قادم على معركة حامية الوطيس بدأ أمله في كسبها يتضعضع، وهو يود أن يكسب اليهود إلى جانبه والاعتماد على قوتهم المادية، وأن الانتخابات الفرعية الأخيرة كانت كسبًا للحزب المعارض، وسيطرة اليهود على اقتصاديات البلاد تجعل الشعب يميل إلى التخلص من حكم سمتس وتجربة حكم مالان[42]؟.

وقد لخصت تلك المناقشة القصيرة في البرلمان حقيقة مفادها أن الصهيونية ومعاداة السامية في جنوب أفريقيا، كما في بقية دول الغرب الليبرالية، تعتمد كل منهما على الأخرى بصورة متبادلة، وأن جنوب أفريقيا التي لا تفوقها أية دولة أخرى في تأييدها للصهيونية من الناحية الفردية، يمكنها مع ذلك أن تستوعب سياسات العداء للسامية فتصبح بذلك أكثر وضوحًا. وهكذا، على حين كان سمتس يعترض على انتهاج أية سياسة عامة للهجرة اليهودية،

(42) دار الوثائق القومية، وثائق وزارة الخارجية المصرية، تصريح المارشال سمطس بشأن المسألة الفلسطينية، مصدر سابق، ص 1.

كان يستطيع أيضا أن يهنئ اليهود في الاتحاد لقيامهم "بدور رئيسي في إقامة أعظم مركز للسكان الأوروبيين في الاتحاد"[43].

وقد سدد اتحاد جنوب أفريقيا مساهمة هامة لقضية الاستيطان اليهودي في فلسطين، في وقت لم يستطع رئيس وزرائه التأثير على الحكومة البريطانية، وذلك عندما أكد سمتس الدعم الدبلوماسي في الأمم المتحدة، وسهل تحويل الأموال والتجهيزات والإمدادات من يهود جنوب أفريقيا لليوشف Yishuv (سكان فلسطين من اليهود) المحاصرين. وآية ذلك أن أوراق سمتس احتوت على دليل توجيه سمتس الشخصي القوى لممثلي جنوب أفريقيا لدى الأمم المتحدة وفى مناقشات الكومنولث. فقد أبرق في أبريل سنة 1947، "موقفنا يجب أن يكون متعاطف مع القضية اليهودية في الصراع المحتمل مع الادعاءات العربية". وبالتالي كانت تعليماته المحافظة على مبدأ الوطن القومي اليهودي، وتقدير الموقف اليهودي المحزن في أوروبا، ومساندة الهجرة اليهودية المتزايدة إلى فلسطين. وعندما قررت الحكومة البريطانية تقديم القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة، وطُرح طلب الوكالة اليهودية للتمثيل الرسمي للتصويت، كان وفد جنوب أفريقيا واحد من ثمانية وفود صوتت لصالحها. وبنفس الطريقة أيضا،

(43) Stevens, Richard P.: Op. Cit., P. 50.

كان اتحاد جنوب أفريقيا واحد من أغلبية ثلاثة وثلاثين بلدًا في الجمعية العامة للأمم المتحدة صوتت لصالح خطة التقسيم في نوفمبر سنة 1947[44].

وفى 29 نوفمبر 1947، أصبح تقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة عربية سياسة معلنة بعد مفاوضات سرية وإرهاب سياسي صريح، كان لوفد الاتحاد حظ وافر فيهما. وقد أكد رئيس وزراء الاتحاد الجنرال سمتس لأحد المسئولين بالوكالة اليهودية في لندن: "لقدر أصدرت تعليمات إلى وفدنا – وفد الاتحاد – بالأمم المتحدة أن يعمل على تأييدكم وأن يظل على اتصال وثيق بك شخصيًا، ولتعلم أن وفدنا لديه تعليمات بمواصلة تأييد التقسيم والإلحاح على عقد هدنة خاصة في القدس إذا لم يكن عقد هدنة عامة"[45].

كذلك أرسل سمتس خطابًا إلى وايزمان في 5 ديسمبر 1947، يطمئنه فيه على موقف الاتحاد من فكرة تقسيم فلسطين، وهو الموقف الموالي لوجهة النظر اليهودية، ردًا على رسالة من الأخير إليه. فقد أشار سمتس في رسالته إلى انفعاله برسالة وايزمان، وعن تقديره العميق لها، مذكرًا إياه في تواضع بالغ بخدمته الصغيرة للقضية الصهيونية ولكنها كانت بحماس وفى كل الأحوال.

---

(44) Shimoni, Gideon: Op. Cit., P. 291.
ينبغي الإشارة إلى أن الأمم المتحدة، التي كانت ولا زالت خاضعة لسيطرة الغرب، قد وفرت الأساس الرسمي لقيام الدولة الصهيونية الاستيطانية دون الرجوع إلى رغبات الوطنيين أبناء البلاد، وذلك بالقرار الذى اتخذته في 29 نوفمبر 1947 بتقسيم فلسطين. وفيما عدا اتحاد جنوب أفريقيا، أيد مشروع التقسيم دولة افريقية واحدة ودولة آسيوية واحدة، وصدر القرار اعتمادًا على أصوات الدول الأوروبية ودول نصف الكرة الغربي. انظر: ريتشارد ب. ستيفنز& عبد الوهاب المسيري: مرجع سابق، ص 22.

(45) Stevens, Richard P.: Op. Cit., P. 52..241 نجلاء عبد الجواد، مرجع سابق، ص

كما أشار إلى أنه قد ناقش مع كبار رجال الحكومة البريطانية الحاجة إلى نهاية مناسبة لهذه المسألة، تتمثل في تقسيم فلسطين بين العرب واليهود تقسيمًا ينحاز لصالح المستوطنين اليهود على حساب الحقوق العربية، وأنه يجب أن يكون إنهاءً منظمًا ومناسبًا لفصل عظيم من التاريخ. كما أنه إن لم تلتزم بريطانيا بالوفاء بما قطعته على نفسها، فلربما تعرضت الصداقة اليهودية البريطانية للخطر[46].

وهكذا يتبين لنا الدور الذى قام به اتحاد جنوب أفريقيا في تأييد فكرة التقسيم لفلسطين، تقسيمًا يراعى مصالح اليهود على حساب الحقوق العربية، لتنسحب بريطانيا من فلسطين في 15 مايو 1948 ويُعلن قيام دولة الكيان الصهيوني رسميًا على أرض فلسطين.

**خامسًا- اتحاد جنوب أفريقيا والاعتراف بقيام دولة إسرائيل عام 1948:**

بعد انسحاب بريطانيا من فلسطين في 15 مايو 1948 وإعلان قيام دولة إسرائيل رسميًا، توالت الاعترافات بها من مختلف الدول إلا أن بريطانيا لزمت الصمت، بل مارست ضغطًا على المستعمرات البريطانية المستقلة لمنعها من الاعتراف بدولة إسرائيل، مما جعل وايزمان يرسل برقية إلى سمتس يحثه فيها على سرعة الاعتراف الفوري بإسرائيل، وتأييد حكومة الاتحاد لها كوطن قومي

(46) J. C. Smuts Papers, Letters Exchanged between Smuts and Weizmann, Letter from Smuts to Weizmann, 5th December, 1947.
وثيقة منشورة في: نجلاء عبد الجواد: اليهود في جنوب أفريقيا، ص 311.

للشعب اليهودي. وقد رد سمتس عن طريق مفوضية جنوب أفريقيا في واشنطن مرحبًا برسالة وايزمان وأعرب عن أمله في نجاح إسرائيل، إلا أنه ذكر أن القرار الرسمي بالاعتراف "تعوقه اعتبارات تتعلق بموقف جديد ومشاورات ضرورية[47].

وقد عاد وايزمان إلى الإلحاح على هذه المسألة في رسالة شخصية وسرية، موضحًا الأسباب المحددة للحاجة الملحة إلى اعتراف جنوب أفريقيا بإسرائيل. فقد أشار إلى أن الاعتراف العاجل بقيام الدولة اليهودية لا يتوّج دعم اتحاد جنوب أفريقيا طويل المدى للأمة اليهودية فحسب، بل سيكون له تأثير أيضا على الوضع الراهن آنذاك على النحو التالي: أولاً، بتشجيع المستعمرات البريطانية المستقلة الأخرى (الدومنيون) على القيام بخطوة مماثلة. ثانيًا، بتدعيم الجهود المبذولة لحقن الدماء عن طريق مجلس الأمن. ثالثًا، بالمساعدة في تنشيط العلاقات مع بريطانيا[48].

وقد شكى وايزمان لسمتس موقف بريطانيا، باعتباره أحد دعاة الصداقة اليهودية البريطانية طوال حياته، وأبدى عميق حزنه وأسفه للدور البريطاني

(47) Stevens, Richard P.: Op. Cit., P. 54.
(48) J. C. Smuts Papers, Letters Exchanged between Smuts and Weizmann, Letter from Weizmann to Smuts, "Personal and Confidential, May 21, 1948.
وثيقة منشورة في: نجلاء عبد الجواد: اليهود في جنوب أفريقيا، ص 311.

يومئذ الذى سمح بغزو "الفيلق العربي"[49] بما في ذلك الهجوم المدمر على القدس الذى استُخدمت فيه أموال وأسلحة بريطانية. أيضا استمرار إمداد الجيوش العربية الأخرى التي تعمل في فلسطين بالأسلحة، وكذلك المعارضة البارزة في مجلس الأمن لإعاقة مبادرة وقف إطلاق النار الأمريكية. ثم طلب من سمتس التدخل لدى السلطات البريطانية لتلطيف الأجواء قائلاً "إن استخدام نفوذك غير الرسمي في التخفيف من السياسة البريطانية غير الودية، وتشجيع قيام علاقات مرضية بين الدولة الجديدة والكومنولث، سيكون مساهمة بارزة"[50].

ولعل انشغال سمتس بالحملة الانتخابية الثقيلة، قد يُفسِر لماذا جاء اعتراف الاتحاد متأخرًا تسعة أيام. فربما فضّل سمتس الانتظار بضعة أيام إلى ما بعد الانتخابات العامة التي كان من المزمع إجراؤها في السادس والعشرين من مايو 1948، وذلك ليتجنب إثارة عداء الوطنيين البريطانيين. لكن في 21 مايو سنة 1948، كتب بيرنارد جيرينج Bernard Gering إلى سمتس يقول "أنه

(49) كان الفيلق العربي هو أفضل الجيوش العربية تدريبًا وأكثرها فاعلية، وكان يتولى قيادته الليفتنانت الجنرال "سير جون يجوب جلوب" المعروف بجلوب باشا، أحد محاربي الحرب العالمية الأولى. وقد استطاع جلوب مع مجموعة من الضباط البريطانيين أن يحوله من مجرد قوات للحدود إلى جيش حديث. كان الفيلق العربي يضم، على حد زعم حاييم هرتزوج، أكثر من 10 آلاف رجل منظمين في ثلاثة الوية وعدد من كتائب الدبابات وعناصر المدفعية. لمزيد من التفاصيل، انظر: حاييم هرزوج: مرجع سابق، ص 20.

(50) Letter from Weizmann to Smuts, "Per1sonal and Confidential, May 21, 1948.

وثيقة منشورة في: نجلاء عبد الجواد: اليهود في جنوب أفريقيا، ص 311.

بينما يقدّر بشكل كامل المهمة الثقيلة والصعبة التي تواجهه محليًا، فمن واجبه أن يبلغه فحوى البرقية المستلمة من الوفد الصهيوني. وربما فُسر التأخير في الاعتراف من قبل الدومنيون كإشارة إلى أنهم يتراجعون تحت التأثير البريطاني، خصوصًا أن تأخير الاتحاد كان يثير التعليق. وربما على اثَر هذا النداء الطارئ، كان على سمتس أن لا ينتظر أطول من ذلك، فما كان منه إلا أن أرسل برقية إلى موشيه شاريت[51]، وزير خارجية إسرائيل، جاء فيها "إن حكومة الاتحاد برئاسة الجنرال سمتس تعترف رسميًا بدولة إسرائيل الجديدة". وأخيرًا تُوج العمل الذى بُدئ بوعد بلفور بتقديم اعتراف الأمر الواقع بدولة إسرائيل في الرابع والعشرين من مايو 1948، وتبعه باعتراف شرعي بعد ذلك بيومين[52].

**الخاتمة:**

بينت الدراسة أن اتحاد جنوب أفريقيا قد أسهم إسهامًا بالغًا في الاستيطان اليهودي في فلسطين، من خلال مساهمة قادته في الضغط على بريطانيا لإصدار وعد بلفور، ثم التأييد والمساندة للسياسات والنشاطات الصهيونية في فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية والحيلولة دون تنصل بريطانيا من

(51) موشيه شاريت (1894-1965): ولد في خرسون Kherson (أوكرانيا حاليًا) بالإمبراطورية الروسية، وفى عام 1910 هاجرت أسرته إلى يافا في فلسطين التي كانت تحت الحكم العثماني. وتعتبر عائلة شاريت من الأسر التي أسست للوجود الصهيوني في فلسطين. تخرج في مدرسة هرتزل العبرية العليا، وانتقل إلى اسطنبول لدراسة القانون، لكنه لم يكمل دراسته بسبب تجنيده في الجيش التركي كمترجم. انظر: نجلاء عبد الجواد، المرجع السابق، ص 280.

(52) Shimoni, Gideon: Op. Cit., PP. 291-292. ،
ونجلاء عبد الجواد، المرجع السابق، ص 241.

الالتزامات التي قطعتها على نفسها بخصوص إنشاء الوطن القومي اليهودي، وما قدمه يهود الاتحاد من أموال ساهمت في توسيع المستوطنات اليهودية، ثم الدور الحيوي الذى لعبه وفد الاتحاد في الجمعية العامة للأمم المتحدة لمساندة قرار تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب، وهو التقسيم الذى انحاز إلى جانب اليهود على حساب الحقوق العربية. وأخيرًا توجت هذه الجهود بالاعتراف بقيام دولة الكيان الصهيوني.

كذلك أظهرت الدراسة دور الفرد في تفسير الأحداث التاريخية بصورة جلية، وآية ذلك العلاقة الحميمة التي جمعت بين سمتس ووايزمان؛ فكلاهما مثّل يد الإمبريالية الطاغية بقدراتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية الهائلة. فالأول كان سيف الإمبريالية المسلط على الأفارقة في جنوب أفريقيا والآخر كان سيفها المسلط على العرب والفلسطينيين. وكلاهما نذر نفسه لأسطورة الشعب المختار، فذاك مع البوير في جنوب أفريقيا وهذا لليهود في فلسطين، وكلاهما نظر للمشروعين الاستيطاني واليهودي كمشروع حيوي للحضارة الغربية؛ الأول في أفريقيا والثاني في فلسطين. وليس من قبيل الصدفة أن ميلاد اتحاد جنوب أفريقيا وميلاد وعد بلفور كان نتيجة لجهود نفس الشخصيات.

وعلى المستوى الشخصي كان كلاهما يُسلّم بشرعية موقف الآخر من الناحية الأدبية، فلا توجد كلمة واحدة في مراسلات وايزمان أو كتاباته تنطوي على تشكك في الأساس العنصري لدولة جنوب أفريقيا أو في الدور الذى قام به

سمتس لدعم نظامها العنصري. وبالمثل كان سمتس يسلم "بحق" المستوطنين اليهود في احتلال فلسطين دون اهتمام بحقوق العرب الفلسطينيين سكان البلاد الأصليين. وفى الحالتين أبرزا قدرة الحضارة الغربية على تبرير السيطرة والاستغلال بأنها رسالة حضارية مسيحية أو إنجاز يهودي مسيحي يؤمن بأنه أسمى من سائر الأجناس.

## قائمة المصادر والمراجع

### أ. المراجع العربية

1. إبراهيم جلال: جان كرستيان سمتس والاستيطان الصهيوني في فلسطين (1917–1950)، مجلة بحوث الشرق الأوسط (مجلة علمية محكمة)، العدد 32، الجزء الأول، مارس 2013، ص 98.
2. بدوى رياض عبد السميع: الأرض والعنصرية في اتحاد جنوب أفريقيا (1910–1961)، سلسلة بحوث افريقية، العدد 4، مركز تاريخ مصر المعاصر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014، ص ص 27–30.
3. جامعة الدول العربية: المحاضر الختامية لجلسات دور الاجتماع العادي الثاني لمجلس الجامعة، 31 أكتوبر إلى 14 ديسمبر 1945، القاهرة، 1949، ص 211.
4. حاييم هرزوج: الحروب العربية الإسرائيلية 1948–1982، ترجمة بدر الرفاعي، الطبعة الأولى، سينا للنشر، القاهرة، 1993، ص 9.
5. دار الوثائق القومية، وثائق وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف السرى الجديد، أرشيف البلدان، فيلم رقم (54)، محافظ بريتوريا، محفظة رقم (84)، ملف رقم (4)، سرى، بشأن: التقرير السرى السابع عشر عن تصريح المارشال سمطس بشأن المسألة الفلسطينية، القنصلية الملكية المصرية العامة بمدينة الكاب، تحريرًا في 23 أبريل 1947، ص 1.
6. ريتشارد ب. ستيفنز & عبد الوهاب المسيرى: إسرائيل وجنوب أفريقيا، وزارة الإعلام، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة (رقم 724)، القاهرة، (د.ت)، ص 124.

7. ريجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية، ترجمة احمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة، العدد 96، الكويت، 1985، ص 109.
8. سعد رزيج ايدام: العلاقات بين إسرائيل وجمهورية جنوب أفريقيا (1973-1989)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 1991، ص 5.
9. السيد فليفل: التاريخ السياسي والعنصري لمستعمرة رأس الرجاء الصالح (1853-1910)، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1998 ص194.
10. عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، المجلد السادس، الصهيونية، دار الشروق، القاهرة، 1999، ص 20.
11. محمد عبد الحليم الزرقا: التاريخ السياسي والعنصري لجنوب أفريقيا منذ عام 1948 حتى إعلان الجمهورية 1961، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2012، ص 141.
12. مروان بحيرى: العلاقة بين جنوب أفريقيا والصهيونية وإسرائيل، مجلة قضايا عربية، العدد 3، بيروت، 1981، ص 47، سعد رزيج ايدام: المرجع السابق، ص 5.
13. مروان بحيرى: معانى التحالف بين إسرائيل وجنوب افريقية، مجلة قضايا عربية، العدد 7، السنة السادسة، نوفمبر 1979، ص 231.
14. نجلاء عبد الجواد: اليهود في جنوب أفريقيا، دراسة في الجذور والتكوين والدور، تقديم د. السيد فليفل، سلسلة الإصدارات الخاصة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2011، ص 278.
15. وثيقة منشورة في: نجلاء عبد الجواد: اليهود في جنوب أفريقيا، مرجع سابق، ص 316.

## ب. المراجع الأجنبية

16. Bentwich, Norman: Jewish Life in British South Africa, Jewish Social Studies, Vol. 4, No. 1, Jan., 1942, P. 73, P. 77.
17. Cooper, F. H.: Khaki Crusaders, with the South African Artillery in Egypt and Palestine, Central News Agency LTD, Cape Town, 1919, P. 12.
18. Hunter, Jane: Israel Foreign policy, South Africa& Central America, Boston, 1987, P. 21.
19. J. C. Smuts Papers, Letters Exchanged between Smuts and Weizmann, Letter from Smuts to Weizmann, 5th December, 1947.
20. J. C. Smuts Papers, Letters Exchanged between Smuts and Weizmann, Letter from Weizmann to Smuts, "Personal and Confidential, May 21, 1948.
21. Letter from Weizmann to Smuts, "Per1sonal and Confidential, May 21, 1948.
22. Shimoni, Gideon: Jan Christiaan Smuts and Zionism, Jewish Social Studies, Vol. 39, No. 4 (Autumn, 1977), P. 269.
23. Stevens, Richard P.: Smuts and Weizmann, Journal of Palestine Studies, Vol. 3, No. 1, 1973, P. 41.
24. Stevens, Richard P.: Weizmann and Smuts, A study in Zionist-South African Cooperation, The Institute for Palestine Studies, Beirut, 1975, P. 11.
25. The speech of Smuts before the South Africans for the Partition of Palestine, Pretoria, December 5, 1947. ،
26. www.wikpedia.en.org.com

# مدينة القدس في المتخيل الإسلامي وثنائية تقديس المكان والزمان

- كرايس الجيلالي جامعة وهران2، الجزائر
- المقروض زين العابدين جامعة وهران2

**الملخص:**

تعتبر الأماكن المقدسة والأزمنة المقدسة من أهم خصائص أي دين سواء كان سماويا أو وضعيا، حيث أن عملية التقديس والتدنيس لا تكاد تفترقان في علاقة الإنسان بالديني، فالمكان المقدس هو النقطة التي يلتقي فيها الديني الإلهي، بالدنيوي البشري، وهذا اللقاء لا يكون إلا في زمن مقدس كالأعياد، ومواقيت الصلاة، وأداء بعض العبادات الخاصة، مثل الصوم الدوري والحج، أو حلول ذكرى معينة، تؤدي إلى إضفاء القداسة على بعض الأمكنة، أو زيادة شدة القداسة على الأماكن المقدسة، التي يزداد الاهتمام بها في الأعياد والمناسبات الدينية.

ومدينة القدس تعتبر من أهم المقدسات الإسلامية، سواء كمكان حدثت فيه الكثير من المعجزات الدينية، أو كزمان ارتبط أولا بمواقيت الصلاة، وبمناسبة الإسراء والمعراج التي تحل كل سنة وتذكر المسلمين بأحد أقدس الأزمان والتي انتقل فيها النبي كتعبير عن الناسوت إلى السماء وتلقى مجموعة من التعاليم والشعائر من طرف الله كتعبير عن اللاهوت، وبذلك أصبحت مدينة القدس بغض النظر عن

تاريخها الديني والمرتبط بالعديد من الأنبياء فيما قبل الإسلام، أحد تجليات القداسة لدى المسلمين، زمانا ومكانا، وهذا ما سنتطرق إليه من خلال هذه الورقة البحثية.

**الكلمات المفتاحية:** الأماكن المقدسة، الأزمنة المقدسة، مدينة القدس، المتخيل الديني الإسلامي، الذاكرة الدينية.

**Abstract** : Holy places and times are considered as one of the major important characteristics of any religion, whether divine or positive, because the process of sanctification and desecration hardly separates in the relationship of men to religious, the divine and the human meet, and this meeting takes place only at a sacred moment, such as feasts, times of prayer and the performance of certain special acts of worship, such as periodic fasting and pilgrimage, or the advent of a specific memory, which leads to the attribution of holiness to certain places, or to an increase in the intensity of holiness in holy places , whose attention increases during religious holidays and occasions.

The city of Jerusalem is one of the most significant Islamic holy places, whether as a place where many religious miracles occurred, or as a time that was first associated with the times of prayer, and on the occasion of Israel and Mi'raj that occur every year and reminds Muslims of one of the holiest times during which the Prophet moved to heaven as an expression of humanity and received a set of teachings and rituals from Allah as an expression of theology, and therefore, the city of Jerusalem, whatever its religious history and associated with many prophets before Islam, has become one of the manifestations of holiness for Muslims, in time and space , and this is what we will address through this research paper.

**Key words**: Holy places, holy times, Jerusalem, Islamic religious imagination, memory of the world.

**مقدمة:**

التراث بمثابة الروح التي لا ينبغي لها أن تفارق جسد هذه الأمة كي تبقى هذه الأمة على قيد الحياة[1] إن تراث هذه الأمة الإسلامية يكاد يكون معجونا بالدين، إذ يعتبر المقدس والغيبي والعقدي خميرته التي بني عليها وهو يستمد قوته منها، فلا تراث دون نص ديني ولا يفهم النص الديني إلا من خلال صياغه التراثي، حيث تشتغل الذاكرة الدينية وتعيد بعث الكثير من الوقائع التي كانت في يوم من الأيام تشكل المعاش لدى المسلمين، وحياتهم اليومية، لكنها اليوم أصبحت مجدر ذكرى يحن إليها المسلمون ويعملون على إثارتها في كل مرة، عن طريق تلك الوظيفة التي يقوم بها المتخيل الاجتماعي أو الديني الذي يتشكل من الكيفيات المتعددة التي يهب بها الإنسان المعنى للأشياء قصد تملكها دلاليا وماديا[2].

والدين من خلال ثنائية المقدس والمدنس والأزمنة والأمكنة يمنح شرعية التملك وينزعها، وفي نفس الوقت يحدد علاقة الديني بالدنيوي، وأيضا علاقة المحرم بأدوات التحريم وطقوسه وشعائره، ولذلك تلعب فكرة القداسة والدناسة فكرة جوهرية في أي معتقد ديني، وهي التي تحدد شرعية من يمتلكه وشرعية من

1- سعيد المصري، تراث الاستعلاء بين الفلكلور والمجال الديني، مؤسسة باتنة، جمهورية مصر العربية، 2019، ص 11.
2- نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، دار افريقيا الشرق، المغرب، بدون طبعة، 2011، ص 09.

يتواجد فيه، وإذا عدنا إلى مدينة القدس وما تحتويه من تجليات للديني والقدسي في طابعه الزماني والمكاني، بالنسبة للمسلمين، كديانة سماوية تعتبر نفسها آخر نسخة لدين الله، وآخر تواصل بين الأرض والسماء، وآخر تعاليم مقدسة حددت المحرمات والمقدسات لدى المسلمين في شكلها النهائي، وحفتها أو أحاطتها بجملة من المحاذير والحدود الزمانية والمكانية، إذ تعتبر مدينة القدس والمسجد الأقصى والفضاء المبارك حوله، من أهم مقدسات المسلمين، وهي تعكس أيضا ثقافة عميقة وقديمة يعاد إنتاجها لدى كل جيل جديد، عن طريق تعزيز فكرة القدس كأرض إسلامية محضة لكنها في حالة ضياع وهناك من يسعى إلى تدنيسها، هذه الثقافة التي يجري إعادة إنتاجها، تحافظ على حالة الصراع الأزلية بين المسلمين كملاك شرعيين للفضاء المقدسي المقدس، ولليهود كمتحلين وساعين إلى تدنيس ذلك الفضاء، حيث يرى كل من جورج بالوندي وآلان تورين وبيار بورديو أن هناك دورا كبيرا تلعبه الثقافة بشكل عام والممارسات الرمزية والتخيلية في بلورة وتشكل أنماط الصراع وديناميه داخل المجتمعات الحديثة والمعاصرة وليس فقط العتيقة[3]، فالصراع حول القدس قديم لكنه هو ما يضفي معنى على الصراع اليوم في عالمنا المعاصر بين اليهود كمغتصبين للأرض بحجج دينية، وللمسلمين كأصحاب أرض بحجج دينية

3- نور الدين الزاهي، مرجع سبق ذكره، ص 18.

أيضا، ومن هنا نطرح السؤال المحوري لهذه الورقة: كيف ينظر المسلمون إلى مدينة القدس من خلال المتخيل الديني والذاكرة الدينية الإسلامية؟

التساؤلات الفرعية:

- ما علاقة الدين بثنائية المقدس والمدنس؟
- كيف تعكس مدينة القدس فكة القداسة من خلال عامل الزمان والمكان؟
- كيف يتمثل المسلمون مدينة القدس والوضعية التي تعيشها الآن؟

**محاور الورقة**

## 1. الدين وثنائية المقدس والمدنس:

الأشياء المقدسة هي التي تحميها النواهي وتعزلها والأشياء العادية هي التي تنطبق عليها هذه النواهي والتي ينبغي عليها أن تبقى مبعدة عن الأولى[4] هي ثنائية المحرم بهدف التقديس والتقرب إليه، والسعي إلى مخالطته، والمحرم أيضا بهدف تجنبه، وتجنيب المقدس مخالطته، لأنه عادي أو مدنس ويمكن أن ينقص من هيبة الديني السماوي أو المرتبط بالله، فهو أحد تجلياته، أو أحد الأماكن التي يكون فيها الناسوت أقرب إلى اللاهوت ففي الحرم المقدس يصبح الاتصال بالآلهة ممكنا[5].

4- مرسيا إلياد، المقدس والعادي، ترجمة عادل العوا، دار التنوير للطباعة والنش والتوزيع، لبنان، بدون طبعة، 2009، ص 37.
5- المرجع نفسه، ص 64.

ولـذلك تقـوم الـديانات وضـعية كانـت أو سـماوية علـى فكـرة عـالمين متجاورين ولا يعرف أحدمها إلا بـالآخر، عالم المقدس، الإلهي، النقي، التقي، الطاهر، الذي تتجلى فيه الآيات الربانية، ويحتوي على أدوات، أماكن، أزمنة، طقوس، شعائر، عقائد، متصلة بجوهر الدين، وبجوهر الخضوع للقوى الغيبية، التـي يخشـها الإنسـان ويخضـع لهـا، ويتحـين فرصـة لقائهـا أو الاقتـراب منهـا، ويجـب أن يكـون فـي وضـعية معينـة مـن ناحيـة الطهـارة الجسـدية والروحيـة، والملبس، والوضعية، والزمن الذي يعتبر مكونا أساسيا من مكونات القداسة، أما المكان المدنس أو حتى العادي، هو المكان البشري الذي لا طقوس فيها، ولا يمكن أن تخالطه البركة، فمثلا باب المسجد وعتبته، هو حد فاصل بين عالمين متناقضـين تمامـا، فبمجـرد أن تضـع رجلـك علـى عتبـة المسـجد، حتـى يكـون جسدك مقدسا وعاديا في نفس الوقت، فأنت بين عالمين ومكانين ومنطقين، فخارجه أنت بعيد من الله، وبدخول المسجد الذي هو بيت الله، انت قريب من الله وتخاطبه ويسمعك، فأنت في وضعية منفصلة عن الدنيوي وعن العادي، أما خارجه فأنت في العادي الذي يسير وفق ساعة البشر وبمنطق البشر، ولذلك يبحث الإنسان خاصة الديني والذي ننتمي إليه كحضارة شرقية، عن الديني والقدسي لينتمي إليه وليخالط الإلهي، إذ أن هناك حنين عميق لدى الإنسان الديني إلى أن يسكن عالما إلهيا، وأن يكون له بيت شبيه ببيت الآلهة، البيت

الذي تصوره المعابد والحرم[6]، فالحرم أو المعبد بالنسبة لأتباع أي دين، هو المقدس المحض الذي لا يخالطه المدنس بأي شكل من الأشكال.

كما أن الحفاظ على العالمين/ مقدس/ مدنس يعني الحفاظ على الدين وعلى المؤمنين والأتباع، فبدون تلك المنظومة الطقسية والشعائرية، التي يشرف عليها رجال الدين الذين يمتلكون معرفة كبيرة بالنص الديني، ويستطيعون الوقوف موقف الرابطة أو همزة الوصل بين السماء والأرض، عن طريق تنفيذ التعاليم والحرص على تنفيذها كما جاءت في الوصايا وفي الكتب المقدسة، حتى يتم الترابط والتواصل بين عالم البشر الغارق في الدنيوية والعادي، وعالم الله الذي يعتبر جوهر القداسة وأصلها، وبذلك فإن الطقوس والشعائر الدينية هي أحد أهم العلامات الفارقة والمميزة بين ما هو مدنس وما هو مقدس في أي دين حيث تقوم الطقوس بوظيفة تنظيم العلاقات بدقة بين عالمين، عالم الإنسان، وعالم القداسة[7].

وهنا نجد أن هذه الثانية القائمة على القداسة والدناسة هي التي تحدد أصل أي دين، وتحدد طقوسه وشرائعه وكيفية التواصل مع الإله فيه، حيث يقوم أصل التواصل على رسم الحدود بين العالمين المتناقضين، والحفاظ على

6- المرجع نفسه، ص 102.
7- عامر عبد زيد الوائلي، العقلانية الغربية ورهانات الدين مقاربات في فلسفة الدين، مؤسسة دار الصادق الثقافية، العراق، الطبعة الاولى، 2019، ص 291.

القدسي بعيدا عن العادي حتى يستطيع الإنسان الانتقال من عالمه الأرضي إلى عالم القيم والفضائل حيث يمكن الاتصال بالله والاقتراب منه، لأن الإنسان ارتقى ومارس الكثير من العبادات وتخلى عن الكثير من الملذات وطهر روحه، وجسده، وتمكن من التواجد في هالة القدسي، حتى يتواصل مع الله، هذا التواصل الذي يقوم على فكرة أساسية هي التناقض والتعارض مع الدنيوي، فالمقدس له صفة جوهرية هي التعارض مع الدنيوي[8] وهذا التعارض هو الذي يأسس للدين، بخلق محرماته النجسة ومحرماته الطاهرة، وهذه المحرمات والحرم قد تأخذ عدة صور منها:

- الأماكن المقدسة مثل المعابد، والمزارات، جبال، أودية وغيرها.
- أزمنة مقدسة وغالبا ما تكون دورية ومنتظمة التكرر.
- أشياء/ مثل نباتات، أو جمادات أو أحجار ثابتة أو منقولة.
- أشخاص أو مقتنياتهم وأدواتهم.
- كتب مقدسة أو طقوس وشعائر وممارسات.

ورغم احتواء جميع الأديان على هذه الأشياء المقدسة والتي تفصل بين الديني والدنيوي سواء بالاقتراب منها أو الابتعاد عنها، نجد اختلافا بين الديانات في تصنيفها أو في كيفية التبرك بها، وهنا تتجلى الفوارق بين الشعوب

8- روجي كايوا، الإنسان والمقدس، ترجمة سمير ريشا، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الأولى، 2010، ص 31.

والأمم، التي يبدوا أنها تتأسس وفق منطق ديني ومنطق التقديس والتدنيس، فما تقدسه أمة معينة بالضرورة لا تقدسه الأمة الأخرى، أو لا تقدسه بنفس الطريقة، فمثلا الحديث عن المسلمين والنصارى واليهود، ورغم انتمائهم لما يعرف بالديانات التوحيدية، لكن لكل أمة فهمها للتوحيد بما لا يدع مجالا لتوافقهم أو اتفاقهم، بل إن أهم ما يجمعهم، هو الأصل الذي يفرقهم وينفي وحدتهم، لذلك تبقى القيم التي ينتجها كل دين، لكل أمة العامل المهم في وحدة هذه الأمة وفي رسم حدودها الفاصلة مع غيرها، ولذلك تعتبر القيم الروحية في بعض المجتمعات أثمن من الحياة ذاتها[9] .

وهذا ما نعيشه اليوم بصعود الديني وانبعاثه من قلب الحداثة واشتباك الأمم حول المقدسات وحقوق ملكيتها وحيازتها، حيث تعتبر مدينة القدس مثلا، من أهم المدن التي يجري حولها نزاع هوياتي بين المسلمين المرتبطين بها هوياتيا وتاريخيا وثقافيا، وهي تمثل المكان بالنسبة لهم وجزء من هويتهم الاجتماعية وتاريخهم، وبين اليهود الذين يشكلون حالة طارئة ومتغيرا وافدا لا ينتمي إلى المدينة بأي شكل من الأشكال، لا تاريخيا ولا هوياتيا ولا ثقافيا، وهذا ما عبر عنه مارك أوجيه بأزمة المكان والإمكان، حيث أن المكان هوياتي علائقي، وتاريخي، بينما كل مكان لا تتوفر فيه هذه الشروط هو ينتمي إلى

9- مارفين هاريس، مقدسات ومحرمات وحروب، ألغاز الثقافة، ترجمة أحمد م أحمد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، الطبعة الأولى، 2017، ص 17.

اللامكان[10]، وهذا ما يحكم علاقة اليهود بمدينة القدس، فرغم ادعاءاتهم الدينة إلا أن سيطرتهم على المدينة كان نتيجة القوة المفرطة وأحد افرازات الحداثة، وبذلك فمدينة القدس بالنسبة إليهم تشكل اللامكان، حيث أن كل ما يربطهم بها هو منطق القوة، بينما هي المكان بالنسبة للفلسطينيين وكمسلمين، لأن الرابطة بينهم وبينها هي رابطة هوياتية وثقافية، وهم يعبرون عنها عن طريق فكرة القداسة التي يمارسونها داخل المدينة وفي ظل وجود المقدسات المادية والمعنوية، بينما لا يوجد أي إرث يهودي سوى ادعاءات غير موثقة.

إن هذا الصراع يحيلنا إلى أهمية الديني اليوم في إعادة تشكيل الحداثي وفي تحديد طبيعة الصراعات والنزاعات، ونقلها من الصراع حول الهيمنة على مصادر الطاقة والغذاء والوقود والماء، إلى الصراع حول الهيمنة على مصادر الهوية والانتماء والتاريخ، وأصالة الديني لدى كل أمة من الأمم، وهو يعكس تجربة هذه الأمة في تواصلها مع المقدس، فكل واقع ديني هو خبرة من نوع خاص ناجم عن لقاء الإنسان بالديني[11] أي علاقة اللاهوت بالناسوت عن طريق الشريعة التي تحدد المقدس والمدنس وأدوات القداسة وطقوسها وكل ما يفسدها وكل ما يزيد من بريقها، وهذا ما توظفه الأمم اليوم في المطالبة بحقها

10- مارك أوجيه، اللاأمكنة مدخل إلى أنثروبولوجيا الحداثة المفرطة، ترجمة ميساء سويفي، هيئة البحرين للثقافة والآثار، البحرين، الطبعة الأولى، 2018، ص 80/79.
11- أحمد زين الدين، الديني والدنيوي قراءة في فكر ميرسيا إلياد، بيسان للنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، 2018، ص 06.

في أرض ما أو في فضاء ما، خاصة مدينة القدس كمدينة بشرية مبنية بلبنات دينية.

## 2. مدينة القدس مكان مقدس وزمن يتقدس:

الحروب المقدسة سهلة ورخيصة، فاليهود والمسيحيون والمسلمون والهندوس واليونانيون والفراعنة والصينيون والمان الجميع مضوا إلى الحرب لإرضاء آلهتهم أو لتنفيذ مشيئة الإله[12]. جاءت هذه العبارة في كتاب مارفين هريس التقديس والتحريم نشوء الثقافات والدول، حيث ربط الباحث بين فكرة قيام الثقافات واختلافها وبين قيام الدول، وفكرة الديني وأدواته ومقتنياته، فليس هناك شيء يفرقنا ويرسم الحدود والفواصل بيننا مثل الدين، والتعاليم المقدسة، والهلاك والخلاص، فمن أجله نقوم بالحروب ومن أجله نستبيح القتل، تنفيذا لرغبة الإله الذي يحدد لنا المقدسات والحرم ويطلب منا حمياتها والدفاع عنها والموت من أجل الحفاظ عليها، وصد أتباع الديانات الأخرى عن انتهاك حرمتها والمساس بطهارتها التي نصت عليها الكتب السماوية وجعلتها حرما خاصا لأتباع دين معين، دون اتباع الديانات الأخرى، إذ يقول الله تعالى مخاطبا المسلمين حصرا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا .وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن

12- مارفين هاريس، التحريم والتقديس نشوء الثقافات والدول، ترجمة أحمد م، محمد، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، قطر، الطبعة الأولى، 2020، ص 50.

شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[13] فهذا النص يشير إلى حرمة المكان المقدس، وتحريم تواجد غير المسلمين فيه، وحتى إن كان تواجد غيرهم مرتبطا بالتجارة، فإن الله كفى المسلمين ووعدهم بتعويضهم مقابل منع تواجد غير المسلمين في المسجد الحرام، أو غير الطاهرين طهارة تتوافق مع معايير الإسلام والتواجد في الأماكن التي يقدسها الإسلام ويعطيها صفة الحرم.

إذا لكل ديانة حرمها الزمانية والمكانية التي يأوي إليها المؤمنون ويشعرون بوحدتهم، ويتصلون بعالم الأسلاف، ويعودون إلى الماضي السحيق، حيث أن الدين وحده هو الذي ينقل إلينا لحظات زمنية فارقة ويعيدنا إلى اللحظة الأولى التي نشأ فيها المكان المقدس، الذي تجلى فيه الإلهي أو حدث فيها أمر مبارك، فالدين وما ينقله إلينا سواء من نصوص، أو شعائر وطقوس هي اتصال بالماضي حيث الأصالة والحق والهدى، فالدين هو ميراث العالم القديم وهذا ما أشار إليه الباحث عبد الكريم سروش حيث يرى أن أهم ميراث بقي من العالم القديم وأفضل ميراث يعكس لنا العالم القديم هو الدين[14] من خلال أزمنته المقدسة وأعياده ومن خلال الأماكن التي تقع في الأرض لكنها جزء من السماء.

13- القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 28.
14- عبد الكريم سروش، السياسة والتدين دقائق نظرية ومأزق عملية، ترجمة احمد القبنجي، دار الانتشار العربي، لبنان، الطبعة الأولى، 2009، ص 31.

وإذا عدنا إلى مدينة القدس، والتي تعتبر من أقدم مدن العالم، ومن بين المدن القليلة التي اتصل فيها البشري بالإلهي، وهذا ما تشير إليه الكتب السماوية التي أكد القرآن الكريم أخبارها ونسخ ما فيها واستحوذ عليه، وبذلك جاء الإسلام ليصادر المقدسات التي عبثت بها الديانات المحرفة ويعلنها إرثا إسلاميا محضا، ويحيطها بهالة من القداسة، ويعيد تثمينها زمانيا ومكانيا، فالمسلمون اليوم يعتبرون أنفسهم الوريث الشرعي لكل الرسل والأنبياء، خاصة أن مهمة الأنبياء هي تعليم الناس التوحيد وعبادة الله، وهنا ورث المسلمون التوحيد في نسخته الأخيرة وورثوا مقتنياته وأغراضه وكل أدواته المقدسة، حيث جاء في النص القرآني ما يؤكد وحدة الدين عند الله وأحقية المسلمين بميراث الأنبياء يقول الله تعالى في سورة آل عمران: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)[15] وبذلك كل المقدسات السماوية اليوم هي إرث اسلامي، خاصة تلك التي لها مكانة مرموقة مثل مدينة القدس التي تعتبر ثالث إلى القبلتين وثالث الحرمين، وبذلك هي تجمع بين المكان المقدس وبين الزمن المقدس، هاتين الخاصيتين اللتين لا يخلو منهما أي دين.

فمدينة القدس وما يقع في محيطها هي أرض مقدسة ومباركة بالنسبة للمسلمين كوريثين شرعيين لكل الأنبياء والرسل، وهي أيضا مكان مقدس نظرا

15- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 68.

لحدوث معجزات خاصة بنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، حيث كان المسجد الأقصى أول قبلة صلى إليها المسلمون، وهو المكان الذي أسري إليه بالنبي، لتحدث معجزة الإعراج إلى السماء ودخول عالم الملكوت، وحدوث الكثير من المعجزات في ظرف زمني قياسي، حيث أن الزمن الديني الذي تخالطه القداسة هو زمن غير عادي بل خيالي وعجائبي، وغرائبي تحدث فيه أشياء تجعلنا نصاب بالذهول، فالمجتمع الديني مؤسس على زمن أعلى من الزمن الدنيوي[16] وكل شيء فيه يحدث بتوفيق من الله وبإرادته، ولذلك يكتسب ذلك الزمن قداسته ويتحول إلى زمن أصلي وثابت لا يتغير بمرور الزمن وكل ما تحل ذكراه، إلا وحلت ببركتها وقداستها وجبروتها، ورمزيتها المهيبة، حيث يشير ميرسا إلياد إلى أن الزمن المقدس المتكرر يتطابق مع الزمن المقدس الأصلي حيث كان العالم لأول مرة[17] أو اللحظة التي حدث فيها فعل القداسة للمرة الأولى، ومدينة القدس والمسجد الأقصى مرتبط بذكرى الإسراء والمعراج كحادثة زمنية شقت الطريق بين السماء والأرض وأدت إلى مباركة تلك البقعة مباركة إسلامية، وأصبحت جزءا من المقدسات الدينية الإسلامية، وأشبه بالعيد الدوري الذي يحتفل به السلمون ويشعرون من خلاله بملكية المكان، نظرا للواقعة الزمانية المقدسة، وهذا ما أكد عليه النص القرآني في سورة الإسراء إذ

16- فتحي المسيكني، الإيمان الحر أو ما بعد الملة مباحث في فلسفة الدين، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، المغرب الأقصى، الطبعة الأولى، 2018، ص 255.

17- مريسيا إلياد، مرجع سبق ذكره، ص 13.

يقول الله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[18] وبذلك أصبحت مدينة القدس بكل حوادثها الزمنية مرتبطة بهوية الأمة الإسلامية وجزء لا يتجزأ منها، ومن ذاكرتها الدينية، فمدينة القدس هي مكان مقدس بالنسبة للمسلمين، نظرا لوجود المسجد الأقصى في نطاقها، وهو مسجد أشار القرآن الكريم إليه وبذلك ملكية المسلمين له، وهي تحتوي أيضا قبة الصخرة، تلك الصخرة التي اكتسبت القداسة من الفعل الذي حدث فوقها، حيث أم فيها النبي صلى الله عليه وسلم جميع الأنبياء والرسل، وهو فعل رمزي على نسخ رسالتهم واتباعهم له، وبذلك تقدس ذلك المكان واكتسبت فيه بعض الأشياء العادية هالة القداسة حيث أن تقديس الأشياء ليس لذاتها وإنما للقداسة التي تتجلى فيها، شجرة مقدسة حجر مقدس[19] وبذلك مدينة القدس أصبحت مدينة اسلامية مقدسة أو مباركة نظرا للأعمال التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم بها، في محيط تلك المدينة، وقدسها زمانا ومكانا.

كما أن حادثة المعراج والتي تحمل طابعا أسطوريا وطوبويا، إلا أنها حدث ونحن كمسلمين نسلم بها ونوقن بها، كونها من المعجزات التي تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهي حادثة اتصلت فيها الأرض بالسماء هذا

18- القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 01.
19- مرسيا إلياد، مرجع سبق ذكره، ص 30.

الاتصال الذي يعتبر من أهم أسباب تقديس الأماكن إذ في المكان المقدس تفتح فتحة بين السماء والأرض والعالم السفلي[20] ولذلك يشعر المسلمون كأمة أنهم أحق الأمم بملكية المدينة المقدسة وما يحيط بها، حتى إن كانوا يضمنون لأتباع الديانات الأخرى حرية العبادة وممارسة الطقوس والشعائر، لكن دون المساس بالمقدسات الإسلامية ومخالطتها وإفقادها تلك الرهبة والهيبة، وهنا يحرص المسلمون على التواجد في مدينة القدس ومقاومة كل أشكال الاقتلاع الثقافي الذي تمارسه دولة الاحتلال، إضافة إلى إحياء كل المناسبات الدينية المتعلقة بمدينة القدس، وهذا من أجل إعادة إنتاج فكرة ملكية المدينة وأحقية المسلمين بها حيث أن الأمة تحتاج إلى التكرار كي تحافظ استمراريتها[21].

إن الأمة لا تتشكل إلا بوجود حدود فاصلة وواضحة بينها وبين الأمم الأخرى، خاصة على المستوى الديني، فأي تهاون في أداء الطقوس الدينة أو تساهل فيها، سيؤدي إلى فتور تلك العلاقات التي تربط المؤمنين بعضهم، خاصة في مدينة القدس، يحث يعمل الاحتلال على فرض شرعية مزيفة عن طريق إحياء مناسبات وشعائر دينية مخترعة وربطها بمدينة القدس، رغم عدم وجود أي رابط مادي بين ادعاءاتهم وبين المدينة، لكن تمسك اليهود بشعائرهم وطقوسهم أكسبهم الكثير من التعاطف الدولي الذي يريد شرعنة سيطرتهم على

20- نفس المرجع ص 75/74.
21- بيتر ماندفيل، سياسات المسلمين عبر القومية اعادة تخيل الامة، ترجمة طلعت فاروق، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، 2018، ص 32.

المدينة المقدسة، بسبب ذلك التمسك الرهيب بشعائرهم الدينة، حيث تحول اليهود إلى حفرية نتيجة الثبات الذي يعرفونه[22].

رغم أنه ثبات مزيف ومخترع، عكس ما يملكه المسلمون من أدلة مادية ومعنوية تثبت ملكيتهم للأرض وبأنها جزء من عالمهم المقدس، ولذلك فإن دور الأمة اليوم في التمسك بمقدساتها المكانية والزمانية له دور كبير في إعادة بعث الروح الإسلامية والهوية الإسلامية للمدينة، أمة لها حدود ولديها إدراك واضح للداخل والخارج[23]، هذا الداخل والخارج يجب أن يبنى من منطلق ديني، وحتمية امتلاك الفضاء المقدسي من خلال الأزمنة المقدسة التي تتكرر في شكل أعياد، حيث يلعب العيد دورا مهما في إعادة بعث الأمة وربطها ببعضها عن طريق الطقوس والشعائر التي تقام وتأكد الأصل الواحد والانتماء الواحد، فالعيد زمن مقدس وهو يوم مكرس للإلهي[24] والإلهي نابع من الديني والديني مرتبط بفكرة القداسة والدناسة، أي كل مقدس هو مقتص على اتباع الدين الواحد وأي مخالطة لأتباع ديانات أخرى تفقده قداسته، وخاصة أن الأعياد تقام صلواتها وشعائرها في الأماكن المقدسة وبذلك يندمج المكاني المقدس مع الزماني المقدس، وهذا ما تعرفه مدينة القدس كمدينة مشحونة رمزيا بالقداسة،

22- أشرف منصور، الرمز والوعي الجمعي، دراسات في سوسيولوجيا الأديان، رؤية للنشر والتوزيع، مصر الطبعة الأولى، 2010، ص 16.
23- بيتر ماندفيل، مرجع سبق ذكره، ص 32.
24- روجي كايوا، مرجع سبق ذكره، ص 144.

وبذلك يمكن توظيف تلك المقدسات في النضال السياسي واسترجاع حقوق المسلمين المنهوبة، حيث أن في العيد يمتزج المقدس بالعادي[25] فما نمتلكه دينيا نمتلكه سياسيا، وهو نفس المنطق الذي يشتغل به العقل اليهودي، عن طريق توظيف ادعاءات دينة في تحقيق أهداف سياسية.

من خلال هذا يمكن القول أن مدينة القدس هي فضاء ديني بالنسبة للمسلمين الذين يمتلكون فيها أكبر عدد من المقدسات، وهي مقدسات مكانية مادية وأخرى زمانية معنوية، لكنها تساهم في شرعية تملك المدينة والهيمنة عليها، حيث أن المسجد الأقصى وقبة الصخرة والكثير من مزارات ومراقد الأنبياء هناك، يعتبر ملكية إسلامية، دائمة وثابتة وتحمل شواهد تاريخية وآثار وحفريات تثبت ملكية العرب والمسلمين للمدينة، إضافة إلى المناسبات الدورية التي تحدث في كل مرة وتتكرر بنفس الطقوسية وبنفس الشعائرية مثل حادثة الإسراء والمعراج، ورزنامة الصلوات عند المسلمين التي ارتبطت بالمسجد الأقصى في بداية ظهور الإسلام، كلها شواهد مادية ومعنوية تثبت ملكية المسلمين للفضاء المقدسي، لكن يجب توظيفها والعمل عليها، وتحريك جهاز الدعاية لمواجهة اليهود بنفس الفكر الذي يوظفونه في ادعاء ملكيتهم للمدينة وشرعنة تلك الملكية.

25- أحمد زين الدين، مرجع سبق ذكره، ص 23.

## 3. القدس في المتخيل الإسلامي مدينة الله الضائعة.

تـزداد الجماعـة المتخيلـة أهميـة وواقعيـة كلمـا تفككـت الجماعـة المباشـرة المحلية[26].الجماعة المتخيلة قد تكون خيالية ومخترعة ولم يسبق لها أن وجدت، لكن هناك من يسعى إلى إيجادها، واختراعها من العدم، وقد تكون الجماعة المتخيلة سابقة في الوجود، وعاشت ووجدت ثم أفلت واختفت ولم يعد لها وجود، سـوى ذكريـات جميلـة يعيـد أفـراد الجماعـة إنتاجهـا عـن طريـق المتخيـل الاجتماعي، الذي يسعى إلى إعادة بعث نماذج قديمة وإعطائها فرصة النشوء من جديد، وهذا حال الأمة الإسلامية التي وجدت في يوم من الأيام، وكانت قوية وعظيمة ومهابة، وتفرض نفوذها وسيطرتها على رقعة جغرافية واسعة، والقدس جزء من تلك الرقعة الجغرافية، ومن تلك الحضارة التي كانت ولم تعد كائنة اليوم، بينما اليهود ووجودهم في فلسطين مرتبط بأمة صنعها الخيال وليست المتخيل، وهي أمة مخترعة، حيث لم يسبق لليهود أن امتلكوا أرضا، أو أسسوا كيانا مستقلا، وهذا هو أصل الصراع حول مدينة القدس، بين أمة خيالية لم يسبق لها أن وجدت، وبين أمة متخيلة تريد أن تستعيد أمجادها الضائعة.

المسلمون اليوم يعيشون الحنين إلى الماضي، ويمكن القول أن كل الأمم لديها نزعة تقدمية لأنها تمتلك ماض تعيس، ما عدا المسلمين الذين لديهم نظرة

26- بندكت أندرسون، الجماعات المتخيلة تأملات في أصل القومية وانتشارها، ترجمة ثائر ديب، شركة قدس للنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، 2009، ص 28.

تراجعية أو نكوصية، كون ماضيهم أكثر إشراقا من حاضرهم، حيث كانت أمتهم قوية ومقدساتهم محمية، واليوم على العكس تماما، فمدينة القدس وبما تحتويه من مقدسات إسلامية، تخضع لغير سيادة المسلمين، وهي مهددة بالتدمير وبالاقتلاع الثقافي وزرع ثقافة أخرى عن طريق سياسة التهويد، وبذلك يصبح المتخيل هو طوق النجاة الوحيد لإعادة بعث هوية المدنية، فالتخيل ذلك الذي يمكننا من التذكر وإعادة عيش ماض وجد لكنه لم يعد موجودا[27] إنه يذكرنا بتاريخ المدينة المقدسة، والعهدة العمرية، وسلطة المسلمين وخضوع أتباع الديانات الأخرى لهم، وحفظ المسلمين لحقوقهم، مع التأكيد على سيادة الإسلام، وحرمة المقدسات الإسلامية، فذلك الماضي الذي لم يعد سوى ذكرى نستجديها ونتمسك بها ونحاول إعادة إنتاجها عن طريق إحياء مفهوم الأمة، وتذكيرها بدورها الحضاري وبمسؤوليتها اتجاه المقدسات الإسلامية، التي لا يمكن النظر إليها على أنها شأن فلسطيني، بل هي شأن الأمة من جنوب شرق آسيا إلى المحيط الأطلسي، ومن أدغال إفريقيا إلى جبال القوقاز، فهكذا يعمل المتخيل ويصدم الأمة بواقعها وبماضيها في آن واحد، حتى تدرك جيدا وضعيتها التي آلت إليها، فالحفاظ على ذاكرة مجموعة بشرية هو شرط هويتها

27موريس غودلييه، المتخيل والخيالي والرمز، ترجمة غازي برو، دار الفارابي، لبنان، الطبعة الأولى، 2017، ص 55.

ووحدتها[28] واليوم المقدسات الإسلامية في فلسطين المحتلة ليس لها سوى التخيل وتنشيط الذاكرة من أجل الحفاظ عليها وإعادة بعث مشروع الأمة، وإنقاذ مدينة الرب من تدنيس أعداء الرب.

إن الأراضي المحتلة اليوم بما فيها مدينة القدس، تعتبر أرضا محرمة وتحوي مقدسات متعلقة بالمكان، وأخرى متعلقة بالزمان، يحث يزيد الحنين إليها كل ما حلت تلك الذكرى، وشعر المسلمون بالعجز اتجاه الاحتفال بها والاحتفاء بها عن طريق إعادة عيش تلك اللحظة المقدسة والتي تتصل بالزمن الأصلي الذي لا يمضي ولا يتقدم بل يحافظ على هيبته وعلى تجلياته القدسية فالزمن المقدس أصلي وليس ماضيا فهو غير مسبوق بزمن آخر لأنه لا زمن يوجد قبل الزمن الذي ترويه الأسطورة[29] كما أن الزمن الإسلامي ليس بأسطوري بل هو يعبر عن حقائق دينية، إشارة إلى مدينة القدس وإلى ما حولها، وعلاقتها بأحداث النهاية، وخروج الإمام المهدي، ونزول عيسى عليه السلام، وقضية تقديم عيسى عليه السلام للإمام المهدي للصلاة، كإشارة منه إلى هيمنة الإسلام على كل الأديان السابقة، ونسخه لها، وإبطال مقدساتها وإعادة تقديسها على الطريقة الإسلامية، كل هذا يريد المسلمون عيشه من خلال استعادة السيطرة على مدينة القدس كمدينة دينية بامتياز، وتتجه إليها أعين المتدينين

28- دانيال هيرفيو ليجيه وجان بول ويلام، سوسيولوجيا الدين مقاربات كلاسيكية، ترجمة يوسف الطاهر الصديق، هيئة البحرين للثقافة والآثار، البحرين، الطبعة الأولى، 2018، ص 287.
29- مرسيا إيلياد، مرجع سبق ذكره، ص 105.

من يهود ونصارى ومسلمين، حيث يقول «جريس هالسل»: "استنادا إلى النبوءات فإن العالم كله سوف يتمركز في الشرق الأوسط، وخاصة إسرائيل في الأيام الأخيرة"[30] هذا التمركز الحتمي، يزيد من تأكيد أحقية المسلمين بتلك الأرض، حيث جاء في النص القرآني:(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأرض يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)[31] وهو تمركز في الأرض والتي يعتقد اليهود أنها أرض الميعاد، بينما ينظر إليها المسلمون كأرض يتجمع فيها اليهود لتكون بينهم وبين المسلمين تلك المعركة الفاصلة والتي ستعيد الهيمنة للأمة الإسلامية.

هذه الحقائق التي أشارت إليها أخبار الأولين من المسلمين، وتحدثت عنها كتب الحديث كنوع من الاستشراف السياسي للواقع، ولما سيقع للمسلمين في آخر الزمان، وبذلك فإن النص الحديثي ينتمي إلى الماضي، إلا أنه يحمل تنبؤات وبشارات كثيرة يجب على المسلمين أن يتعاملوا معها بنوع من الجدية، كما تتعامل معها المخابر الغربية في ظل صعود اليمين الديني حيث يرى جريس هالسال أن العقل اليميني في الغرب يدرك حقيقة مفادها أن القديس يوحنا يمكن أن نحصل من خلاله على معظم المعلومات حول هذه الأيام

30- غريس هالسل، النبوءة والسياسة، ترجمة محمد السماك، دار الشروق، مصر الطبعة الثانية، 2003.، ص 05.
31- القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 105.

الأخيرة التي نمر بها[32] وهذا ما يؤكد أن الصراع ديني في منطقة الشرق الأوسط، وعلى المسلمين أن يتعاملوا معه بهذه المنهجية، أي استعادة مكان مقدس، وليس أرضا محتلة يمكن التفاوض عليها، بل هي أرض ذات بعد روحي، إلهي، ومتعلقة بفكرة جوهرية وهي من تؤول إليه الهيمنة والسيطرة في أحداث النهاية[33] وهنا تتجلى أيضا أهمية المتخيل وأهمية الذاكرة الدينية التي يجب تفعيلها وبناء علاقة وطيدة مع الماضي الإسلامي من خلالها، بالاعتماد على النص القرآني والنص الحديثي، كونهما يربطان الأمة الإسلامية بالماضي الأصلي البعيد عن التزوير والتحريف، والذي يخبرنا بحقيقة الصراع وبكيفية التموقع فيه والانتصار، عن طريق معرفة الماضي الينبوعي الذي يشكل أفضل وقاية ضد تدهور الزمن المعاش والأساس أيضا لفعل الإنسان في العالم[34] فحاضر الأمة ومستقبلها لا يبدو سعيدا بقدر ماضيها، ولذلك يجب أن تكون هناك علاقة تجاسر بين الماضي والحاضر، ومن خلالها يمكن رسم المستقبل، ومعرفة نقاط الضعف والقوة، وكيفية مواجهة أعداء الأمة، حيث أن عملية التخيل المرتبطة بما هو ديني تساعدنا على الانتقال السلس والمرن من الزمن

32- جيرس هالسال، مرجع سبق ذكره، ص 33.
33- للمزيد انظر كرايس الجيلالي ورقاد الجيلالي الاستشراف في الحديث النبوي ( الواقع السياسي للمسلمين اليوم من خلال كتب الحديث)، مجلة البحوث في الحقوق والعلوم السياسية، جامعة تيارت، المجلد الخامس، العدد الاول، ديسمبر 2020.
34- نفس المرجع، ص 53.

الجديد إلى الزمن القديم[35] من الزمن الإسلامي الحاضر التعيس إلى الزمن الإسلامي الماضي السعيد، ومن خلال تلك النقلة يمكن استعادة مفاتيح اللعبة وقلب الطاولة على الأعداء.

إن عصرنا اليوم الذي طغت فيه النماذج المعولمة حيث يجري الترويج إلى التوحد والاندماج الثقافي، وفكرة المواطن العالمي، الذي لديه لباس واحد، طعام واحد، هم واحد، ولا اعتقاد واحد، حيث لا يمكن مواجهة هذا المسخ سوى بالتخندق في صدفية الدين والثقافية المحلية، والمعتقدات الخاصة، عن طريق الاستعانة بالذاكرة الدينية ومعرفة ما يميزنا ويفرقنا عن غيرنا، فصورة المجتمع هي صورة الأفراد الذين يجتمعون معا لتشكيل كيان سياسي انطلاقا من خلفية أخلاقية بعينها موجودة من قبل[36]، حتى نستطيع الاحتفاظ بخصوصيتنا وبهويتنا، عن طريق إعادة إنتاج الماضي ذو الصبغة الدينية، والصراع حول مدينة القدس لا يمكن أن يحسم إلا عن طريق توظيف ما هو ديني، وشعور المسلمين بأنهم مفرطون في بقعة مقدسة وتحظى بمكانة دينية، وأن تضييعها يمكن أن يجلب غضب الله، هكذا فقط سيتحرك المسلمون من أجل استعادة أرض الرب، التي يجب التذكر بالكيفية التي يجب أن تكون عليها حسب الكتب المقدسة، وحالة الطهارة التي يجب أن تكون عليها، وأن تكون حكرا على

35- بندكت اندرسون، مرجع سبق ذكره، ص 180.
36- تشارلز تايلر، المتخيلات الاجتماعية الحديثة، ترجمة الحارث النبهان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، الطبعة الأولى، 2005، ص 14.

المسلمين، وهذه وظيفة الذاكرة الدينية، التي عليها إبراز الجماعات المتمايزة عن طريق ذاكرات مخصوصة ومتنافسة[37] دينيا، لا سياسيا ولا اقتصاديا.

من خلال هذا يمكن القول أن المسلمين اليوم يشعرون بحنين إلى الماضي ويعيدون تخيله من أجل فهم واقعهم التعيس، حيث انهارت دولتهم وتفككت أمتهم، وضاعت الكثير من مقدساتهم ومن بينها مدينة القدس، التي يناضل اليوم أقلية من المسلمين داخلها على حمايتها من التهويد، الذي يشتغل وفق آلية دينة محضة، ويوظف كل ما هو ديني وعقائدي لامتلاك المدينة والهيمنة عليها، وهذا ما يجب على المسلمين اليوم التفطن له، عن طريق العمل على استعادة القدس كمدينة دينية، مقدسة، ولها علاقة وطيدة بالمعتقدات الإسلامية، هي معركة يجب على المسلمين خوضها من أجل إبطال الادعاءات الصهيونية حول مدينة القدس في ظل غياب مؤشرات مادية تثبت ادعاءاتهم، بينما يملك المسلمون كل الدلائل التي تثبت قداسة المدينة إسلاميا من الناحية الزمانية ومن الناحية المكانية.

**خاتمة:**

إن مدينة القدس تعتبر مدينة دينية، تحتوي على حرم مقدس، له علاقة مباشرة مع شعائر المسلمين وصلواتهم وبذلك هي مدينة يجب أن يفرق فيها

37- المرجع نفسه، ص 292.

بوضوح بين الديني والدنيوي، وبين المقدس والمدنس، فهي مدينة عبادة وخاصة باتباع دين واحد، وكل الشواهد والدلائل تشير إلى ذلك، وعلى المسلمين توظيف هذه الفكرة في الدفاع عن أحقيتهم في تملك المدينة، كونها مدينة مقدسة وشعائرية وتعبدية، خاصة أن المسلمين يمتلكون فيها أوقافا ذات بعد ديني مقدس، كالمسجد الأقصى وباحاته المباركة، وقبة الصخرة المرتبطة بحادثة الإسراء والمعراج، وكذلك أزمنة مقدسة، فالمدينة تعتبر أول قبلة للمسلمين وبذلك فهي ميقات زمني أساسي لدى المسلمين، إضافة إلى ذكرى الإسراء والمعراج التي كل ما حلت، حلت ببركتها وقدسيتها، فالزمن المقدس له خصوصيته التي يفهمها أتباع الدين نفسه فقط، وهذا ما يجب على المسلمين التأكيد عليه في معركتهم لاسترجاع المدينة المقدسة، عن طريق مواجهة الطرح اليهودي الديني، بطرح اسلامي ديني، يمتلك الأدلة والحجج المادية والمعنوية، إضافة إلى ضرورة تنشئة الأجيال القادمة على فكرة الصراع الديني بين الحق والباطل، بين القداسة والدناسة، بين المسلمين كملاك شرعيين لمدينة طاهرة، ودينية، وبين اليهود كمغتصبين لأرض لا تخصهم، ولا يمتلكون أي دليل على ملكيتهم لها، بل إن وجودهم فيها يعني تنجس تلك الأرض وفقدانها لخصوصيتها عند المسلمين.

**التوصيات:**

1. التركيز على الدراسات الدينية المتعلقة بالقدس.
2. التعامل مع الصراع على أنه صراع ديني وليس سياسي أو جغرافي.
3. فلسطين قضية دينة عقدية وليست قضية تصفية استعمار.
4. الترويج للجانب الديني الروحي الإسلامي في مدينة القدس ومنافسة الإعلام الصهيوني.
5. إحياء كل المناسبات والشعائر الدينية المتعلقة بالمدينة المقدسة.
6. إبراز أهمية المدينة في المتخيل الديني الإسلامي.
7. محاربة الادعاءات اليهودية الفاقدة للأدلة بالحقائق الإسلامية والأدلة المادية والمعنوية.
8. تحرك إسلامي جماعي للمطالبة بأحقية المسلمين في مدينة القدس بدل المطالب الفلسطينية.
9. إحياء التراث الإسلامي والاهتمام به وتنشئة الأجيال عليه.
10. تأسيس مراكز بحث ومخابر تهتم بالاستشراف، السياسة الدينية لدى المسلمين.
11. التعامل مع النصوص القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بأحداث النهاية كحقائق علمية.

## قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد زين الدين، الديني والدنيوي قراءة في فكر مرسيا إلياد، بيسان للنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، 2018.
2- أشرف منصور، الرمز والوعي الجمعي دراسات في سوسيولوجيا الأديان، رؤية للنشر والتوزيع، مصر الطبعة الأولى، 2010.
3- بندكت أندرسون، الجماعات المتخيلة تأملات في أصل القومية وانتشارها، ترجمة ثائر ديب، شركة قدس للنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى، 2009.
4- بيتر ماندفيل، سياسات المسلمين عبر القومية إعادة تخيل الأمة، ترجمة طلعت فاروق، الشبكة العربية للأبحاث والنشر لبنان، 2018.
5- تشارلز تايلر، المتخيلات الاجتماعية الحديثة، ترجمة الحارث النبهان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، الطبعة الأولى، 2005.
6- دانيال هيرفيو ليجيه وجان بول ويلام، سوسيولوجيا الدين مقاربات كلاسيكية، ترجمة يوسف الطاهر الصديق، هيئة البحرين للثقافة والآثار، البحرين، الطبعة الأولى، 2018.
7- روجي كايوا، الإنسان والمقدس، ترجمة سمير ريشا، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الأولى، 2010.
8-سعيد المصري، تراث الاستعلاء بين الفلكلور والمجال الديني، مؤسسة باتنة، جمهورية مصر العربية، 2019.
9- عامر عبد زيد الوائلي، العقلانية الغربية ورهانات الدين مقاربات في فلسفة الدين، مؤسسة دار الصادق الثقافية، العراق، الطبعة الأولى، 2019.
10- عبد الكريم سروش، السياسة والتدين دقائق نظرية ومآزق عملية، ترجمة أحمد القبنجي، دار الانتشار العربي، لبنان، الطبعة الأولى، 2009.

11- غريس هالسل، النبوءة والسياسة، ترجمة محمد السماك، دار الشروق، مصر الطبعة الثانية، 2003.

12- فتحي المسيكني، الإيمان الحر أو ما بعد الملة مباحث في فلسفة الدين، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، المغرب الأقصى، الطبعة الأولى، 2018.

14- كرايس الجيلالي، رقاد الجيلالي، الاستشراف في الحديث النبوي ( الواقع السياسي للمسلمين اليوم من خلال كتب الحديث)، مجلة البحوث في الحقوق والعلوم السياسية، جامعة تيارت، المجلد الخامس، العدد الأول، ديسمبر 2019.

15- كلود دوبار، أزمة الهويات تفسير تحول، ترجمة رندة بعث، دار المكتبات الشرقية، 2008.

16- مارفين هاريس، التحريم والتقديس نشوء الثقافات والدول، ترجمة أحمد م. محمد، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، قطر، الطبعة الأولى، 2020.

17- مارفين هاريس، مقدسات ومحرمات وحروب، ألغاز الثقافة، ترجمة أحمد م. أحمد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، الطبعة الأولى، 2017.

18- مارك أوجيه، اللاأمكنة مدخل إلى أنثروبولوجيا الحداثة المفرطة، ترجمة ميساء سويفي، هيئة البحرين للثقافة والآثار، البحرين، الطبعة الأولى، 2018.

19- مرسيا إلياد، المقدس والعادي، ترجمة عادل العوا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بدون طبعة، 2009.

20- موريس غودلييه، المتخيل والخيالي والرمز، ترجمة غازي برو، دار الفارابي، لبنان، الطبعة الأولى، 2017.

21- نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، دار افريقيا الشرق، المغرب، بدون طبعة، 2011.

# مدينة القدس في كتب الرحلات المغربية خلال التاريخ الحديث والمعاصر

- د. ربيع عوادي
- جامعة سيدي محمد عبد الله، المغرب

## المقدمة:

تعتبر مدينة القدس منارة من منارات التاريخ الإيماني للبشرية جمعاء، إذ شهدت مولد الهدى وأنوار الرسالات، وغير خاف ما لهذه البلاد المقدسة من قيمة لدى المسلمين كذلك، باحتضانها للمسجد الاقصى الذي هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وارتباطها بالإسراء والمعراج[1]. لذلك لا غرو أن تتعلق بمدينة القدس أفئدة المسلمين جميعا والرحالة المغاربة خصوصا، وما علق في أنفسهم من ذكريات إيمانية وروحانية يغذيها التاريخ ويذكيها الحاضر بصنوف الابتلاءات التي تتعرض لها المدينة منذ منتصف القرن العشرين من تغيير للمعالم العمرانية والتاريخية والجغرافية، مع ما يرافق ذلك من قهر لأهلها[2].

1- محمد بوكبوط، سفارة محمد بن عثمان المكناسي ومشاهداته في استانبول والشام والحجاز 1786 - 1789، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس – فاس، مطبعة سايس، الطبعة الأولى، 2004، ص 212.

2- عبد الهادي التازي، القدس والخليل في الرحلات المغربية رحلة ابن عثمان نموذجا، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، 1997م، ص 9.

وقد تناولت هذه الدراسة مدينة القدس في كتب الرحلات المغربية خلال التاريخ الحديث والمعاصر، حيث شهدت هذه المرحلة تطورات وأحداث خطيرة سواء على مستوى التنقل إلى القدس والأراضي الفلسطينية، أو على مستوى الاستفزازات والمضايقات والعراقيل الإسرائيلية، أو المنع من دخول الأراضي الفلسطينية بالضفة الغربية والقدس، ناهيك عن الممارسات الصهيونية اليومية ضد الفلسطينيين والبلاد العربية والمقدسات الإسلامية؛ من تهويد وقضم للأراضي وبناء جدار العزل العنصري وبناء المستوطنات، ورغم ذلك يتشبث الإنسان الفلسطيني بإرادة قوية للحفاظ على وجوده في هاته البقاع المقدسة صابرا صبورا محتسبا لله تعالى.

فما هي المسارات البرية والبحرية التي سلكها الرحالة للوصول إلى المدينة المقدسة؟ وما هي أهم انطباعاتهم الروحية والتاريخية التي ترسخت في ذهنية الرحالة بعد زيارتهم لمعالم المدينة المقدسة؟ وكيف تعامل الرحالة المغربي مع إجراءات السفر والدخول والخروج من فلسطين إبان الانتداب البريطاني؟ وكيف تقبل القيود المفروضة قهرا من قبل إسرائيل للدخول إلى القدس وكذا استفزازات الجنود لزوار بيت المقدس؟

**أ. البعد الروحي والتاريخي للقدس في رحلتي ابن عثمان المكناسي ومحمد بن جعفر الكتاني.**

زار الرحالة ابن عثمان المكناسي مدينة القدس خلال ق 18 بعد العودة من الحج ضمن الركب الشامي، وأطلعنا في رحلته على الأوضاع بولاية الشام

العثمانية ومنها فلسطين والقدس، فإلى جانب البعد الروحي في رحلته وزيارته للأماكن المقدسة بالمدينة بدءا من المسجد الأقصى وقبة الصخرة وغيرها من المزارات واشتراك الديانات الثلاث في الإرث التاريخي للمدينة، فقد مكننا من الوقوف على معلومات تاريخية لها أهميتها، إذ كان شاهدا عيانا على أحوال القدس وبواديها والتغيرات التي طرأت عليها[3].

ومن ملاحظاته في هذا الصدد ما رواه عن قيام السلاطين العثمانيين بتخصيص صدقة جارية على سكان القدس، إذ عينوا زاوية هناك تقدم الطعام طوال اليوم[4]، وقد تأثر الرحالة بلطافة أهل القدس وكرم الضيافة الذي حظوا به خلال تنقلهم في أرجاء الأراضي المقدسة، إلا أنه لم يتردد في كشف جانب آخر من الممارسات السلبية للحكام والولاة العثمانيين الذين أكلوا اللحم وامتشوا العظم واستفو المخ، الشيء الذي يؤكد مدى التعسف والنهب الذي ميز سيرة الحكام المحليين، كما استنكر نظام الالتزام الذي ميز السياسة الجبائية العثمانية القائم على تكليف الوزراء والولاة للنصارى بقبض وتحصيل الخراج والضرائب من المسلمين[5].

أما الرحالة محمد بن جعفر الكتاني فقد زار القدس سنة 1903م أي في السنوات الأخيرة من حكم الدولة العثمانية لفلسطين، وقد ترك لنا معلومات قيمة حول تنقله إلى فلسطين والقدس، حيث سافر بحرا في سفينة من بيروت إلى

3- محمد بوكبوط، م س، ص 214.
4- نفسه، ص 220.
5- نفسه، ص 222.

مرسى حيفا ثم يافا، ومن يافا استقل القطار أو ما سماه "ببابور البر" إلى القدس في رحلة استغرقت حوالي أربع ساعات[6].

وقد أقام في نزل بمدينة القدس قرب مسجد الصخرة، وزار معالمها المقدسة رفقة شيخ الحرم المقدسي عمر الدنق الأنصاري، حيث زارا الحرم القدسي وأبوابه الأربعة عشر المغلقة منها والمفتوحة، وذكر المصليات الخاصة بالمذاهب الأربعة: المالكية بمسجد المغاربة، والشافعية بالمسجد الأقصى، والحنفية بمسجد الصخرة، والحنبلية بمسجد تحت المدرسة السلطانية[7]، كما زار الرحالة قبة الصخرة والمعراج والأبيار مثل بير الأرواح وبير الورقة، وزار محراب سيدنا موسى والمساجد والجوامع والمدارس مثل المدرسة الصلاحية، لكنه لم يتمكن من دخولها لأنها بيد "النصارى" بعد أن حولوها إلى كنيسة[8].

وأشار الرحالة كذلك في معرض حديثه عن الأماكن التي زارها بالقدس إلى قلعة داود التي توجد بيد الجنود العثمانيين، واجتمع ببعض علمائها منهم مصطفى زين الدين الالوسي قاضي القدس، ونائبه شفيق بن الطاهر، ومفتي القدس محمد طاهر بن مصطفى الحسيني وخطباء المسجد الأقصى والمدرسين به[9].

---

6- محمد بن جعفر الكتاني، الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية، تخريج محمد حمزة بن علي الكتاني، تقديم وتعليق محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م، ص 288.

7- نفسه، ص 290.

8- نفسه، ص 303.

9- نفسه، ص ص 309-311.

وتطرق إلى بعض عادات أهل القدس حيث آخذ عليهم قلة حفظهم للقرآن الكريم وقلة العلم حديثا وتصوفا ولغة ونحوا وغيرها، ولاحظ على علمائها أنهم يخطئون كثيرا، إذ سمع أحد علماء الحنفية يدرس بالمسجد الأقصى ويقول بتقصير صلاة المغرب[10]. واستنكر الرحالة الدخول للمسجد المقدس بالنعال، فلا ينزعونها إلا عند دخول المسجد الأقصى أو مسجد الصخرة، وغاضه كثيرا استعمال الدخان فيه حيث لا يجتنبوه إلا في المسجدين المذكورين ولا يوجد من ينهاهم عنه[11]. تحدث الرحالة في هذا التاريخ المبكر عن التركيبة السكانية لمدينة القدس، وأثار انتباهه كثرة اليهود بالمدينة يليهم النصارى، أما المسلمون فقليلون يستقرون بالقرى حول المدينة، وفيها كنائس لليهود وبيع للنصارى تضرب النواقيس في كل وقت، وبإمكان اليهود والنصارى دخول الحرم الشريف رجالا ونساء بإذن الحاكم العثماني للبلد، إلا أن الرحالة لم يشر إلى تعبد اليهود بحائط البراق رغم زيارته له. هاته الأوضاع التي أصبحت عليها البقاع الشريفة جعلت الرحالة يجزم بعودة غربة الدين فيها كما كانت في البداية[12].

**ب. القدس زمن الانتداب البريطاني**

**1. إجراءات الدخول إلى فلسطين**

نشطت الرحلات المغربية كثيرا خلال ثلاثينيات القرن العشرين صوب الأراضي المقدسة بفلسطين، مستفيدة من ظروف النقل البحري المناسبة، إذ

10- نفسه، ص 313.
11- نفسه، ص 314.
12- نفسه، ص ص 313-314.

غالبا ما كانت السفن البحرية تعرج على مرسى بيروت في الذهاب أو الاياب، وقد استغل الرحالة المغاربة التوقف ببيروت لزيارة القدس الشريف والبقاع المقدسة، وكانوا يسافرون إلى القدس بالسيارات لسهولة التنقل بها ولما توفره من أسباب النزهة وزيارة أحسن المواقع والمآثر، كما أن ثمن التنقل في متناول الرحالة، وكانت الرحلة تستغرق من يومين إلى ثلاثة أيام يزورون خلالها القدس والخليل وغيرها من المدن والمآثر.

وقد كان الدخول إلى الأراضي الفلسطينية الخاضعة للانتداب البريطاني آنذاك بسهولة ويسر، إذ يكفي إظهار جواز السفر للمراقبين على الحدود بين لبنان وفلسطين بمنطقة الناقورة؛ حيث الجمارك الفرنسية من ناحية لبنان والجمارك الانجليزية ناحية فلسطين، ثم المرور على مدن عكا وحيفا ونابلس ودومالة قبل الوصول للقدس[13].

نفس الشيء على الحدود السورية الفلسطينية حيث الجمارك الفرنسية والانجليزية بمنطقة الجاعونة التي يسكنها اليهود، فيمرون على بحيرة طبريا وكفر كنا والناصرة وجنين والرملة ثم القدس.

في حين دخل الرحالة محمد داود الذي كان في جولة بالبلاد العربية بالعراق عبر الأردن، وقد غادر بعض الرحالة الأراضي الفلسطينية برا عبر الحدود المصرية، فإلى غاية ثلاثينيات القرن العشرين كان التنقل من وإلى

13- أحمد بن محمد الهواري، دليل الحج والسياحة، المطبعة الرسمية، الطبعة الأولى، الرباط، 1354هـ/ 1935م، صص 228-230.

الأراضي الفلسطينية يتم بسهولة ويسر، إذ لم يتعرض الرحالة المغاربة لأي نوع من المضايقات أو المنع، اللهم بعض الاستفسارات التي وُجهت للرحالة على الحدود السورية الفلسطينية حول حملهم الفواكه وتفتيشهم لأنهم يمنعوا دخولها إلى فلسطين، عكس من أتى بشيء منها من الأراضي الفلسطينية، وهو ما يدل على كثرة الفواكه وأشجار الكروم بفلسطين[14].

**2. بوادر النزاع الفلسطيني اليهودي حول القدس**

شهدت ثلاثينيات القرن العشرين بداية الاصطدام بين اليهود والمسلمين، لذلك تم الاتفاق على تحديد فضاء بالقدس خُصص لتعبد اليهود يصل طوله حوالي 15 متر فقط، وذلك بعد المعارك التي خاضها الفلسطينيون ضد الإسرائيليين[15]، وقد وجد الرحالة بوشعرة جماعة من اليهود يتعبدون بالقراءة وإيقاد الشموع، ويحرسهم الجنود لمنع اصطدامهم بالمسلمين[16]، ولمنع انتهاكاتهم الصارخة ورغبتهم في توسيع الحيز المخصص لعبادتهم يبقى التاريخ والحيازة أعظم حجة للمسلمين[17] . كما اقتسم اليهود الزيارة مع المسلمين بالحرم الإبراهيمي في الخليل، حيث وجد الرحالة ادريس الجعيدي جماعة منهم تشارك

14- الحسن بن الطاهر وعزيز، رحلة إلى المشرق والحرمين سنة 1933م، إعداد الطاهر وعزيز، مجلة التاريخ العربي، العدد التاسع شتاء 1419هـ/ 1999م، صص 231-255، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 253.

15- أحمد بن محمد الهواري، م س، ص 234.

16- محمد بن الحاج الهاشمي حجي السلاوي بوشعرة، الرحلة السلاوية إلى الديار الحجازية، تقديم وإخراج كوثر أبو العيد، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس، 2006م، ص 63.

17- إدريس بن محمد بن إدريس الجعيدي، الرحلة الحجازية، منشورة بجريدة السعادة في 25 جزءا، خلال سنة 1930م/ 1348-1349هـ.، عدد 28 ربيع النبوي 1349هـ/ 13 غشت 1930م.

المسلمين في زيارة المكان، ويفصل بينهم خط مرسوم بالحائط علامة على انتهاء مزارهم لا يتجاوزونه[18]. أشار الرحالة ادريس الجعيدي إلى خضوع القدس عاصمة فلسطين للانتداب الانجليزي يترأسه حاكم يلقب بالمندوب السامي، وكان للحكومة الفلسطينية مجلس إسلامي شرعي يترأسه الشيخ أمين الحسيني، وقد تنبه الرحالة منذ وقت مبكر إلى أن اليهود يبذلون قصارى جهدهم وينتهزون كل الفرص لاتخاذ فلسطين وطنا قوميا لهم، ويدعون اليهود من كل الأقطار للهجرة إلى الأرض المقدسة لتتسع دائرة نفودهم، فصار عدد كثير منهم يزاحم موظفي الحكومة، لكن الرحالة عاد واستدرك بأن المسلمين الفلسطينيين محافظون على وطنهم الإسلامي ولن يسمحوا بأدنى حق واجب لهم فيه[19].

تميزت هذه المرحلة بتكثيف الهجرات اليهودية نحو فلسطين، حيث وصل عددهم سنة 1955م حوالي 450 ألف يهودي مسجلين في الإحصاء والحاملين للجنسية الفلسطينية، في حين احتفظ عشرات الآلاف منهم بجنسياتهم الأصلية ولم يدخلوا في الإحصاء[20]، وقد أخبر الحاج أمين الحسيني الرحالة محمد داود بأن اليهود ساوموا الأمير شكيب أرسلان بأن يسمح لهم العرب بهجرة 7 ملايين

18- نفسه، ص57.
19- إدريس بن محمد بن إدريس الجعيدي، الرحلة الحجازية م س، عدد 28 ربيع النبوي 1349هـ/ 23 غشت 1930م.
20- محمد داود، الرحلة الشرقية 1353هـ/ 1935م، إعداد وتقديم حسناء داود، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2014، ص 152.

يهودي إلى فلسطين مقابل تقديم مساعدات لهم، لكن الأمير رفض ذلك مستهزئا وأرسل منشورا إلى أهالي فلسطين يحذرهم من دسائس اليهود[21].

كانت إشارات الرحالة دقيقة حول ما كان يتمخض بالقطر الفلسطيني الشقيق في فترة ما قبل وقوع الكارثة وانتزاع هذا العضو من جسم الوطن العربي الكبير، ومن ذلك مسألة بيع الأراضي لليهود[22]. وقد حضر محمد داود رفقة صديقه طاهر الفتياني مدير جريدة الجامعة العربية الاجتماع الذي انعقد بين السوريين والفلسطينيين بكلية الروضة، في موضوع شراء أرض البطيحة على الحدود بين طبرية وفلسطين بواسطة الاكتتاب، وقد وجد في استقباله المفتي أمين الحسيني الذي خاطبه بالقول: "منذ مدة ونحن في انتظاركم يا مرحبا"، تم افتتح الجلسة التي حضرها حوالي 50 شخصا، وتأسست لهذا الغرض شركة من أجل شراء الأرض واستثمارها مناصفة بين سوريا وفلسطين، حيث تسابق السياسيون والعلماء ورجال الأعمال للاكتتاب وشراء الأسهم في مدة وجيزة[23]. وقد أثارت هذه القضية الكبرى اهتمام السياسيين والوطنيين على الأراضي الفلسطينية، لا سيما مع استفحال ظاهرة شراء اليهود للأراضي.

### 3. دفاع الفلسطينيين عن المقدسات الإسلامية.

قام أبناء فلسطين خلال ثلاثينيات القرن العشرين بجهود كبيرة لمحاربة بيع الأراضي لليهود، وكان للمجلس الإسلامي الأعلى بقيادة الحاج أمين

21- نفسه، ص 159.
22- نفسه، ص 15.
23- نفسه، ص 154.

الحسيني وعلماء فلسطين دورا بارزا في ذلك، حيث أصدر المؤتمر الأول لعلماء فلسطين المنعقد بتاريخ 20 شوال 1353هـ/ 26 يناير 1935م فتوى تقضي "بتحريم بيع أي شبر من أراضي فلسطين لليهود، واعتبار البائع والسمسار والوسيط المستحِل للبيع مارقين عن الدين خارجين عن زمرة المسلمين، وحرمانهم من الدفن في مقابر المسلمين ومقاطعتهم في كل شيء والتشهير بهم"[24].

كما قام العلماء بحملة كبيرة في جميع مدن وقرى فلسطين ضد بيع الأراضي لليهود، وعقدوا اجتماعات كثيرة وأخذوا العهود والمواثيق على الجماهير بأن يتمسكوا بأرضهم وأن لا يفرطوا في شيء منها، وبذلك تمكنوا من إنقاذ أراض كثيرة كانت مهددة بالبيع، حيث اشترى المجلس الإسلامي الأعلى قرى بأكملها وأوقف البيع في حوالي ستين قرية من قرى يافا، وتشكلت في هذا الصدد مؤسسات وطنية أسهمت في إيقاف بيع الأراضي حيث أنشئ صندوق الأمة تحت إدارة الفلسطيني أحمد حلمي باشا الذي تمكن من إنقاذ أراضي البطحية[25]، وبذلك حققت هذه الحملة غايتها وكان لها الأثر الفعال في تراجع المبيعات من الأراضي لليهود.

وقد أخبر المفتي أمين الحسيني الرحالة محمد داود –حينما زاره في بيته وشكره على جهوده في الدفاع عن مصالح فلسطين والأراضي المقدسة– بأن

24- نفسه، ص 52.
25- نفسه ونفس الصفحة.

اليهود يئسوا من الحركة الدينية التي قام بها علماء المسلمين، إذ وردت تقارير حكومية إسرائيلية تعترف بأن هذه الحملة كانت سببا في تراجع بيع الأراضي ب 90% رغم الجهود الكبيرة التي بذلها اليهود والمبالغ الطائلة التي صرفوها، حيث صرحوا بأنهم أنفقوا 30 ألف ليرة لشراء الأقلام المأجورة والصحف الانتهازية للدعاية لمخططاتهم، ومن ذلك الحملات التي قادتها الجامعة الإسلامية لصاحبها سليمان التاجي بإيعاز من اليهود لثني علماء فلسطين عن مجهوداتهم[26].

وفي سياق دفاع الرحالة محمد داود والمفتي الحاج أمين الحسيني عن القدس تناولا الحديث عن دور الصحافة الحرة الوطنية في الدفاع عن القضايا المصيرية للأمة، وتأسست لهذا الغرض شركة كبيرة برأسمال قدره 550 ألف ليرة لإنشاء صحافة بديلة للصحف المأجورة، وكانت هذه الحركة سببا في تنبيه كثير من الناس إلى واجباتهم في الدفاع عن القدس، وسأل الحاج أمين الحسيني الرحالة عن عناوين بالمغرب يرسل إليها بعض منشوراتهم، فأجابه لذلك وأضاف بأنه مستعد لكل خدمة تلزم لأنها ليست خدمة أشخاص بل خدمة دين ومبدأ[27].

وهذا ما جسده بالفعل داخل الأراضي الفلسطينية حينما شن حملة على اختلاف الفلسطينيين حول بيع الأراضي، وذلك في حفلة أقيمت بمدرسة نابلس

26- نفسه، صص 158-159.
27- نفسه، ص 159.

على شرف المدعوين من العلماء والمدرسين، وتكرر نفس الأمر بنادي خالد بن الوليد للكشفية بنابلس، حيث استنكر الرحالة في كلمته التي خص بها المحاضرة الأسبوعية المنظمة بالنادي أعمال الخونة والعاملين على التفريق بين الأمة، وعبّر عن رغبته في خدمة القضية بنشر آخر أخبارها والدعاية لها بالمغرب وغيرها[28]. كما أشار محمد داود كذلك إلى التعبئة الشاملة بالأراضي الفلسطينية لمقاطعة اليهود، فلا يسافرون في سيارتهم ولا يشاركونهم في المعاملات التجارية.

ومما لفت انتباه الرحالة بالقدس كرم وضيافة أهلها، إذ رفض عبد السلام الفتياني أخ مدير مجلة الجامعة العربية نزول الرحالة بالفندق وأصر على أخذ أمتعته والنزول عنده بمنزله المطل على ساحة قبة الصخرة، حيث أحس بالراحة والطمأنينة لمجاورته الحرم المقدسي[29]. واستغل فرصة وجوده بالقدس لزيارة دار الأيتام وجريدة الجامعة العربية وبيت المفتي، ثم التقى بقاضي المدينة ورئيس محكمة الاستئناف وزار مدرسة الروضة. واستقدم التلاميذ المغاربة الذين يدرسون في مدرسة النجاح بنابلس للقيام بجولة في القدس، وبعد إنهاء زيارته للقدس سافر إلى القاهرة عبر غزة في القطار[30].

28- نفسه، صص 164-165.
29- نفسه، صص 156-158.
30- نفسه، صص 176-178.

## ج. القدس تحت الاحتلال الإسرائيلي

### 1. السفر إلى القدس جوا

يبقى أبو بكر القادري الرحالة المغربي الوحيد الذي زار القدس جوا سنة 1957م، حيث استقل الطائرة من القاهرة إلى عمان عاصمة الأردن، لكن توقفها بمدينة القدس جعله يغير رأيه ويمكث في القدس مهد الأنبياء وموطن المرسلين للزيارة والتبرك، ووجد تسهيلات من طرف مدير مطار القدس وهو فلسطيني دكتور في الحقوق استقبله بمكتبه وأعاره سيارته الخاصة لتنقله إلى الفندق الوطني، حيث قصد المسجد الأقصى قبل كل شيء للصلاة فيه، وقد دعا الله هنالك "برد غربته" وهو ما يوحي بأن الاستفزازات الإسرائيلية قد بلغت المسجد الاقصى، وبعد توقيعه في الدفتر الذهبي للمسجد زار مسجد الصخرة ومسجد عمر وغيره من المآثر والمساجد وكذلك كنيسة القيامة[31].

لم يتوقف كرم وحفاوة مدير المطار عند هذا الحد، بل ذهب عند الرحالة أبو بكر القادري رفقة رئيس محكمة الاستئناف بالقدس وشخصيات فلسطينية سامية أتوا جميعهم للترحيب به كأخ من إخوانهم، واستدعوه للقيام بجولة في مدينة القدس من أجل الاطلاع على معالم المدينة، فاستقل معهم السيارة وأثناء تجولهم على أرجاء المدينة وقفوا على الجدار الفاصل بين القدس الذي خُصص للعرب والجزء الذي اغتصبه اليهود، وتناولوا بينهم أحاديث متنوعة وبالأخص

31- أبو بكر القادري، رحلاتي الحجازية ارتسامات وذكريات عن ثلاث رحلات إلى الديار المقدسة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995م، ص 35.

موضوع فلسطين والوجود الإسرائيلي، وواجب الفلسطينيين والعرب لتحرير الجزء الذي اغتصبه اليهود منهما[32]. ورغم عفوية رحلته فقد كانت موفقة حيث أطلعنا فيها على بعض أحوال مدينة القدس خلال خمسينيات القرن العشرين، وذلك بفضل مدير مطار القدس الفلسطيني الذي قدم له مساعدات كثيرة.

## 2. القدس في قبضة الاحتلال الإسرائيلي

تمكن الرحالة أحمد المديني من زيارة القدس على هامش مشاركته في معرض الكتاب المقام برام الله سنة 2014م، حيث كان المغرب ضيف شرف هذه الدورة، وقد ترك لنا أحمد المديني في نصه الرحلي المعنون ب "الرحلة إلى رام الله" فصولا تراجيدية من معاناة دخول العرب والفلسطيني إلى الأراضي الفلسطينية وبالأحرى إلى القدس، فالدخول إلى مناطق الأرض المحتلة حيث مناطق السلطة التي عاصمتها الإدارية رام الله ليس بيد السلطة وإنما بيد الإسرائيليين، هم المتحكمون في الدخول والخروج في النقاط الحدودية المؤدية إلى فلسطين المغتصبة المحتلة[33].

ذلك أن الدخول إلى فلسطين مرهون بتصاريح الدخول الذي تمنحها إسرائيل وفق ما تقتضيه مصلحتها، مع ما يرافق ذلك من استفزازاتها والتأخر في الرد عن التصاريح أو رفض منحها وغير ذلك، وفي هذا الجانب أشار الرحالة إلى ناشر مغربي طمأن الجميع بأن لا ييأسوا؛ لأنه للسنة الثالثة يحضر

32- نفسه، ص 36.
33- أحمد المديني، الرحلة إلى رام الله، منشورات دار الأمان، مطبعة الكرامة، الرباط، 2014م، ص 166.

إلى عمان قاصدا معرض الكتاب برام الله لكن الإسرائيليين يرفضون منحه تصريح الدخول[34]، ولم تتوقف استفزازات اليهود عند هذا الحد بل إنهم يوقفوا كل عربي سيما إن كان مرتديا زيه التقليدي، فيتهمونه بتهم جاهزة من إرهاب وغيره من النعوت الدنيئة. هذا فضلا عن تخوف كل العرب وقلقهم من طبع جوازاتهم بطابع الاحتلال الإسرائيلي مما يسبب لهم عراقيل كثيرة في مطارات عربية أخرى، إلا أن الضابط الفلسطيني المرافق لهم طمأنهم عدة مرات بأن الجوازات لن تطبع وإنما يتم الدخول بتصاريح الدخول فقط[35].

دخل الرحالة إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة من الحدود الأردنية عبر معبر الكرامة الذي اشتهر أولا باسمه الأصلي "اللنبي"، وهو اسم الجنرال البريطاني "إدموند اللنبي" الذي دخل إلى القدس يوم 9 دجنبر 1917م وقال قولته الشهيرة: "الآن انتهت الحروب الصليبية"[36]. وقد وصف الرحالة منظر العبور بدقة متناهية بعد أن أصبح وجها لوجه في مواجهة العدو المحتل الذي سيمسك أوراقه ويفحصها ويستفسره لم أنت هنا؟، بعد أن أصبح المحتل هو صاحب "المكان" لمّا استحوذ على الأرض، بخليط هجين من الجنود وصفهم الرحالة بالقول: "إنهم فتية يهود بيض وسمر من الفلاشا، ذكورا وإناثا يدهم على الزناد"[37].

34- نفسه، ص 167.
35- نفسه، ص 176؛ 182.
36- نفسه، ص 171.
37- نفسه، ص 174.

لم ينتظر الرحالة كثيرا في المعبر بل مر أسرع مما ظن بجوازه الأوروبي طبعا، ولأن الموظفة الإسرائيلية المكلفة بمراقبة الجوازات من نفس المدينة التي ولد بها، وقد عرفت ذلك بعد قراءتها المعلومات المثبتة بجوازه، وأخبرته بأنها اشتاقت إلى زيارة الدار البيضاء فدعاها لزيارتها، لكنه اندهش حينما أخبرته بأن المغرب بلدها، فتساءل مستعجبا وفلسطين!؟، لتمنحه في الأخير بطاقة الدخول إلى فلسطين وعرضت عليه زيارة إسرائيل، لكنه رفض وتشبث بزيارة رام الله والقدس فقط[38].

ومن ملاحظاته في هذا الصدد إخباره بصعوبات تجاوز المعابر إلى أرض فلسطين حيث وجد عدة حواجز أمنية للمراقبة الإسرائيلية، فالجنود يشكون في كل العرب العابرين بأنهم إرهابيون أو احتمال أن يكونوا كذلك إلى أن يثبت العكس[39]. ورغم قرب المسافة بين رام الله والخليل فإنهم استغرقوا وقتا طويلا للوصول، وأضاف بأنه في هذا المكان يجب على المرء أن يتعلم ويزداد يقينا بأن المسافة لا تحسب بالكيلومترات بل بالزمن، وقبل الوصول إلى الخليل كان عليهم المرور عبر السلاسل والجبال والوهاد والدروب الصعبة التي أحدثها الاحتلال بعدما مد جدار الفصل العنصري للتضييق على تنقل الفلسطينيين.

ورغم تذمر راكبي الحافلة من المشاركين المغاربة والعرب واستفسارهم المتواصل للسائق هل اقتربنا؟، يكون جوابه عشر دقائق سرعان ما تتحول إلى

38- نفسه، ص 183.
39- نفسه، ص 188.

نصف ساعة، ثلاث ساعات أربع ساعات، ليؤكد في الأخير أن للزمن هنا توقيت آخر ليس من ذهب أو مال، بل من الصبر وتحمل المشقة والمكابدة، وزاد متيقنا بأن الفلسطيني "لا ولن ييأس، يفنى عمره وعمر أجيال فنت، ووقته كله مع العيش يسخره للزمن القادم، للعودة، وليكن حلما... سيعود، لا بد يعود"[40].

عانى الوفد المغربي الأمرين خلال رحلته من رام الله إلى الخليل لزيارة مآثرها التاريخية الإسلامية والمسيحية، فعلى طول الطريق البالغ طولها 60 كيلومترا فقط، يضطر الركاب والفلسطينيون إلى سلك طرق أكثر خطورة بعد أن استحوذ الاحتلال على الطريق السيار، لأن اليهود يقضمون المزيد من الأراضي الخصبة ويزيدون في توسيع المستوطنات وإقامة الجدران لحمايتها[41].

ومن الصور البليغة لهذا التعسف والجور ما ذكره الرحالة بأن الاحتلال يتدخل في كل شيء ويحرم الفلسطينيين من كل شيء؛ من الماء والكهرباء والتنقل، وعبّر لهم سائق الحافلة عن حصرته لعدم تمكنه من زيارة البحر منذ ثمانية عشر سنة، ورغبته في زيارة ساحل مدينة يافا التي ولد بها[42].

وفي هذا السياق لم يخف الرحالة تذمره من جدران العزل العنصري التي تنصب عاليا بعلو 4 و5 و9 أمتار تشق الأرض قسمين، وتفصل بين أرضين

40- نفسه، ص 189.
41- نفسه، ص 217.
42- نفسه، ص 218.

وشعبين مستعمَر ومحتل، فضلا عن الحواجز الالكترونية التي تزعم إسرائيل أنها تحمي مواطنيها مما تسميه الإرهاب.

وقد بلغ طول الجدار 700 كلم صانعا حواجزا ومنعرجات تحيط بمعظم أراضي الضفة الغربية وتعيق حركة التنقل، فأصبح التلاميذ والعمال والسكان يحتاجون إلى قطع كيلومترات للوصول إلى ما كان يحتاج منهم إلى خطوات، لذلك كان سائق الحافلة التي كان على متنها الرحالة يشتكي بين الفينة والأخرى قائلا: "شايفين اليهود شو عاملين فينا"، وهو يشير إلى الجدران الموازية لخط السير أو المعرقلة له، فيضطر للالتفاف حول استدارات عديدة لمواصلة السير حسب خط امتداد الجدار[43]. ومنذ وصول الرحالة إلى رام الله للمشاركة في معرض الكتاب وباله منشغل مع القدس، يرغب في زيارتها والصلاة في المسجد الأقصى، شأنه شأن باقي المشاركين العرب والمغاربة، فظل طيلة أيام المعرض يسأل عن طرق زيارتها[44]. وبعد قيام الوفد المغربي بجولة في مدينة الخليل عاد إلى رام الله، لكن الرحالة اعتذر لرفقائه وأخبرهم بأنه يريد زيارة القدس، فقرر الذهاب لوحده عسى أن ينفعه الجواز الأوروبي في زيارة المدينة، فمر من خلال معبر قلنديا بيسر بعد أن راقبوا جوازه، واستقل حافلة صغيرة إلى القدس منتهى آمال ومنى كل فلسطينيي الشتات وكل العرب والمسلمين، لأن زيارة القدس تحتاج بدورها إلى تصريح جديد[45].

43- نفسه، ص 216.
44- نفسه، ص 231.
45- نفسه ونفس الصفحة.

وبديهي أن يفيض الرحالة في ذكر الأماكن المقدسة التي زارها، فهي مرسومة في ذاكرته لم يسأل أحدا خريطتها، فقصد المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ومشى في شارع صلاح الدين إلى نهايته حيث باب العامود والقدس القديمة "الشرقية"، أما القدس "الغربية" ذات العمران الحديث فلا حاجة له بها ولم يرغب في زيارتها[46].

وتكشف شهادات الرحالة عن سياسة فرض الأمر الواقع التي كرسها الاحتلال بالقدس، حيث صادف أثناء تجوله بالمدينة سياحا من أمريكا وألمانيا ومن مختلف الجنسيات، إلا من العرب والمسلمين فأنشد قائلا:

أحرام على بلابل الدوح حلال للطير من كل جنس

ويضيف بأن السياح الأجانب يتجولون بالقدس وينظرون باندهاش إلى سحنات نساء ورجال فلسطين كتحف نادرة ولقى غريبة ممن تبقى من أرض فلسطين التاريخية، ثم علق بالقول:

ترى الفتى العربي فيها غريب الوجد واليد واللسان[47]

ومن مظاهر الاستفزازات التي تعرض لها أثناء تجوله في القدس استوقافه بسبب سحنته السمراء بباب العامود من طرف جنديان مدججان بالسلاح يسألانه ويفتشانه، ثم بعد ذلك استوقفته فرقة عسكرية أخرى تسأل من أنت؟ من أين أتيت؟ هل معك سلاح؟ قبل أن يفسحوا له أخيرا بالدخول. وقد نبهه أحد

46- نفسه، ص 233.
47- نفسه ونفس الصفحة.

العرب بالحفاظ على أوراقه وجوازه من الضياع، وحينما وصل إلى باحة المسجد وقبة الصخرة التي تشع في قلب ملايين المسلمين توضأ للصلاة، وتذكر الأمة جمعاء وحالها حتى أجهش بالبكاء[48].

وفي معرض حديثه عن بيت المقدس، وبينما كان منشغلا بتذكر حادث الإسراء والمعراج في جو روحاني إيماني، حدثت مواجهات بين الفلسطينيين والإسرائيليين، فسمع ركضا في المسجد والباحة وتعالى الصراخ، ثم صار مع الفلسطينيين الذين يهللون ويكبرون واليهود يهجمون ويهاجمون بشعارات حاقدة، وجنود إسرائيل يرفسون ويضربون بالكعوب، فتفرق كل واحد من جهة ومخرج، أما الرحالة فقد تبع أحد الفلسطينيين الذي أشار إليه باللحاق به، تاركا حذاءه في المسجد وخرج حافي القدمين، لكن الكرم الفلسطيني ليس له حدود، فلما قصد إحدى المتاجر لشراء حذاء رفض البائع أن يأخذ ثمنه لما عرف السبب[49].

**خاتمة**

رصدت كتب الرحلات المغربية خلال التاريخ الحديث والمعاصر طرق التنقل إلى القدس والأراضي الفلسطينية، ووصفت مسارات السفر وإجراءات الدخول ووسائل النقل المستعملة، والعراقيل المستحدثة من قبل الكيان الصهيوني، وقد عُرف عن الرحالة المغاربة طوال القرون الماضية قدرتهم على

48- نفسه، ص 234.
49- نفسه ونفس الصفحة.

التنقل بلا حدود ولا قيود، يجوبون بلاد الاسلام رحالة ومبعوثين وحجاج، ومنها هذه الأرض يزورونها بعد الذهاب إلى الحجاز، بل إنهم يعتبرون أن الحج لا يكتمل إلا بزيارة القدس[50].

لذلك فإن رصد عنصر التدرج في مادة الرحلات المغربية عنصرا هاما لدراسة تاريخ مدينة القدس، على اعتبار أن الرحالة زاروا المدينة ووقفوا بأعينهم على وصف البقاع المقدسة وزيارتها والتبرك بها، ورصد التغيرات التي طرأت عليها تدريجيا سيما خلال القرون الأخيرة، وما عرفته من تهديد حضاري للمقدسات الإسلامية والمسيحية التي يلتقي فيها الزوار من كل الجهات، احتفاء بتلك المعالم التي ظلت منارة للإنسانية جمعاء[51].

وعلى أمل أن تظل كذلك، ولا نبقى نندب خدنا، أو نبرر تقاعسنا في الدفاع عن هاته المدينة المقدسة التي هي على مرمى حجر من أبصارنا، قريبة من قلوبنا جميعا، لكنها نائية عنا.

وفي الأخير أرجو من الله العلي القدير ألا تصير القدس إلى ما كتبه عنها الرحالة أحمد المديني بالقول: "فاحفر لها في صدرك قبرا صغيرا واسقه بدمع الفقد، وانتظر غدا أن تنبت حوله بقول النسيان، لتندب الأجيال غدا ذكرى ما كان"[52].

50- نفسه، ص 229.
51- عبد الهادي التازي، م س، ص 10.
52- أحمد المديني، م س، ص 227.

## قائمة المصادر والمراجع:

1. التازي عبد الهادي، القدس والخليل في الرحلات المغربية رحلة ابن عثمان نموذجا، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، 1997م.
2. الجعيدي إدريس بن محمد بن إدريس، الرحلة الحجازية، منشورة بجريدة السعادة في 25 جزء، خلال سنة 1930م/ 1348-1349هـ.
3. القادري أبو بكر، رحلاتي الحجازية ارتسامات وذكريات عن ثلاث رحلات إلى الديار المقدسة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995م.
4. الكتاني محمد بن جعفر، الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية، تخريج محمد حمزة بن علي الكتاني، تقديم وتعليق محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م.
5. المديني أحمد، الرحلة إلى رام الله، منشورات دار الأمان، مطبعة الكرامة، الرباط، 2014م.
6. الهواري أحمد بن محمد، دليل الحج والسياحة، المطبعة الرسمية، الطبعة الأولى، الرباط، 1354هـ/ 1935م.
7. بوكبوط محمد، سفارة محمد بن عثمان المكناسي ومشاهداته في استانبول والشام والحجاز 1786 - 1789، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس – فاس، مطبعة سايس، الطبعة الأولى، 2004.
8. حجي السلاوي بوشعرة محمد بن الحاج الهاشمي، الرحلة السلاوية إلى الديار الحجازية، تقديم وإخراج كوثر أبو العيد، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس، 2006م.

9. داود محمد، الرحلة الشرقية 1353هـ/ 1935م، إعداد وتقديم حسناء داود، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2014م.

10. الحسن بن الطاهر وعزيز، رحلة إلى المشرق والحرمين سنة 1933م، إعداد الطاهر وعزيز، مجلة التاريخ العربي، العدد التاسع شتاء 1419هـ/ 1999م، ص ص 231-255، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

# صفقة القرن و أثرها على مستقبل القضية الفلسطينية


- د. محديد حميد، مؤسسة الانتماء
- جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر



**الملخص:**

تأتي هاته الورقة البحثية لتسلط الضوء على مستقبل القضية الفلسطينية في ظل اعتراف الرئيس الأمريكي السابق بالقدس عاصمة ابدية لإسرائيل ضمن ما يعرف بصفقة القرن والتي أحدث من خلالها لغط دولي ونجم عنها القضاء نهائيا على مبادرة السلام العربية التي تقضي الأرض مقابل السلام و نسف مقترح حل aالدولتين الذي يضمن في بنوده إقامة دولة فلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية على حدود 1967، بالإضافة إلى ما نجم عن تلك الصفقة من اعتراف بعض الدول العربية بإسرائيل واقامة علاقات ديبلوماسية واقتصادية وتجارية معها، مما جعلنا نتساءل عن مصير القدس و القضية الفلسطينية و مستقبل العلاقات العربية في ظل هذا التقسيم والتشرذم.



**الكلمات المفتاحية:** صفقة القرن، حل الدولتين، التطبيع العربي الإسرائيلي، مستقبل القدس.



**Abstract** : This research paper sheds light on the future of the Palestinian cause in light of the recognition by the former American president of Jerusalem as the eternal capital of Israel within what is

known as the deal of the century, through which he caused international confusion and resulted in the final elimination of the Arab peace initiative that spends land for peace and torpedoing a solution proposal The two states, which guarantee in its terms the establishment of a Palestinian state with East Jerusalem as its capital on the 1967 borders, in addition to the recognition of Israel by some Arab countries and the establishment of diplomatic, economic and commercial relations with it, which made us wonder about the fate of Jerusalem and the Palestinian cause and the future of Arab relations in light of This division and fragmentation.

**Key words**: The deal of the century, the two-state solution, Arab-Israeli normalization, the future of Jerusalem.

**مقدمة:**

لقد شهدت القضية الفلسطينية مع مجيئ الرئيس الأمريكي السابق – اليميني المتطرف– رونالد ترامب أسوء مراحلها في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي وعلى وجه الخصوص الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وذلك بانحيازه لحليفه الاستراتيجي إسرائيل، و الغاء كل مبادرات السلام التي رعتها الولايات المتحدة الأمريكية منذ عقود من الزمن في اطار مقاربة جديدة تبنها ادارة ترامب ألا وهي التطبيع مقابل السلام عوض مبادرة الأرض مقابل السلام التي تبنتها الدول العربية، بالإضافة إلى نسف كل القرارات والاتفاقيات التي اشرفت عليها الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها راعية للسلام، ومن بينها قرارات الأمم المتحدة وبالخصوص قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة، وذلك بإمضائه لصفقة القرن و التي تقضي كما اشرنا إلى اعتبار القدس عاصمة الأبدية

لإسرائيل ونقل سفارة الولايات المتحدة الأمريكية من تل ابيب إلى القدس، و اعترافه أيضا بسيادة إسرائيل على هضبة الجولان السورية.

حيث سعى الحزب الجمهوري بقيادة ادارة ترامب منذ توليه زمام السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى فرض الأمر الواقع على الفلسطينيين، وتبني استراتيجية ورؤية الكيان الإسرائيلي و المتمثلة في استحواذ على القدس وجعلها عاصمة للدولة اليهودية، واعتراف للقدس عاصمة وحيدة لإسرائيل من قبل الإدارة الأمريكية الجديدة ونقل سفارتها أي سفارة الولايات المتحدة الأمريكية من تل ابيب إلى القدس ضمن ما عرف بصفقة القرن، وما نجم عن هذا الاعتراف من بناء المستوطنات في القدس الشرقية و الضفة و طرد العرب الفلسطينيين الساكنين في محيط القدس كحي شيخ جراح واستيلاء الإسرائيليين المتطرفين عليهم، بالإضافة إلى تقويض الاتفاقيات المبرمة سابقا ونسف جهود السلام والتعاون التي تبنتها الرئاسة الفلسطينية منذ اتفاقيات اسلوا وما نجم عنها من تعاون امني استخباراتي مع الكيان الصهيوني، بالإضافة إلى ضم الأراضي الضفة الغربية لإسرائيل واعتراف الولايات المتحدة أيضا بجولان السوري تابع لأرض إسرائيل، وذلك في سبيل خلق شرق اوسط جديد يقوم –ضمن مقاربة صهيونية أمريكية بدأت في عهد الرئيس السابق بوش ووزيرة خارجيته كوندوليزا رايس– إلى الاعتراف بإسرائيل –من قبل الدول العربية– وإقامة علاقات ديبلوماسية والتعاون معها في المجال السياسي والاقتصادي والثقافي والسياحي،

وتركيز جهودهم ضمن هاته المقاربة الجديدة على محاربة القوى المعادية و التي تتمثل حسب الإدارة الأمريكية في محور المقاومة وما نجم عنه من اعتبار حماس التابعة للإخوان المسلمين كمنظمة ارهابية ومواصلة الحصار على قطاع غزة المحاصر منذ 7 سنوات، واستمرار اغلاق المعابر المؤدية إلى قطاع غزة، و محاربة المد والتوسع الإيراني وبرنامجها النووي.

ولقد نتج عن هذا الاعتراف بالقدس عاصمة إسرائيل تطبيع بعض الدول العربية مع إسرائيل، وإقامة علاقات سياسية واقتصادية وتجارية وعسكرية معها، ومن أبرز تلك الدول نجد كل من الامارات العربية المتحدة و مملكة البحرين و المملكة المغربية والسودان، من دون أن ننسى اتفاقيات السلام التي ابرمتها سابقا كل من مصر والمملكة الأردنية، بالإضافة إلى تقديم بعض الدول العربية الاخرى نيتها في اقامة سلام شامل مع فلسطين وإقامة علاقات سياسية وتجارية معها كقطر وسلطنة عمان وربما سعودية مستقبلا والعراق، ضمن مقاربة جديدة فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية وهي التطبيع مقابل السلام عوض المبادرة العربية السابقة والتي تقضي الأرض مقابل السلام والتي تبنتها الجامعة العربية وما يترتب عليها من اقامة حل الدولتين و وميلاد الدولة الفلسطينية في حدود 1967 و عاصمتها القدس الشرقية.

**إشكالية الورقة البحثية:**

تأتي هاته الورقة البحثية لتسلط الضوء على مستقبل القضية الفلسطينية في ظل اعتراف الأمريكي بالقدس عاصمة لإسرائيل تحت ما بات يعرف

بصفقة القرن، واعترافه أيضا بسيادة إسرائيل على هضبة الجولان السورية وهرولة بعض الأنظمة العربية للتطبيع، وعلى هذا الاساس يتبادر إلى أذهاننا سؤال عن مستقبل القضية الفلسطينية على ضوء هذا الاعتراف، ومستقبل مبادرة السلام وحل الدولتين؟.

للإجابة على هذا التساؤل اقترحنا الخطة التالية:

-**الفقرة الأولى:** مدلولات الاعتراف الرئيس الأمريكي بالقدس عاصمة لإسرائيل.

-**الفقرة الثانية:** تداعيات اعتراف الرئيس الأمريكي بالقدس عاصمة لإسرائيل.

-**الفقرة الثالثة:** مستقبل الاعتراف القدس عاصمة لإسرائيل في ظل الإدارة الأمريكية الجديدة.

**الفقرة الاولى : مدلولات الاعتراف الرئيس الأمريكي بالقدس عاصمة لإسرائيل:**

اعترف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يوم الاربعاء 06 ديسمبر/ كانون الأول 2017 بمدينة القدس عاصمة لإسرائيل، واعلن عن خططه لنقل السفارة الأمريكية من تل ابيب إلى القدس، حيث انهت هاته الخطوة تقاليد السياسة الخارجية التي امتدت لعقود من الزمن، والتي كانت تتجنب اعلان القدس عاصمة لإسرائيل في ظل غياب اتفاق سلام اسرائيلي فلسطيني شامل وكامل في ظل فشل بعض القضايا المؤجلة ومن بيتها عودة اللاجئين ومصير قطاع غزة و حدود الدولة الفلسطينية، حيث ترك هذا القرار مزيدا من التوتر في

المنطقة أين كان من المفروض أن تترك حل هاته الأمور للمفاوضات النهائية بين الجانبين.[1]

وبالعودة إلى تاريخ مدينة القدس نجد أن إسرائيل سيطرت على النصف الغربي من مدينة القدس اثر حرب عام 1948، بينما خضع الشطر الشرقي إلى السيطرة الأردنية والذي ضمت مدينة القدس بما فيه المسجد الاقصى و قبة الصخرة، و بعد انتصارها أي إسرائيل في حرب الأيام الستة 1967 ضمت هاته الأخيرة القدس الشرقية وأعلنت مدينة القدس بشقيها الغربي والشرقي عاصمة موحدة وأبدية لها، كما اصدرت إسرائيل قانون القدس عام 1980 والذي نص على اعتبار القدس كاملة وموحدة عاصمة لإسرائيل، حيث رفض مجلس الامن ذلك واعتمد قرار رقم 478 الذي اعتبر الخطوة الإسرائيلية انتهاكا للقانون الدولي.

و لتفصيل ذلك نجد انه قد احيلت قضية القدس إلى الامم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، وأصدرت الهيئة الدولية ممثلة في الجمعية العامة قرارها رقم 181 في 29 نوفمبر 1947 ويتبنى هذا القرار خطة تقسيم فلسطين القاضية بإنهاء الانتداب على فلسطين، وتقسيم أراضيها إلى 03 كيانات دولة عربية ودولية ويهودية، وتدويل القدس، وقد نص القرار على ان تكون القدس منطقة منفصلة تقع بين دولتين العربية واليهودية، وتخضع لنظام دولي خاص،

1- خلفيات اعتراف ترامب القدس عاصمة لإسرائيل و تداعياته، مركز الجزيرة للدراسات، 11 ديسمبر كانون الأول 2017، ص01.

وتدار من قبل الامم المتحدة بواسطة مجلس وصاية يقام لهذا الخصوص و حدد القرار حدود القدس الخاضعة للتدويل.

لكن حرب عام 1948 وتصاعد المعارك ادت إلى تقسيم المدينة إلى قسمين وفقا لنتائج الاعمال الحربية، وبتاريخ 30 نوفمبر 1948 وقعت السلطات الإسرائيلية والأردنية على اتفاق وقف اطلاق نار بعد أن تم تعيين خط تقسيم القدس بين القسمين الشرقي والغربي للمدينة في 07/22 1948، وهكذا و مع نهاية عام 1948 كانت القدس قد تقسمت إلى قسمين وتوزعت حدودها نتيجة لخط وقف اطلاق النار.[2]

حيث جاء قرار 194 الذي جعل مرة اخرى مدينة القدس تحت اشراف الامم المتحدة، حيث نص القرار على أنه نظرا لارتباط منطقة القدس بالديانات العالمية الثلاث فإن هاته المنطقة بما في ذلك بلدية القدس يضاف اليها قرى ومراكز مجاورة يجب ان تتمتع بمعاملة خاصة منفصلة عن معاملة المناطق الفلسطينية الاخرى، ويجب ان توضع تحت مراقبة الامم المتحدة الفعلي، وعلى ضوء ذلك فإن قرار التقسيم جعل القدس جزءا من وحدة سياسية خاصة تحت وصاية الامم المتحدة و منفصلة عن الدولتين العربية و اليهودية، وعليه لا يحوز الكيان الصهيوني المغتصب اي شرعية على الصعيد الدولي في سيطرته على الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1967، وقراره اي الكيان الصهيوني

2- بن جداه عبد الله، اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالقدس عاصمة للكيان الإسرائيلي في ضوء القانون الدولي، مجلة العلوم القانونية و السياسية، المجلد10 العدد 02، سبتمبر 2019، ص 792.

بضم شرقي القدس وتطبيق القانون الإسرائيلي عليها بعد احتلالها الضفة الغربية وقطاع غزة سنة 1967 هو غير قانوني وغير معترف به على الصعيد الدولي.[3]

لكن ومع بداية المفاوضات بين الجانب الفلسطيني و الإسرائيلي التي رعتها الولايات المتحدة الأمريكية، انتعشت آمال الفلسطينيين بعد توقيع اتفاق اسلو في عام 1993 بإمكانية أن يشكل الجزء الشرقي من عاصمة القدس مستقبلية لهم، وتم القبول عموما بأن المستقبل القانوني للمدينة مرتبط بإبرام اتفاق سلام بين الخصمين الإسرائيلي والفلسطيني، الذين يطالبان بها كعاصمة، ومنذ ذلك الحين اعلنت غالبية دول العالم انها اثر توقيع اتفاق سلام ستعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل وستقوم بنفس الشيء بالنسبة لعاصمة فلسطين إذا ما صادق الاتفاق على هذ الخيار الذي يطالب به الفلسطينيون منذ 24 عام.[4]

وقد كان الموقف الأمريكي حتى الثمانينات يعتبر ان الوضع النهائي للقدس لا ينبغي ان يقرر من جانب واحد وإنما بالتشاور مع جميع الأطراف المعنية، حيث كان موقف الرسمي للولايات المتحدة الأمريكية هو أن الوضع الدائم المستقبلي للقدس ينبغي أن يتوصل اليه كنتيجة مفاوضات ثنائية بين الإسرائيليين والفلسطينيين، غير أنه حدث عكس ما كان يأمله ويتوقعه الفلسطينيين، حيث عكس موقف الكونغرس الأمريكي سياسة الولايات المتحدة

3- بن جداه عبد الله، المرجع السابق، ص 792.
4-حمزاوي جويدة، الاعتراف الأمريكي بالقدس عاصمة لإسرائيل، تشويه للماضي و تعقيد للمستقبل، مجلة الابحاث القانونية و السياسية المجلد 02 العدد 02 السنة 2020، ص 91.

حول القدس، حيث أصدر الكونغرس الأمريكي في عام 1995 قانونا ينص على نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، كما أوجب الاعتراف بالقدس كعاصمة لدولة إسرائيل، هذا القرار الصادر من الكونغرس تم رفض تطبيقه من قبل الرؤساء الأمريكيون كل من بيل كلنتون و جورج بوش و باراك اوباما، و كانوا يوقعون على قرار التأجيل التنفيذ كل ستة اشهر، وتحجبت الإدارات الأمريكية بحماية مصالح الامن القومي الأمريكي من جهة، والرغبة في الحفاظ على تكتيك متوازن في العلاقات المتوترة والهشة ما بين الفلسطينيين والإسرائيليين من جهة أخرى، ما أبقى الموقف الرسمي للديبلوماسية الأمريكية من دون تغيير، والامتناع عن دعم أي عمل من شأنه ان يضر بمسار السلام، حيث كان الوضع المستقبلي للمدينة إلى جانب مسألة اللاجئين الفلسطينيين اكثر العراقيل امام التوصل إلى اتفاق.[5]

ومع مجيء اليميني المتطرف الرئيس الأمريكي ترامب الذي كان من بين وعوده في برنامجه الرئاسي في حالة فوزه بانتخابات أمريكية هو الاعتراف بالقدس عاصمة إسرائيل ونقل السفارة الأمريكية من تل ابيب إلى القدس، وهو ما تم بالفعل عند فوزه بالولاية الاولى لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، حيث اظهر انحيازا غير مشروط و غير محدود للإدارة الإسرائيلية، كما أظهر تضييقا على السلطة الفلسطينية التي أوقف عليها كل المساعدات الأمريكية لترضخ للأمر الواقع المفروض من قبل إدارته، وقد سعى من خلال مبادرته هاته إلى

5-حمزاوي جويدة، المرجع السابق، ص 92.

مزيدا من الدعم من قبل اللوبيات الصهيونية وقواعد الحزب الجمهوري المؤثرة في واشنطن، ومساعدته من قبلها للفوز بولاية ثانية الذي خسرها فيما بعد، بالإضافة إلى الشخصيات التي دعمته ماليا وسياسيا وإعلاميا للوصول إلى البيت الأبيض.

وقد لعبت مجموعة من العوامل المركبة دورا مهما في اتخاذ متل هذا القرار الذي اختار له الرئيس الأمريكي توقيتا مميزا أراد من خلاله الدخول في غمار الانتخابات الرئاسية للفوز بها، كما اتخذ هذا القرار في ظل التحقيقات المتعلقة بالتدخل الروسي في الانتخابات الأمريكية من قبل طاقم ترامب وبعض افراد من ادارته، كما تم توجيه الاتهام لمستشاره الأمن القومي السابق مايكل فلين و ذلك بسبب ادلائه ببيان كاذب لمكتب التحقيقات الاتحادي بشأن التدخل الروسي في الانتخابات الرئاسية التي فاز فيها ترامب و التي اجريت سنة 2016، بالإضافة إلى الاضطرابات الداخلية في امريكا عقب مقتل أمريكي ذو البشرة السوداء جورج فلويد بطريقة بشعة من قبل شرطي امريكي وما خلفت هاته الحادثة من مظاهرات عمت كل الولايات الأمريكية وأيضا قلصت من شعبية رونالد ترامب، حيث أشارت استبيانات استطلاع الرأي آنذاك تدهور شعبية الرئيس الأمريكي عقب هاته الحادثة، و أيضا كثرة التوترات في العالم و خاصة في الشرق الاوسط في عهد ولايته، حيث طال الانقسام مجلس التعاون الخليجي خاصة بعد الحصار الذي فرض على قطر من قبل دول خليجية و عربية.

وبالمقابل رحبت إسرائيل بقرار ترامب ودعا نتنياهو دول العالم لان تحذوا كل دول العالم حذو الولايات المتحدة الأمريكية في نقل سفارتها، كما اعلنت الحكومة الإسرائيلية عن مشاريع لبناء الالف الوحدات السكنية الجديدة في المستوطنات وعلى الأغلب سوف تسعى إسرائيل إلى اضفاء الشرعية على حوالي 200 ألف مستوطن يعيشون في مستوطنات القدس الشرقية بالرغم من ان تواجدهم يعتبر في نظر القانون الدولي غير شرعي، وهي بذلك تهدف إلى تعزيز اجراءاتها في فرض وقائع جديدة لتثبيت سيادتها على المدينة وجعل من الصعب تغيير الوقائع على الأرض في اي حراك مستقبلي للتوصل للحل السلمي.[6]

وبهذا المعنى يمثل قرار ترامب تعزيزا ودعما لموقف الأحزاب اليمينية المتطرفة التي تعترض أساسا على تقسيم القدس، وهي تذهب إلى أبعد من ذلك بحيث ترفض إقامة دولة فلسطينية وفق مبدا حل الدولتين، وتدعو علانية إلى ضم مناطق الضفة و التي تمثل اكثر من 62 % من اراضي الضفة الغربية إلى السيادة الإسرائيلية.[7]

6- أنيس فوزي قاسم، الاعتراف الأمريكي بالقدس عاصمة اسرائيل، تحديات للقانون الدولي، ندوة قرار نقل السفارة الأمريكية ووضع القدس القانوني، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، 2018، ص..

7- كمال قبعة قرار ترامب بشان القدس، خلفيات و ابعاد قانونية مارقة، مجلة شؤون فلسطينية العدد 271 ربيع 2018، مركز الابحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية، رام الله فلسطين، 2018.

7-علاء محاجنة، القدس في القانون الإسرائيلي في ضوء اعلان ترامب، انعكاسات المواجهة وخيراتها، مجلة سياسات عربية، ص 82.

وفي مقابل ذلك تم تهميش القضية الفلسطينية في الاستراتيجية الأمريكية في عهد ترامب، ولم يول هذا الأخير أي أهمية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، إذ لم يتطرق للحديث عنه او عن حل الدولتين سوى في جملة واحدة، نحن ملتزمون بالمساعدة على تيسير ابرام اتفاق سلام شامل يقبله الإسرائيليون و الفلسطينيون على حد سواء، بمعنى انها ستبقى ملتزمة بالمساعدة و التسهيل التوصل إلى تسوية سياسية بين الفلسطينيين و الإسرائيليين على اساس قبول الطرفين ما يعني أن لإسرائيل الحق النهائي في هندسة تسوية التي ترغب فيها .[8] ولقد تعامل ترامب عموما مع قضية القدس وكأنها قضية داخلية اسرائيلية، وعمد إلى تجاهل الإجراءات الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية، ورغم تعدد اللقاءات مع الطرف الفلسطيني إلا أن ترامب تبنى بكفاءة عالية وجهة النظر الإسرائيلية الداعية لتصفية القضية الفلسطينية واقامة إسرائيل الكبرى عبر الحل الوحيد المتبقي للتسوية السياسية بعد الممارسات الإسرائيلية وهو الحل الإقليمي.[9]

**الفقرة الثانية : تداعيات اعتراف الرئيس الأمريكي بالقدس عاصمة لإسرائيل**

إن القانون الذي اقره الكونغرس الأمريكي في دورته رقم 104 في 23 اكتوبر 1995 والذي يعبر صراحة عن رغبة الولايات المتحدة الأمريكية بنقل

8- يحي سعيد قاعود، وعلا عامر الجعب، وثيقة الأمن القومي الأمريكي 2017، قراءة تحليلية في استراتيجية دونالد ترامب، قراءات استراتيجية، السنة العاشرة، العدد 20 افريل 2018 ص 138.

9-حمزاوي جويدة، المرجع السابق، ص 88.

سفارتها في إسرائيل إلى القدس بدلا من تل ابيب يعتبر كبداية لاعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالقدس عاصمة لإسرائيل، وهذ التطور يخالف موقف الادارة الأمريكية المتعاقبة السابقة على عدم نقل السفارة إلى القدس، وان القدس يجب أن تقررها مفاوضات الحل النهائي، ولا يجوز ان يتقرر من طرف إسرائيل وحدها، حيث وقع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية دونالد ترامب على هذا القانون بتاريخ 07 ديسمبر 2017، والذي يعد بمثابة الاعتراف الرسمي من طرف إدارة الأمريكية بالقدس المحتلة عاصمة لإسرائيل مما يتعارض هذا الاعتراف مع احكام القانون الدولي والشرعية الدولية وتترتب عليه أثار وتداعيات على مختلف المستويات و الاصعدة.[10]

**1- على الصعيد السياسي:**

إن اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالقدس عاصمة للكيان الصهيوني يعد انتهاكا صارخا للشرعية الدولية[11]، حيث يعد القرار الأمريكي مخالفا لميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي، الذي يحرم احتلال أراضي الغير بالقوة، كما أن الاعتراف الأمريكي بالقدس عاصمة إسرائيل مخالفا للشرعية الدولية سواء اكان قرارات مجلس الأمن أو قرارات الجمعية العامة لأمم المتحدة، وهو مخالف للقضاء الدولي وخاصة الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية بخصوص

10--بن جداه عبد الله، المرجع السابق، ص 799.
11- محمد الشلالدة، الأثار القانونية لاعتراف امريكا بالقدس عاصمة اسرائيل، مقال على صفحة الويب. www.aljazeera.net

الجدار الفاصل، والذي أكد انطباق اتفاقية جنيف الرابعة على الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس الشرقية.

كما أن الاعتراف الأمريكي بالقدس عاصمة لإسرائيل مخالف لمبادئ القانون الدولي خاصة ما يتمثل في عدم الاعتراف بالأوضاع الإقليمية غير المشروعة، وهذا المبدأ يؤكد على حق جميع دول العالم عدم الاعتراف بأي تصرف مخالف لمبادئ القانون الدولي، ومن ناحية القانون الدولي يعتبر هذا القرار عملا ماديا وليس تصرفا قانونيا ولا يترتب عليه أي آثار قانونية، بحيث يمثل تراجعا صريحا على الأسس التي اقرتها الحكومة الأمريكية لتسوية النزاع، كما انه يتناقض مع مبادئ التسوية السياسية للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي الذي يفترض ان ترعاه الولايات المتحدة الأمريكية بمشاركة من روسيا الاتحادية ودول الاتحاد الأوروبي، على أساس أن صيغ الاتفاقات التي تم التوصل اليها وضعت قضية القدس في إطار المرحلة القضايا النهائية التي لا يمكن تغيير الأوضاع القائمة بشأنها في الوقت الراهن.

حيث أدى في هذا المجال اعتراف الأمريكي بالقدس عاصمة لإسرائيل للجانب الإسرائيلي لمزيد من التعنت اتجاه شروط التسوية، كما ادى هذا القرار الأحادي الجانب إلى المزيد من تحييد القضية الفلسطينية كمحدد لعلاقات العربية الإسرائيلية، كما دفع بالدول العربية إلى المزيد من الانقسامات والانهيارات بصورة اكبر مما كانت عليه قبل ثورات الربيع العربي، إضافة إلى تنامي اشكالية تحديد العدو او الصديق او الخصم والمنافس في الخلافات

العربية، سياسيا وفكريا و ثقافيا، وفقدان دول الثقل السياسي العربي لمركزها وثقلها السياسي ودورها الاستراتيجي (العراق، مصر، السعودية، سوريا ...الخ) وحلول دول اخرى متحالفة مع اليمين الإسرائيلي و اليمين الأمريكي مكانها (الإمارات، البحرين، السودان، المغرب).

كما يتضمن القرار بعدا سياسيا خطيرا في تشجيع إسرائيل على التمادي لفرض سياسة الأمر الواقع في مدينة القدس عن طريق التخلص من احياء فلسطينية في القدس وحولها، حيث تخطط لا خراج 220 الف فلسطيني من حدود الجزء الشرقي من القدس وضم في المقابل 150 الف مستوطن إلى حدود هذا الجزء من المدينة، وإضفاء الشرعية عليهم، وهي بذلك تهدف إلى تعزيز اجراءاتها في فرض وقائع جديدة لتثبيت سيادتها على المدينة، وجعل من الصعب تجاوز الوقائع على الأرض في اي حراك مستقبلي للتوصل إلى تسوية.

ولقد كان لقرار ترامب تداعيات سلبية على الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أعلن الرئيس الفلسطيني محمود عباس على أن الولايات المتحدة لم تعد محل ثقة من قبل الفلسطينيين، ولم تعد راعية للسلام، كما رفضت الدول العربية والإسلامية بمستوياتها المختلفة القرار الأمريكي، وحذرت الجامعة العربية من أن أي اعتراف بالقدس سيكون هجوما سافرا على الدول العربية، و اجتمعت منظمة التعاون الإسلامي في إسطنبول في 13 في جلسة خاصة لتنسيق على الرد، حيث سيؤدي قرار ترامب وما خطط له من تغيير الوضع

القائم في مدينة القدس على الأرجح إلى نتائج عكسية، ومن المتوقع ان يضعف اي دور مستقبلي للولايات المتحدة الأمريكية كوسيط محايد في عملية السلام، و يعوق الاهداف التي حددتها ادارته كاستراتيجية لها في الشرق الاوسط للتوصل إلى التسوية تنهي الصراع العربي الإسرائيلي ومحاربة الجماعات الإسلامية المسلحة وحسر النفوذ الايراني.[12]

وباستثناء الولايات المتحدة الأمريكية اكدت 14 دولة من اصل 15 (مجموع اعضاء مجلس الاعلى للأمن)على التزامها بقرارات الشرعية الدولية وقرارات مجلس الامن ذات الصلة، كما رفضت الغالبية الساحقة من الدول خطوات ترامب واعتبرتها مضرة بعملية السلام والاستقرار في المنطقة، وإبرز هاته المواقف جاءت من اللجنة الرباعية المكونة من الولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتحدة والاتحاد الاوروبي وروسيا والتي تشكلت سنة 2002 للإشراف على عملية السلام، كما رفض الاتحاد الأوروبي هذا القرار على لسان المفوض الأعلى للسياسة الخارجية الأوروبية، كما أعلن الأمين العام للمم المتحدة انطونيو غوتيريس معارضته لأي إجراءات انفرادية من شانها تهديد فرص السلام بين الفلسطينيين والاسرائيليين.

وقد ساعد أيضا على متل هذا القرار إقامة علاقات سرية بين بعض الدول العربية والتي تعرف بالمحور المعتدل التي أغلبها دول الخليج العربي في وجه بعض الدول العربية الاخرى التي كانت توصف بالمحور المقاوم كسوريا

12- خلفيات اعتراف ترامب القدس، المرجع السابق، ص07.

والسودان وليبيا، كما ساعدت الثورات ما يعرف بالربيع العربي والتي كان الجزء الأكبر منها مفتعلا في إسقاط هاته الدول في مستنقع الفوضى واسقاط بعض الحكام الذين اتصفوا بنصرتهم للقضية الفلسطينية، كما اخرج قرار ترامب العلاقات المستترة لبعض الدول العربية مع إسرائيل إلى العلن، كما رعت الولايات المتحدة نفسها إعلانات التطبيع الواحدة تلو أخرى ابتداء من دولة الإمارات العربية المتحدة والبحرين والمغرب والسودان، حيث مهد ذلك إلى إقامة علاقات مع دولة إسرائيل وأجهزتها ومواطنيها كما لو أن الوضع الراهن كان طبيعيا، ويعني بالتالي تجاهل حالة الحرب القائمة والاحتلال والتمييز العنصري، واضفاء الشرعية على تصرفات المحتل الإسرائيلي والتغاضي عن جرائمه البشعة و تصرفاته العنصرية، وتمكينها من فرص التبادل السياسي بفتح قنصليات فيما بينها وأيضا تمكينها من فتح مكاتب تجارية واقتصادية وابرام صفقات بين الدول العربية خاصة فيما يخص الطاقة وعلى وجه الخصوص البترول والغاز.

كما أصبح يؤطر التطبيع مع الاحتلال القبول بالنكبة و النكسة، وبسلسلة الهزائم العربية أمام الاحتلال ويقر لإسرائيل بأنها صاحبة الأرض، ويسمح كذلك للاحتلال بالتسلل إلى الوعي العربي لا سيما مع الحديث عن التسامح وحوار الأديان، كما حرر التطبيع إسرائيل من التزاماتها تجاه مبادئ القانون

الدولي و المواثيق الدولية، وشرعنة سياسات الاحتلال وممارسته خاصة فيما يخص سياستها نحو الاستيطان.[13]

كما تشكل عملية التطبيع في حد ذاتها ظاهرة مستجدة على المشهد السياسي في المنطقة، ورغم التسريب المستمر منذ سنوات عن علاقات سرية و لقاءات ومشاركات علنية لقيادات ورياضيين و فنانين اسرائيليين في هذه الدول، غير أن العملية المتكاملة قد بدأت بإعلان المبادئ في واشنطن، بين كل من الإمارات وإسرائيل برعاية امريكية في 13 اوت 2020 وبتوقيعه بينهما، مع انضمام البحرين كذلك اليها يوم الثلاثاء 15 سبتمبر.[14]

ومن أهم ملامح التطبيع العربي انها تمت بعيدا عن الموقف العربي الموحد وبمخالفة لقرارات جامعة الدول العربية والقمم العربية السابقة ولمبادرة السلام العربية التي تقضي (الأرض مقابل السلام)، كما أن من أهم ملامحها هو أنه رسم من قبل فريق امريكي متصهين متشبع بقيم اليهودية القاضية بالقدس عاصمة ابدية لليهود[15]، ومتشبع لمصلحة إسرائيل بالكامل وانها تتسارع

13- أحمد فايق دلول، التطبيع العربي مع الاحتلال الإسرائيلي، www.refugeeacademey.org، ص05.
-عريب الرنتاوي، مسارات الدولة نحو التطبيع – شرعنة- اسرائيل وشيطنة- الفلسطينيين، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 281، خريف 2020، لبنان، ص 38.
14- جواد الحمد، مخاطر ظاهرة التطبيع العربي مع اسرائيل ومستقبلها، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 281، خريف 2020، لبنان، ص 78.
15- يعد مصطلح التطبيع من المصطلحات الحديثة الذيوع في الفكر السياسي الإسرائيلي، ورغم ان بعض الباحثين الإسرائيليين ينسبون صياغته الاولى لأول مرة لأبابان في خطاب له في الأمم المتحدة عام 1967، فإن استخدامه لم يشع الا في مرحلة متأخرة من المفاوضات المصرية الإسرائيلية السابقة على توقيع اتفاقية كامب ديفيد، بل إن المصطلح الذي تداولته هذه المباحثات للتدليل على هذا المفهوم كان "طبيعة السلام".

في التنفيذ لبنودها المختلفة بطريقة دراماتيكية تمثل انهيار لناطحات سحاب وتبعثرها في الهواء وإنها تتم بعيدا عن اعتبار للحقوق الفلسطينية أو الموقف الفلسطيني بل انها لم تتناول المصالح والحقوق الفلسطينية إلا بكلمات غير ذات معنى.[16]

كما أن من أهم ملامحها انقسام الموقف العربي، وعزل الموقف الفلسطيني واضعافه، وافقاد القضية الفلسطينية الدعم الخليجي السياسي والاعلامي التقليدي واحداث شرخ سياسي جديد بين دول مجلس التعاون الخليجي وأنها تخدم طرقا واحدا أساسيا وهو إسرائيل فيما تقدم وعودا مغلقة بمكاسب اقتصادية وسياسية وامنية للأطراف الأخرى، وأنها تسمح بتشكيل تواجد أمني وعسكري واقتصادي خطير في خاصرة العالم العربي وفي محيطه الحيوي إفريقيا، كما توتر علاقات العرب مع كل من إيران وتركيا بالتحالف ضدهما مع اسرائيل.[17]

وتعتبر جميع القرارات الأمريكية المتخذة لصالح إسرائيل تشكل دعما لها و تنعكس سلبا على المنطقة، حيث تؤدي إلى المزيد من النفوذ الاسرائيلي في المنطقة، وتعتبر إسرائيل في الاساس عدو الدول العربية وتعمل جميع القرارات على تقوية إسرائيل أمام الدول العربية، كما تعمل على تصفية القضية

محسن عوض، الاستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية، سلسلة الثقافة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، ماي 1988، ص12.

16- أحمد فايق دلول، المرجع السابق، ص05.

17- مروان عبد العال، متلازمة التطبيع، أنسنة المجرم وابلسة الضحية، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 281، خريف 2020، لبنان، ص 68

الفلسطينية وتؤدي إلى نخر القضية داخل الجامعة العربية وميثاقها، و الذي يعتبر على ان إسرائيل دولة عدو، وأن القضية الفلسطينية هي القضية الام للدول العربية، و على هاته الدول مساندة القضية الفلسطينية إلا أن بعض دول العربية كانت تتعاون بشكل كامل مع إسرائيل من الاجل التخلص من التهديد الايراني، والبعض الآخر من الدول العربية يقيم علاقات مع إسرائيل لأهداف خاصة منها الحصول على اعتراف الأمريكي على احدى المناطق كالمملكة المغربية والحصول على اعتراف بالصحراء الغربية، حيث يدور نزاع بين المملكة وجبهة البوليزاريو، وهناك دولة اخرى كالسودان تضع علاقتها مع إسرائيل من أجل رفعها من قائمة الدول الراعية للإرهاب وللحصول على المساعدات الأمريكية والمساعدات من الدول الاخرى، إلى جانب جذب الاستثمارات الخارجية بعد رفعها من قوائم الارهاب وتنعكس أيضا القرارات الأمريكية على السيادة السورية وعلى الإقليم السوري المحتل حيث منح حق السيادة الإسرائيلية عليه من جانب الإدارة الأمريكية.[18]

**2-على الصعيد الأمني و العسكري:**

تشير التحاليل الجارية بشكل واضح إلى أن دولا عربية أصبحت ترى في إيران وليس إسرائيل الخطر الأكبر على أمنها الوطني ومن تم باتت مستعدة للتحالف العسكري مع إسرائيل مما يشكل انقلابا كاملا للمعادلات العسكرية

18- أحمد فايق دلول، المرجع السابق، ص15

والأمنية و الاستراتيجية في المنطقة، وخاصة ان ايران ستجد في هذه الخطوة استفزازا كبيرا لها مما يفتح المجال لزيادة التوتر بين ايران و الدول العربي.[19]

**3-على الصعيد الاقتصادي:**

يتوقع ان تكون للتحولات الجارية تداعيات على النظام الاقتصادي العربي ككل و على الاقتصاد الخليجي بصفة خاصة، لان قدرة الاقتصاد الإسرائيلي على اختراق بنى وهياكل اقتصاد دول الدولة المطبعة، اكبر بكثير من قدرة اقتصاد هذه الدول على اختراق بنى وهياكل الاقتصاد الإسرائيلي، ولان تنامي العلاقات الاقتصادية بين إسرائيل وهاته الدول يمكن أن يشكل عقبة أو أن يضع المزيد من العراقيل أمام عملية التكامل الاقتصادي فبي العالم العربي.

وقد شكل اعتراف ترامب بالقدس عاصمة إسرائيل ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس تمهيدا لما يخطط له ترامب ضمن صفقة القرن التي يتبناها و شرح بعض تفاصيلها، حيث تشمل قضية اللاجئين والقدس ومناطق التواجد الفلسطيني، ويحتمل ان تقيم الصفقة وفقا لتسريبا ت دولة فلسطين أو كيان فلسطيني في بعض أراضي الضفة الغربية أو قطاع غزة أو غزة الموسعة في شمال سيناء .

وقد تم على إثر هذا الاعتراف اطلاق ورشة البحرين في يونيو 2019، حيث شارك في المؤتمر وزراء ومسؤولون ماليون من دول خليجية بالإضافة

19- جواد الحمد، المرجع السابق، ص 81.
- حسن نافعة، مستقبل النظام العربي في ظل تعاقب موجات التطبيع مع اسرائيل، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 281، خريف 2020، لبنان ص 8

إلى وزير الخزانة الأمريكية والمديرة العامة للصندوق النقد الدولي، وأكد مستشار ترامب خلال ورشة العمل حول الجانب الاقتصادي لخطة السلام الأمريكية في الشرق الأوسط شرط ضروري لتحقيق السلام، حيث اقترحت الخطة جذب استثمارات تتجاوز قيمتها حوالي 50 مليار دولار لصالح الفلسطينيين، و ايجاد مليون فرصة عمل لهم ومضاعفة اجمالي ناتجهم المحلي ويمتد تنفيذها إلى 10 سنوات.[20]

**4-على الصعيد الثقافي و الفكري و الإيديولوجي:**

يمكن للتحولات الجارية أن تؤثر تأثيرا سلبيا كبيرا على النسق العقائدي للنظام العربي وقد تضرب فكرة العروبة في الصميم وتؤدي إلى تهميشها، خاصة مع ما هياته عملية التطبيع هذه من بيئة للترويج الاعلامي للأفكار تناقض الأفكار العربية التي سادت المنطقة لأكثر من 70 عاما خصوصا فيما يتعلق باعتبار القضية الفلسطينية قضية عربية مركزية تحظى بالأولوية في السياسة العربية ناهيك عن مخاطر التحول الثقافي والفكري اتجاه إسرائيل والقضية الفلسطينية بما في ذلك التحول بمفهوم العدو والحليف لدى البعض لتنتقل إسرائيل من دولة محتلة إلى دولة صديقة وحليفة، وإيران من دولة جارة إلى دولة عدوة.[21]

20- أحمد فايق دلول، المرجع السابق، ص20.
21- جواد الحمد، المرجع السابق، ص 82.

وقد حدث بذلك تغيير واضح على جانب كبير من الثقافة العربية، حيث لم تعد دولة الاحتلال الإسرائيلي هي العدو كما كان سابقا أين كان ينظر للاحتلال على أنه العدو الأكبر في منطقة الشرق الأوسط، بل أصبح ينظر لإسرائيل على أنها هي الصديق وجب اقامة معها علاقات سياسية و اقتصادية وثقافية، إلى حد أن صار بعض المثقفين العرب يشككون في أحقية الفلسطينيين في فلسطين التاريخية، وهذا الأمر يقدم خدمة جليلة للاحتلال الصهيوني وعلى طبق من ذهب.

كما تدخل بعض رجال الدين في الصراع العربي الفلسطيني بشكل أصبح يساهم في تعزيز مكانة إسرائيل وصاروا يفسرون الإرث الديني وفق مزاجهم أو بتعليمات من القيادة التي تحكمهم، وصاروا يشككون في كون أن المسجد الأقصى عقيدة، تجسدت في الآية الكريمة (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) [سورة الإسراء:1] حيث ربطت هاته الآية الكريمة بين الحيز الجغرافي و العقائدي للمسجد الأقصى.

وبالطبع تصاعدت سياسات إسرائيل لتهويد المدينة وطرد سكانها العرب والمستمرة منذ 1967 حيث استطاعت إسرائيل عزل المدينة عن محيطها الفلسطيني وفرضت على سكانها العرب سياسات تهويديه عنصرية بهدف دفعهم إلى الرحيل، فهم يعيشون في أحياء مكتظة يصعب عليهم الحصول على رخص البناء، ويعانون من التمييز المستمر و يعيش ثلاث ارباعهم تحت خط الفقر، وفي عام 2015 شكل الفلسطينيون 37% من اصل 850 الف شخص

في مدينة القدس يعيش معظمهم في احياء القدس الشرقية، حيث تسعى إسرائيل إلى تقليص هذا العدد إلى الحد الأدنى عن طريق اخراج الأحياء المكتظة من حدود مدينة القدس وضمها إلى تجمعات أخرى.[22]

**الفقرة الثالثة: مستقبل الاعتراف القدس عاصمة لإسرائيل في ظل الإدارة الأمريكية الجديدة**

لقد واجه قرار الولايات المتحدة الأمريكية باعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل ونقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس تنديدا ورفضا واسعا من غالبية دول العالم، من بينهم الحلفاء الأوروبيون للولايات المتحدة الأمريكية كفرنسا والمانيا وإيطاليا، ويعد هذا التنديد من قبل هاته الدول تكريسا هاما في القانون الدولي المتمثل في عدم الاعتراف بشرعية اكتساب أي إقليم الناتج عن التهديد باستعمال القوة، حيث يعتبر هذا المبدأ مبدأ هاما من مبادئ القانون الدولي، حيث كرست محكمة العدل الدولية هذا المبدأ في أحكامها وآرائها الاستشارية، وقد صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالأغلبية الساحقة على مشروع قرار الرافض لإعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، وبعدم تغيير طابع مدينة القدس الشريف او مركزها او تركيبتها الديموغرافية.

وعلى إثر اعتراف الولايات المتحدة بالقدس عاصمة لإسرائيل عرض مشروع قرار تقدمت به مصر على مجلس الأمن الدولي لا بطال قرار اعتراف الرئيس الأمريكي بالقدس عاصمة لإسرائيل الذي يؤكد أن كل قرار أحادي

22- خلفيات اعتراف ترامب القدس، المرجع السابق، ص04.

الجانب فيما يخص القدس ليس له اي مفعول قانوني وينبغي إبطاله، كما شدد القرار على أن أي حل لمسألة القدس يجب أن يتم عبر المفاوضات، إلا أنه باء بالفشل بسبب استخدام الولايات المتحدة الأمريكية لحق الفيتو في تصويتها، حيث صوتت جميع الدول 14 دولة لصالح مشروع القرار المصري.

وقد تم احالة مشروع القرار على الجمعية العامة لأمم المتحدة، حيث صوتت هاته الأخيرة على مشروع القرار الرافض لإعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالاعتراف بالقدس عاصمة إسرائيل، أين جاءت نتيجة التصويت بتأييد اغلبية ساحقة لمشروع القرار، الذي طالب الجميع بعدم تغيير مدينة القدس الشريف او مركزها او تركيبتها الديموغرافية، كما أكد هذا القرار أن أي قرار ينص على ذلك هو لاغ وباطل وليس له أي أثر قانوني، مما يمثل هذا الإجماع صفعة لقرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، إذ أعربت الجمعية العامة للأمم المتحدة في هذ الصدد عن بالغ اسفها إزاء القرارات الأخيرة المتعلقة بوضع القدس.[23]

حيث و تفصيلا لذلك تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار تقدمت بمشروعه تركيا واليمن برفض اعلان ترامب القدس عاصمة لإسرائيل وصوتت 128 دولة لصالحه وعارضته 09 دول وامتنعت 35 دولة عن التصويت إلا أن مندوبة الولايات المتحدة الأمريكية دافعت عن قرار ترامب، ورفضت إسرائيل

23- قرار الجمعية العامة المتعلق بوضعية القدس، وثيقة الأمم المتحدة رقم L 10 –E.S/A22
-بن جداه عبد الله، المرجع السابق، ص 804.

مشروع القرار وعبرت عن رضاها عن الدول التي رفضته، كما أصدرت إسرائيل بيان تشكر فيه ترامب على موقفه الداعم للقدس الذي لا لبس فيه وتشكر الدول التي صوتت مع إسرائيل.[24]

لكن مع تولي بايدن الرئاسة الأمريكية يثور تساؤل هل سيكون بايدن مع إسرائيل كما كان ترامب، بلا شك يعتبر ضمان أمن إسرائيل هدف لجميع الرؤساء الأمريكيين سواء كانوا ديموقراطيين ام جمهوريين ولكن ترامب كان ظاهرة مختلفة، حيث فعل ما لم يفعله رؤساء سابقين لصالح الدولة الإسرائيلية، فقد وصفه نتنياهو بأنه افضل صديق لإسرائيل حل في البيت الأبيض على الاطلاق وبالتأكيد ستختلف إدارة بايدن في تعاملها عما كانت عليه إدارة ترامب.

حيث عرف بيدن بمواقف مؤيدة و صريحة لإسرائيل وجدد بايدن على مبدأ تمسك الولايات المتحدة الأمريكية بوعدها المقدس بحماية الوطن الشعب اليهودي، كما رحب بايدن باتفاقية التطبيع التي أجرتها حكومات بعض الدول العربية مع رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو، ولكن يرى بايدن ضرورة فتح قنصلية في القدس الشرقية التي ضمتها إسرائيل للتواصل مع الفلسطينيين كما أنه رفض خطة ترامب للسلام في الشرق الأوسط حيث اعتبرها حيلة سياسية وتعهد بأجراء مفاوضات جديدة على اساس حل دولتين مع الفلسطينيين.

24- حسن نافعة، المرجع السابق، ص 09.

فمن خلال الادارة الأمريكية الجديدة و العودة للتواصل مع الطرف الفلسطيني سوف يتم التطرق لقضية بناء المستوطنات الإسرائيلية والتفاوض بشأنها بين الأطراف الثلاث والوصول إلى حل مؤقت بخصوصها لحين الوصول إلى المرحلة الاخيرة لا نشاء دولة يهودية واخرى فلسطينية وفقا لرغبة الإدارة الأمريكية الجديدة.[25]

و يعد القرار في حال عدم مواجهته تحولا بإقامة إسرائيل ما تطلق عليه إسرائيل الكبرى، حيث تكون قد فصلت شمال الضفة الغربية عن جنوبها، و يصبح التواصل بين الجزئيين من خلال طريق صادقت عليه إسرائيل سنة 2007 تحت مسمى طريق نسيج الحياة تقطعه متى شاءت ويجعل من الحالة الفلسطينية مجرد تجمعات سكانية يسهل السيطرة عليها امنيا و اقتصاديا.

كما يعد القرار في حال عدم مواجهته تحولا عن موقف المجتمع الدولي ازاء الأراضي المحتلة عام 1967 وفق القرارات (242، 338، 487)، باعتبار القدس جزءا من الأراضي المحتلة، كما يشكل تراجعا عن التعهدات الأمريكية بالحفاظ على الوضع القائم في الأراضي المحتلة إلى ان يحسم بالمفاوضات النهائية، وإحراجا لحلفاء للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، خاصة وانه يتجاوز اي اعتبار للحقوق الفلسطينية في القدس وللدور الاردني الخاص فيها، ثم ان تغيير الوضع القائم بعد القرار ترامب سوف يحمل معنا رمزيا عميقا،

25- عمرو عادل عبد الكريم علي، اثر القيادة الأمريكية الجديدة على قضايا الشرق الاوسط، المركز الديموقراطي العربي

وسيتم اعتباره دعما للسيادة الإسرائيلية على حساب الحقوق الفلسطينية في المدينة.

كما ادى قرار ترامب إلى تجميد عملية السلام بين الفلسطينيين و الإسرائيليين المعروفة اعلاميا بصفقة القرن، حيث تلا قرار ترامب الدعوة إلى سحب مبادرة السلام العربية بالرغم من انها لا زالت قائمة حتى اليوم، فضلا عن دفع العلاقات الفلسطينية الإسرائيلية إلى اعادة التفاوض على اسس جديدة، العودة بالقضية الفلسطينية إلى نقطة الصفر كرد فعل ترامب بشأن القدس.

كما ادى هذا القرار إلى الدعوة إلى الانسحاب من اتفاقيات اسلو و التزاماتها وسحب الاعتراف بإسرائيل، وأيضا المطالبة بحل السلطة الفلسطينية، حيث اصبحت شرعية الرئيس الفلسطيني محمود عباس على المحك، بالإضافة إلى الوضع الصعب التي وجدت فيه منظمة التحرير الفلسطينية فيه صعبا بسبب وعود التي استمرت 20 سنة بجعل بإقامة دولة فلسطينية وعاصمتها القدس.[26]

لكن حرب الأخيرة على غزة التي حدثت يوم 10 ماي 2021 الموافق ل 28 رمضان 1442هـ، والتي تدخلت فيها فصائل المقاومة الإسلامية في قطاع غزة بسبب منع الفلسطينيين من التواجد في ساحة باب العمود، واشتدت مع دعوة جماعات اسرائيلية متطرفة إلى حرق العرب والدعوة لاقتحام واسع للمسجد الأقصى في 28 من رمضان، بالإضافة إلى اقتحام عشرات المستوطنين باحة

26- حمزاوي جويدة، المرجع السابق، ص 99.

القدس الشريف بمناسبة ما يسمى باليوم القدس العبري، بالإضافة إلى هجوم هؤلاء المستوطنين على الفلسطينيين في القدس الشرقية، حيث ادت المواجهات إلى إصابة 105 من الفلسطينيين و 50 معتقلا على يد الشرطة الإسرائيلية، وقد اصدرت فيما بعد كتائب القسام بيانا تحذيريا لإسرائيل من مغبة الاستمرار في انتهاك حق المقدسيين، تم تبع ذلك محاولات من قبل الشرطة الإسرائيلية لإخلاء عائلات فلسطينية من بيوتها في الحي شيخ جراح و تسليمها للمستوطنين تكملة لسياسة تهويد القدس وطرد الفلسطينيين منها، بالإضافة إلى تعدي القوات الإسرائيلية على المصليين في باحة القدس وتوقيع أكثر من 350 إصابة، وهو ما جعل فصائل المقاومة تمهل الاحتلال الإسرائيلي حتى 06 مساءا لإخلاء باحة القدس الشريف ووقف اعتداءاتها على المصليين، حيث لم تستجب القوات الإسرائيلية لهاته التحذيرات لتبدأ فصائل المقاومة بقصف المدن الإسرائيلية بصواريخ، و لتبدأ حربا واسعة على غزة.

لقد استمرت هاته الحرب 11 يوما اظهرت فيه المقاومة شجاعة كبيرة في الصبر و التحمل، و امطرت المدن الإسرائيلية بعشرات الصواريخ، حيث جربت فيه حركة المقاومة حماس صاروخ عياش 250 الذي دخل الخدمة لأول مرة ليصل إلى اقصى نقطة في إسرائيل من شمالها إلى جنوبها، مما نجم عنه إغلاق مطار الدولي الإسرائيلي بن غوريون وتحويل الطائرات إلى مطار اخر، كما نجم عنه الغاء الكثير من خطوط الطيران طيرانها إلى إسرائيل ومن بينها طيران الولايات المتحدة الأمريكية، و قد ابانت فيه حركة المقاومة استراتيجية

حربية فائقة المستوى من خلال القصف المدن و تنوع صواريخ ووصولها إلى تل أبيب والى محيط المطار، بالإضافة إلى رفع حظر التجول لمدة ساعتين من قبل فصائل المقاومة تم معاودة قصف المدن الإسرائيلية، وقد نجم عن ذلك رعب وخوف من قبل المستوطنين الإسرائيليين، وهروبهم إلى الملاجئ بمجرد سماعهم صفارات الإنذار، حيث تم اطلاق 4000 الاف صاروخ على إسرائيل حسب قناة كان العبرية، قبل ان تتوقف الحرب إثر تدخل مصري لاتفاق وقف اطلاق النار متبادل ومتزامن، حيث دخل وقف اطلاق النار حيز التنفيذ الجمعة عند الساعة 02.00 فجرا بتوقيت فلسطين، وقد ادى العدوان على غزة إلى استشهاد 232 شهيدا فلسطينيا و1900 جريح حسب بيان وزارة الصحة الفلسطينية، و بالمقابل ذلك خلفت صواريخ المقاومة الشريفة إلى مقتل 12 اسرائيليا و اصابة نحو 330 مستوطن اسرائيلي حسب قناة كان العبرية دائما.

وقد نجم عن وقف اطلاق النار احتفالات عارمة شملت قطاع غزة و الضفة، وقد أبانت المقاومة بما لا يدع للشك قدرات فائقة للوصول إلى العمق الإسرائيلي وتغيير معادلة الردع و قهر الجيش الذي لا يقهر و الذي ابانت في حروبه السابقة مع فصائل المقاومة في لبنان وفلسطين ضعفه وعدم تحمله للحروب الطويلة، واعتماده فقط على الحروب الجوية الذي يمتلك فيها العدة والتكنلوجيا في حين ابانت عدة دراسات حربية عجز الجنود الإسرائيليين وضعفهم من الحروب البرية والخوف والضغوط النفسية والعصبية التي تعتريهم خشية مواجهة رجال المقاومة الأشاوس.

كما أبانت الحرب الأخيرة على قطاع غزة أن القدس خط أحمر بالنسبة للفلسطينيين، وأن اعتراف الرئيس الأمريكي السابق بالقدس عاصمة لإسرائيل مجرد اعتراف مادي لا يخلف اثار قانونية ولا بديل عن الشرعية الدولية، كما بينت الحرب الأخيرة أن المقاومة والمواجهة هي الطريقة الأمثل لاسترجاع الحقوق وتحرير الأرض الفلسطينية، وأن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة.

لقد ادركت القيادة الجديدة للولايات المتحدة الأمريكية برئاسة الديموقراطي بايدن أنه لا بد من الرجوع للمفاوضات بين الجانب الإسرائيلي و الفلسطيني، و أنه لا بديل من حل الدولتين كتمهيد للسلام دائم و شامل في الشرق الأوسط، كما ادركت ضرورة الرجوع للرئيس عباس الممثل الشرعي للفلسطينيين وهذا لتقويض وغلق الباب أمام فصائل المقاومة وعلى رأسهم حماس التي غيرت المعادلة واخلطت حسابات نتنياهو واسقطته في انتخابات التشريعية، وخلصت الحرب الأخيرة في غزة على ضعف الكيان الصهيوني عسكريا واستخباراتيا وأظهرت عجز الجيش الذي لا يقهر، وبينت في الأخير هاته الحروب على قدسية القدس الشريف واعتبارها خط أحمر بالنسبة للمسلمين باعتباره اولى القبليتين و ثالث الحرمين.

**الخاتمة**

لقد ساهمت فترة الرئيس الأمريكي ترامب في زيادة حدة الصراع في القضايا المشتعلة في المنطقة العربية، حيث أن فترة علاقته بتركيا دفعت إلى بدء التوغل العسكري التركي في ليبيا وسوريا وفي الشرق الاوسط وتعقيد الحل

السياسية في كلا دولتين السورية و الليبية، كما أن صداقته الشديدة لإسرائيل جعلته يتخذ قرارات لم يجرئ رئيس امريكي من قبل على اتخاذها مثل اعطاء القدس لإسرائيل واعترافه بالسيادة الإسرائيلية على الجولان ومساهمته في القيام ببعض الدول العربية باتفاقيات تطبيع مع إسرائيل، كما انه ساهم في ازدياد النفوذ الإسرائيلي من خلال زيادة بناء المستوطنات الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية والسماح لإسرائيل بشن غارات جوية على الأراضي السورية واللبنانية والفلسطينية.

كما أن علاقته بإيران وانسحابه من الاتفاق النووي الايراني وفرضه عقوبات عليها بشكل مستمر ساهم في اشعال الوضع من خلال زيادة إيران دعمها لا ذرعها المسلحة في المنطقة وعملها على تهديد امن الخليج، وهو ما ساهم في تعقيد الوضع اليمني وسيطرة على الحوثيين على الحكم في اليمن وتهديد امن حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب التدخل العسكري الاماراتي من خلال عاصفة الحزم، وهو ما ساهم أيضا في تعقيد القضية اليمنية و في صعوبة الوصول إلى حل سياسي نظرا لكثرة الأطراف واحتدام الصراع بين جميع الأطراف المشاركة فيه إلى جانب الصراع في العراق التي تحولت إلى ساحة تصفية الحسابات بين كلا الطرفين الايراني والأمريكي، كما لجات الولايات المتحدة الأمريكية إلى تصفية القادة الايرانيين داخل الأراضي العراقية ولجوء ايران من خلال اذرعها داخل العراق إلى قصف المنطقة الخضراء أيضا تهديد حزب الله اللبناني بقصف إسرائيل .

ولكن بالنظر إلى التوقعات المتجهة لولاية بايدن، حيث يتوقع ان يتعامل بعقلانية مع الأطراف الدولية، حيث أن لديه سياسات خاصة اتجاه تركيا والتمدد الذي تقوم به في المنطقة العربية وهو ما سينعكس على القضية الليبية والسورية التي تتدخل فيهما تركيا، كما أن انسحابه غير المتوقع من افغانستان وعودة طالبان للحكم بين فشل العسكري للولايات المتحدة الأمريكية و ضعفها عسكريا وعجزها ماديا عن تمويل الحروب، كل هذا جعل اعتبار الولايات المتحدة كرجل مريض تبحث عن مخارج لأزماتها الداخلية والدولية التي اوقعت نفسها فيها، كما أنه سيسعى للتعامل مع ايران أما بالعودة للاتفاق النووي الايراني القديم أو الوصول إلى اتفاق نووي جديد والتطرق للدعم الذي تقدمه ايران لا ذرعها المسلحة في كل من العراق وسوريا واليمن ومدى تأثير هذا الدعم على القضيتين اليمنية و العراقية وملف حزب الله، وبالنسبة لإسرائيل هو يسعى لحل الدولتين والنظر لملف الاستيطان وعودة التواصل مع الفلسطينيين وهو ما سينعكس على القضية الفلسطينية.

أما فيما يتعلق بالاتحاد الاوروبي فمن المتوقع أن تصحب هناك رؤية أمريكية أوروبية للتعامل مع القضية الليبية والسورية والإيرانية فيما يتعلق بالملف النووي الإيراني والحد من التدخل الأوروبي بشكل منفرد في تلك القضايا، وفيما يتعلق العلاقات الروسية الأمريكية يتوقع أن يتعامل بايدن مع التمدد الروسي في المنطقة العربية بما يهدد المصالح الأمريكية ومصالح

حلفائها ويزيد من صعوبات الوصول إلى تسوية سياسية خصوصا فيما يتعلق بالشأن السوري.

**النتائج :**

1. التكييف القانوني لقرار اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالقدس عاصمة للكيان الصهيوني انه مجرد واقعة مادية صادرة عن دولة، فهو لا يغير من المركز القانوني الحالي لمدينة القدس كمدينة محتلة وفق القانون الدولي الإنساني و الشرعية الدولية.
2. هو قرار فردي صدر من دولة واحدة فقط، لا تملك اي صفة قانونية تخولها فعل ذلك، فهو غير ملزم لأي دولة اخرى او منظمة، ولا يرتب اثار خارجية تلزم ذلك، كونه احادي الجانب ومخالفا لمبادئ وقواعد القانون الدولي.
3. تتميز مواقف ترامب واعوانه من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بتلات ملامح أساسية، دعم اكبر من سابقيه للاحتلال الإسرائيلي، وزهد في حل الدولتين، وتجريم مضاعف لحركتي حماس والجهاد المقاومتين الفلسطينيتين.
4. اعتراف ترامب مخالف لقرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة وأجهزتها والتي تعتبر مدينة القدس مدينة محتلة بالقوة وتخضع لسلطة الاحتلال الإسرائيلي وتخضع للقانون الدولي الإنساني وبالخصوص اتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب المؤرخة في 12 اوت 1949.

-شغلت قضية القدس في الامم المتحدة حيزا كبيرا وما زالت تعد من اهم القضايا التي تفرعت عن القضية الفلسطينية، وقد ناقشتها الكثير من أجهزة الأمم المتحدة وهيئاتها واتخذت القرارات والتوصيات المهمة بخصوصها.

5. المجتمع الدولي يتحمل المسؤولية القانونية و الأخلاقية لعدم الزام إسرائيل تطبيق قرارات الشرعية الدولية الخاصة بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

6. يعد التخلي الإدارة الأمريكية الحالية عن دعم حل الدولتين ضربة قاصمة لعقود من السياسة الأمريكية التي تبنتها الإدارات المتعاقبة، كما ان قرار ترامب هو تحدي للنظام الدولي، وضربة للتسوية مسارها 03 عقود، واثبتت ان الراعي الأمريكي ليس نزيها.

7. اعلان ترامب القدس عاصمة لإسرائيل استكمالا لجهود القضاء على طموحات الفلسطينيين في إنشاء دولة فلسطينية على أراضي الضفة الغربية و قطاع غزة التي احتلت عام 1967 تكون عاصمتها القدس الشرقية، يكون بذلك وجه ضربة قاصمة لعملية السلام في الشرق الأوسط، إذ أضر كثيرا بصورة واشنطن في المنطقة، كما أن الخطوات التي اتخذتها الولايات المتحدة بنقل السفارتين تشريع لأمر الواقع فرضه المحتل الإسرائيلي.

8. الحرب الأخيرة على غزة غيرت من معادلة التي فرضها نتنياهو ومن خلاله ترامب، وبينت أن القدس خط أحمر بالنسبة للفلسطينيين، وأن عمليات التهويد والاستيطان في القدس الشرقية لا تغير من الواقع شيء.

9. الحرب الأخيرة على غزة أدت إلى سقوط نتنياهو في انتخابات التسريعية الأخيرة، حيث كثيرا ما تلحق لعنة المقاومة رؤساء حكومات العدو الصهيوني وقد سبقه في ذلك سقوط اولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلي بعد حرب لبنان 2006، كما بينت هاته الحروب مع فصائل المقاومة المحدودة في العتاد والعدة عجز الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر وضعفة وعدم استطاعته المواجهة البرية، كما غيرت من المعادلة في الأرض.

10. الحرب الأخيرة على غزة أيضا بينت أن القدس قضية اساسية لكل الفلسطينيين بمختلف مشاربهم وعقائدهم وأيديولوجياتهم وأن اعتراف ترامب لا يعدو أن يكون اعتراف مادي بدون آثار قانونية ولا بديل عن الشرعية الدولية و الاعتراف بحقوق الفلسطينيين.

## قائمة المصادر والمراجع:


1. أنيس فوزي قاسم، الاعتراف الأمريكي بالقدس عاصمة إسرائيل، تحديات للقانون الدولي، ندوة قرار نقل السفارة الأمريكية ووضع القدس القانوني، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، 2018.
2. أحمد فايق دلول، التطبيع العربي مع الاحتلال الإسرائيلي، www.refugeeacademey.org.
3. بن جداه عبد الله، اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالقدس عاصمة للكيان الإسرائيلي في ضوء القانون الدولي، مجلة العلوم القانونية و السياسية، المجلد10 العدد 02، سبتمبر 2019.
4. حمزاوي جويدة، الاعتراف الأمريكي بالقدس عاصمة لإسرائيل، تشويه للماضي و تعقيد للمستقبل، مجلة الابحاث القانونية و السياسية المجلد 02 العدد 02 السنة 2020.
5. حسن نافعة، مستقبل النظام العربي في ظل تعاقب موجات التطبيع مع إسرائيل، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 281، خريف 2020، لبنان.
6. جواد الحمد، مخاطر ظاهرة التطبيع العربي مع إسرائيل ومستقبلها، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 281، خريف 2020، لبنان.
7. محمد الشلالدة، الأثار القانونية لاعتراف امريكا بالقدس عاصمة إسرائيل، مقال على صفحة الويب. www.aljazeera.net.
8. محسن عوض، الاستراتيجية الإسرائيلية لتطبيع العلاقات مع البلاد العربية، سلسلة الثقافة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، ماي 1988.
9. مروان عبد العال، متلازمة التطبيع، أنسنة المجرم وابلسة الضحية، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 281، خريف 2020، لبنان.

10.كمال قبعة قرار ترامب بشان القدس، خلفيات و ابعاد قانونية مارقة، مجلة شؤون فلسطينية العدد 271 ربيع 2018، مركز الابحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية، رام الله فلسطين، 2018.

11.علاء محاجنة، القدس في القانون الإسرائيلي في ضوء اعلان ترامب، انعكاسات المواجهة وخيراتها، مجلة سياسات عربية.

12.عريب الرنتاوي، مسارات الدولة نحو التطبيع –شرعنة– إسرائيل و –شيطنة– الفلسطينيين، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 281، خريف 2020، لبنان.

13.عمرو عادل عبد الكريم علي، أثر القيادة الأمريكية الجديدة على قضايا الشرق الأوسط، المركز الديموقراطي العربي.

14.يحي سعيد قاعود، وعلا عامر الجعب، وثيقة الأمن القومي الأمريكي 2017، قراءة تحليلية في استراتيجية دونالد ترامب، قراءات استراتيجية، السنة العاشرة، العدد 20 افريل 2018.

15. قرار الجمعية العامة المتعلق بوضعية القدس، وثيقة الأمم المتحدة رقم 22 L 10 –E.S/A.

# تداعيات تهويد القدس على تسوية القضية الفلسطينية في ظل المتغيرات الإقليمية 2011-2021

- د. بهاء الدين عبد ربه خلف الله
- باحث في دراسات الشرق الأوسط

**الملخص:**

تعتبر القضية الفلسطينية من أهم القضايا المركزية والمحورية بكافة جوانبها خصوصاً قضية القدس لدى الكثير من الدول والشعوب، سيما الدول الإسلامية والعربية كما وتشكل قضية القدس محوراً دولياً واقليمياً واسلامياً وعربياً مهم جداً في طبيعة الصراع العربي الاسرائيلي. لقد تناولت الدراسة عدة مناهج ومحاور متعلقة تداعيات تهويد القدس على تسوية القضية الفلسطينية في ظل المتغيرات. وقد استخدمت الدراسة المنهج التاريخي الذي يعد منهجاً لإحياء الماضي ودراسته وتفسيره، من أجل الوصول إلى الحقائق لتحديد المشكلة، كما استخدمت المنهج الوصفي التحليلي الذي يدرس البحث عن الظواهر الطبيعية والاجتماعية والسياسية.

ووزعت الدراسة على ثلاثة محاور، تناول المحور الأول: دور الأهمية الجيوسياسية والجيواستراتيجية لمدينة القدس، كما تناول المحور الثاني: خطورة تهويد مدينة القدس على تسوية القضية الفلسطينية في ظل الانقسام السياسي الفلسطيني والمتغيرات الاقليمية، وتناول المحور الثالث: مستقبل الهوية التاريخية والإسلامية

لمدينة القدس في ظل الانقسام الفلسطيني والمتغيرات الإقليمية . خلصت الدراسة إلى أهم النتائج: تهويد القدس وانهاء الوجود الفلسطيني فيها يؤدي إلى تسوية القضية الفلسطينية وأوصت الدراسة تشكيل منظمة اسلامية عربية موحدة بمحاكاة المنظمات الدولية للدفاع عن المقدسات الإسلامية والعربية سيما قضية القدس.

**Abstract**: The Palestinian issue is considered one of the most central and pivotal issues with all its aspects, especially the issue of Jerusalem in many countries and peoples, and Islamic and Arab countries in particular. The issue of Jerusalem is a very important international, regional, Islamic and Arab axis in the nature of the Arab-Israeli conflict. The study dealt with several approaches and themes related to the repercussions of the Judaization of Jerusalem on the compromise of the Palestinian issue in light of the changes. The study used the historical method, which is a method for reviving the past, studying and interpreting it, in order to reach the facts to determine the problem. The study was divided into three axes, the first axis dealt with the role of the geopolitical and geostrategic importance of the city of Jerusalem, the second axis dealt with the danger of Judaizing the city of Jerusalem on compromising the Palestinian issue in light of the Palestinian political division and regional changes, and the third axis: the future of the historical and Islamic identity of the city of Jerusalem in light of the Palestinian division and regional changes. The study concluded the following most important results: Judaizing Jerusalem and ending the Palestinian presence in it leads to the compromise of the Palestinian issue. The study recommended the formation of a unified Arab Islamic organization by simulating international organizations to defend Islamic and Arab sanctities, especially the issue of Jerusalem.

## المقدمة

تتمحور هذه الدراسة حول اشكالية تهويد القدس التي تحتل مكانة مهمة ومحورية، و ما يحدث بالقدس من توسيع استيطان وتهويدها في ظل المتغيرات الإقليمية التي يعيشها الشرق الأوسط من ضعف سياسي عربي واسلامي تجاه هذه القضية، مما يضعف أيضا الموقف الفلسطيني أمام المحافل الدولية.

كما وتعتبر قضية القدس أهم واخطر القضايا النهائية في المفاوضات بين الجانبين الفلسطيني "واسرائيل"، كما وأن تداعيات تهويد القدس على تسوية القضية الفلسطينية بالإضافة إلى الهشاشة والتباين الواضح بين القوى الفلسطينية من اسلامية ويسارية، على الرغم من ذلك التباين فان هناك وحدة حول مدينة القدس واهميتها بالنسبة للفلسطينيين، كما أن أطراف الخلاف السياسي الفلسطيني يشككون في بعضهم البعض تجاه أهمية القدس مما هذا يلحق الضرر بالقضية الأهم ألا وهي القدس أمام المحافل الدولية على الرغم خطورة تهويد المدينة المقدسة، وتتخذ "إسرائيل" سلسة من الإجراءات لتغيير ملامح مدينة القدس أهما تهجير سكانها كما حدث في الشيخ جراح مما أحدث مواجهة عسكرية وإشعال المنطقة بأكملها .

تكمن أهمية القدس كقضية ذات طابع سياسي وسيادي ضمن قضايا الحل النهائي للقضية الفلسطينية برمتها، وتبذل (إسرائيل) جهود كبيرة من أجل إبعاد قضية القدس عن الاهتمام العربي والإسلامي والدولي، في محاولةٍ منها

لتحقيق أهدافها التوسعية تهويد في مدينة القدس، ولإفراغها من سكانها الأصليين، كما ويقفز بعض المسئولين الفلسطينيين عن الحقائق التاريخية لقضية القدس، بجعلهم لظاهرة الانقسام الداخلي الفلسطيني كسبب رئيسي لمشروع (إسرائيل) التهويدي في مدينة القدس. غير أن هذا الطرح لا يخلو من سطحية سياسية لأن (إسرائيل) تسعى لإبعاد هذه القضية عن الاهتمام العربي والإسلامي، وإشغالهم في قضايا أخرى. ومع ذلك تبقى تداعيات تهويد القدس على تسوية القضية الفلسطينية خطيرة، مما يلعب دوراً كبيراً في تهميش القضية الفلسطينية أمام المحافل الدولية. ويجب على الفلسطينيين تسريع وتيرة العمل بكل طاقتهم لتحقيق المصالحة السياسية، وتوحيد الخطاب السياسي أمام المحافل الدولية. فبدون ذلك تبقى القضية الفلسطينية، ولا سيما قضية القدس دون حلّ؛ فالقيادات الإسرائيلية المتعاقبة تراهن على الانقسام الفلسطيني والعربي والإسلامي لتحقيق أهدافها في مدينة القدس من تهويد واستيطان وتهجير السكان الفلسطينيين منها وطمس الهوية العربية فيها.

**مشكلة الدراسة**

بسبب الأهمية والطابع الديني والتاريخي والسياسي أيضا لقضية القدس محلياً وإقليمياً ودولياً في ظل المتغيرات المحلية الفلسطينية والإقليمية، سيما الانقسام السياسي الفلسطيني على قضية القدس، وتداعياتها على قضايا الحلّ النهائي للقضية الفلسطينية، وبما أن الموقف الفلسطيني ضعيف أساساً، وازداد ضعفاً في ظل هذا الانقسام، ممّا أثّر سلباً على قضية القدس سياسياً

وطبوغرافياً وديموغرافياً؛ لذلك تبلورت مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي التالي: تداعيات تهويد القدس على تسوية القضية الفلسطينية في ظل المتغيرات الإقليمية 2011-2021.

ويتفرع منه التساؤلات الفرعية التالية:

1. ما مدى الأهمية الجيوسياسية والاستراتيجية لمدينة القدس؟
2. ما أثر خطورة تهويد مدينة القدس على تسوية القضية الفلسطينية 2011-2021؟
3. ما مستقبل الهوية التاريخية والإسلامية لمدينة القدس في ظل الانقسام السياسي الفلسطيني والمتغيرات الإقليمية؟

**أهمية الدراسة**

1. التغيرات المحلية والإقليمية والدولية وانعكاسها على تهويد مدينة القدس.
2. مكانة القدس فلسطينياً وعربياً وإسلامياً أمام المحافل الدولية والمنظمات الأممية.
3. التوجه الفلسطيني من أجل الحفاظ على طابع القدس الإسلامي: إقليمياً ودولياً، سيما في ظل المتغيرات الإقليمية 2011-2021.

**أهداف الدراسة**

1. تبنّي قرار دولي يساهم في التوصل لحل سياسي وسيادي تجاه قضية القدس.
2. السعي من أجل مواجهة تهويد القدس.

3. تبني خطاب سياسي فلسطيني موحد وأيضاً عربي إسلامي من أجل الوصول إلى حلّ نهائي لقضية القدس.

**منهجية الدراسة**

سوف تعتمد الدراسة على المناهج التالية:

1. **المنهج التاريخي**، الذي يهتم بالأحداث السابقة التي تساهم في فهم الحاضر وتفسيره، كما أنه يحاول استشراف المستقبل والتخطيط له، من خلال أحداث ووقائع الماضي التي تدرس بشكل علمي، ويهدف إلى البحث عن الحقيقة العلمية بكل صورها، كما أنه يدرس الماضي وتفسيره من أجل الوصول للحقائق لتحديد المشكلة حتى يتم معالجتها بشكل علمي الذي يستند على وصف وتحديد وخصائص الظاهرة (تداعيات تهويد القدس على تسوية القضية الفلسطينية)، وطبيعة العلاقة بين متغيّراتها وأسبابها واتجاهاتها.
2. **المنهج الوصفي التحليلي**، ويدرس هذا المنهج البحث في الظواهر الطبيعية والاجتماعية والسياسية، والحصول على معلومات حول الحالة الظاهرة "لتهويد القدس "، وطبيعتها من حيث تكوينها والعلاقة بين عناصرها، ويمكن من خلاله وضع تنبؤات عن الأحداث المقبلة، وغالباً ما يأتي المنهج الوصفي التحليلي معاكساً للمنهج التاريخي الذي يخبر عن الماضي، بينما المنهج الوصفي التحليلي يخبر عما سيجري في المستقبل، وعما هو موجود في الوقت الحالي، بمعنى أنه يدرس الواقع الذي نعيشه.

**محاور الدراسة**

أولاً: الأهمية الجيوسياسية والجيواستراتيجية لمدينة القدس.

ثانياً: خطورة تهويد مدينة القدس على تسوية القضية الفلسطينية في ظل الانقسام السياسي الفلسطيني والمتغيرات الاقليمية.

ثالثاً: مستقبل الهوية التاريخية والإسلامية لمدينة القدس في ظل الانقسام الفلسطيني والمتغيرات الإقليمية.

**مصطلحات الدراسة**

**1. الهوية السياسية**

يعنى هذا المفهوم هوية الشعب والدولة، والهوية الشرعية والأساسية التي تعبّر عن كيان الدولة وتاريخها، وتميزها عن شرعية النظام الحاكم. فالسلطة الحاكمة تأتي من الشعب ومن مؤسسات الدولة، وتعبّر الهوية عن الدولة وكيانها السياسي. وتحديد الفرد أو الدولة لهويته السياسية يعنى أن يكون قادرًا على مواجهة الواقع؛ وبالتالي: يحدد برنامجه ومشروعه السياسي استنادًا لهويته السياسية.

**2. الهوية الجيوسياسية**

تستمد الهوية الجيوسياسية أهميتها من ارتباطها بالجغرافيا المتمثّلة بالسكّان، وجغرافيا الاقتصاد، والتداخلات السياسية المتنّوعة، حيث التغيّرات والعلاقات المعاصرة بالمشكلات وانتشارها على نطاق واسع بين الدول، والمرتبطة بالمستوى المعرفي والتنظيمي لدى الدولة، وقدرتها الاقتصادية

والتكنولوجية التي تمكّنها من مواجهة التحديات والمصالح، بالإضافة للقدرة العسكرية التي تلعب دوًرً محوريًا في اتخاذ القرارات الهامة للدولة، وتعبر كذلك عن العمل السياسي على الأبعاد الجغرافية للدولة التي تشمل علاقتها بالدول الأخرى، كما تشمل التنوّع الثقافي والاجتماعي لأفراد المجتمع وتأثيره على أداء الأفراد نحو المجتمع، والحفاظ على مصلحة الدولة، بالإضافة إلى المجال الذي يهتم بمدى تأثير المحيط الطبيعي لدولةٍ ما على الحياة السياسية فيها سواء الداخلية أو الخارجية.

### 3. الهوية الجيوستراتيجية

وهي أثر الموقع الاستراتيجي للدولة من خلال توظيف واستغلال المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والمعلوماتية، للوصول إلى الأهداف العامة والوطنية للدولة، بالإضافة إلى التنسيق في تلك المجالات من أجل مصلحة السياسة العامة للدولة، وتسخيرها في خدمة الشعب، والحفاظ على وجود الدولة ومكانتها.

### 4. التهويد

مصطلح يطلق على ما يقوم به الاحتلال الإسرائيلي لمدينة القدس لتفريغ سكانها الأصليين وهم الفلسطينيين، ولنزع الهوية الإسلامية والمسيحية من المقدسيين لفرض طابع جديد ومستحدث وهو الطابع اليهودي حتى يضفي عليها صفة يهودية الدولة.

## المحور الأول: الأهمية الجيوسياسية والجيواستراتيجية لمدينة القدس

تكتسب القدس أهمية جيوسياسية من خلال الوضع الخاص المتمثل في الصراع العربي الإسرائيلي سيما في فترة الانقسام الفلسطيني، بالإضافة إلى المتغيرات العربية التي لا زالت تشهدها المنطقة العربية منذ أواخر عام 2010. ومنذ استيلاء اليهود على الجزء الغربي من مدينة القدس بمساعدة بريطانية عام 1948، مروراً بهزيمة عام 1967 والاستيلاء على باقي مدينة القدس حتى أصبحت بشكل كامل تحت السيطرة الإسرائيلية، حيث اتسمت بأهميتها الجيوسياسية، لكنها ما زالت تحتفظ بهويتها الجيوسياسية العربية والإسلامية، على الرغم من احتلالها بشكل كامل من قبل الاحتلال الإسرائيلي سيما بعد القرار الأمريكي الأخير والمتمثل بنقل السفارة الأمريكية لمدينة القدس والذي أكسبها أهمية جيوسياسية جديدة على الرغم من كل ما سبق، لكنها لم تغيّر من هويتها العربية والإسلامية.

### أولاً: الأهمية السياسية للقدس

تعتبر مدينة القدس ذات أهمية تاريخية ودينية واسلامية وسياسية للعالم سيما الفلسطينيين، كما أنها تشكل واحدًا من أهم المواضيع الحساسة في السياسة الفلسطينية، إن لم يكن أهمها، فالقدس تشكل رمزية سياسية وسيادية للفلسطينيين، كما أنها تتميز برمزية هامة وأساسية في الصراع السياسي القومي والديني بين الفلسطينيين والعربي والمسلمين من جانب والإسرائيليين من جانب آخر.

اكتسبت القدس حديثًا أهمية خاصة بسبب الوضع الخاص المتمثل في الصراع العربي الصهيوني عليها، فمنذ القرن التاسع عشر كانت القدس محط استهداف صهيوني ظهر في أقوال زعماء الصهيونية وعلى رأسهم ثيودر هرتزل إذ قال: (إذا حصلنا يومًا على القدس وكنت لا ازال حيًا وقادرًا على القيام بأي شيء، فسوف أزيل كل شيء ليس مقدسًا لدى اليهود فيها، وسوف أُدمر الآثار التي مرت عليها القرون)، وقال بنغوريون: ( لا معنى لفلسطين بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل)، وبحلول عام 1917 خضعت فلسطين للاحتلال البريطاني فيما تم تدويل القدس واستمرت الهجرات اليهودية إليها في محاولة لتغيير الواقع الديموغرافي فيها، وفي عام 1948 تم احتلال الجزء الغربي من القدس وتهجير عدد كبير من سكانها من خلال المذابح التي قامت بها العصابات الصهيونية مثل مذبحة دير ياسين، أما في عام 1967 فقد تمت السيطرة على الجزء الشرقي من مدينة القدس، وقرر الاحتلال ضم القدس لتصبح بشقيها الشرقي والغربي عاصمة للاحتلال، غير ان قرار ترامب الأخير بنقل السفارة الأمريكية للقدس واعترافه بالقدس عاصمة للاحتلال كان خطوة علنية تُسهم في زيادة التفرد الصهيوني بالقدس وسكانها وهويتها، وخطوة إضافية خطيرة في طريق تهويدها، الأمر الذي يجعل للقدس أهمية كبيرة تنبثق من خطورة الاعتداءات التي تتلقاها يومًا بعد يوم.[1]

1 الحلايقة، غادة، ما أهمية القدس، موقع موضوع، 7/10/2018 https://mawdoo3.com

بالإضافة إلى ما سبق، تنبع أهمية القدس من قدسيتها لدى المسلمين والمسيحيين وحتى اليهود، فهي تحتوي على أقدس الأماكن المقدسة من خلال احتوائها على معالم دينية طاهرة، فأهم معلم لدى المسلمين فيها هو المسجد الأقصى، وبالنسبة للمسيحيين فيها كنيسة القيامة، بالإضافة إلى معالم دينية أخرى للمسميين كحائط البراق وضريح السيدة مريم ابنة عمران، هذه المعالم وغيرها اكسبتها أهمية سياسية ودينية وتاريخية، حيث أنها تعاني من خطر التهويد على اثر ممارسات الاحتلال الصهيوني لهذه المدينة من التضييق على سكانها سيما ما حدث أخيرً في حي الشيخ جراح وما نتج عنه من تداعيات خطيرة ادت إلى مواجهات عنيفة اوشكت على التوسع لتصبح إقليمية وهذا ما يشكل خطرًا كبيرًا على المنطقة إذا ما حاول الكيان الصهيوني العودة للممارسات التهويدية لمدينة القدس.

**ثانيًا : صراع الأهمية على القدس**

تلعب أي حدود سواء كانت على صعيد الدولة أو على صعيد المدن المهمة في الدولة سيما المدن السياسية، وهي الأكثر أهمية في نطاق الدولة. وليس بالضرورة أن تكون العاصمة هي وحدها التي تتمتع بتلك الأهمية، لكن في الحالة الفلسطينية خصوصًا مدينة القدس، حيث تلعب الحدود السياسية دورًا هامًا لخصوصيتها على اعتبار أنها مدينة صراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وما لها من أهمية دينية وسياسية في تحديد العلاقة بين الجغرافيين والسياسيين، حيث لكل منهما اعتباراته؛ فالسياسيين يهتمون بالحدود

السياسية باعتبارها جزء مما يسمى "Landscape"، أي الأرض والتنسيق، حيث تلعب جميع العناصر دورًا مهمًا في ترسيم أي مدينة سيما مدينة القدس لأهميتها السياسية والدينية، إلاَّ أن الجمع بين هاتين الأهميتين حساس جدًا كون إن المدينة محتلة.

وتبقى الجغرافيا هي الأهم؛ فجغرافية الموقع الذي تتمتع به فلسطين وهو ما صرح به دون لبس رئيس المؤتمر الصهيوني "ناحوم غولدمان" في محاضرة ألقاها في مدينة مونتريال الكندية عام 1968، بعيد توليه رئاسة المنظمة الصهيونية، إذ صرح قائلًا: "لم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوراتي والديني بالنسبة إليهم، ولا لأن مياه البحر الميت تعطي بفعل التبخر ما قيمته ثلاث آلاف مليون دولار من المعادن وأشباه المعادن، وليس لأن مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين مرة مخزون الأمريكيتين مجتمعتين؛ بل لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوروبا وآسيا وأفريقيا، ولأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم، ولأنها المركز الاستراتيجي للسيطرة على العالم"[2].

وعلى ضوء ما سبق، تولي (إسرائيل) أهمية كبيرة للحالة الديمغرافية لمدينة القدس، ولذلك تعتمد على استراتيجية التفوق الديموغرافي على حساب

2- ماجد الدرويش، "مدينة القدس، فلسطين الجغرافيا في خدمة التاريخ"، موقع القدس أون لاين، 19/12/2018؛
http://www.alquds-online.org/articles/642

سكان القدس الأصليين، من خلال الإجراءات الاستيطانية التي تستخدمها بحق الفلسطينيين، وبذلك ينعكس على الهوية الجيوسياسية للقدس.

**ثالثًا: محور الصراع بين الفلسطينيين والاحتلال الاسرائيلي**

إن محور الصراع في القدس أنه صراع ديموغرافي جغرافي، يسعى الاحتلال الإسرائيلي من خلاله إلى تفريغ المدينة من سكانها العرب الفلسطينيون؛ وبالمقابل تعمل على زيادة التواجد اليهودي الإسرائيلي فيها "التهويد". إن دراسة الواقع الديموغرافي لمدينة القدس وضواحيها يؤكد على أن التجمعات والأحياء اليهودية تمركزت داخل حدود بلدية القدس لعام 1947، وكانت تمثل أربعة أضعاف التجمعات والأحياء العربية المتواجدة داخل حدود البلدية، علمًا بأن التجمعات العربية انتشرت في القسمين الشرقي والغربي من مدينة القدس مثل: سلوان والطور شرقي الخط الأخضر، وبيت صفافا والمالحة غربي الخط الأخضر، وهي تلك المناطق التي عمدت السلطات البريطانية على إبقائها خارج حدود البلدية. وعلى أية حال وانطلاقًا من إن مدينة القدس ترزح تحت الاحتلال فإن التواجد اليهودي فيها كان على حساب التواجد الفلسطيني، علمًا بأن التواجد اليهودي في القسم الشرقي من مدينة القدس قبل عام 1967 لم يتجاوز عدة مئات. وفي حين أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي لم تعلن ضمها لأراضي الضفة الغربية، إلاَّ أنها سارعت إلى ضم القسم الشرقي من مدينة القدس إلى الاحتلال الإسرائيلي وإعلان توحيد شطري المدينة، حيث إنه في عام 1980 أقر الكنيست الإسرائيلي قرارًا يعلن القدس الموحدة العاصمة

الأبدية لدولة الاحتلال الإسرائيلي وكأكبر مدينة إسرائيلية، حيث أدى هذا الضم إلى توسيع حدود المدينة من 6.5 كم مربع (تضم البلدة القديمة) لتصل إلى 7 كم مربع[3].

وعليه، فالصراع منذ السيطرة على مدينة القدس واحتلال الشطر الشرق منها، ليس حدثًا بسيطًا، فالصراع بين الفلسطينيين والاحتلال الإسرائيلي صراع جيوسياسي واستراتيجي لا يمكن التفريط به بأي شكل من الشكال للأهمية التي تتمتع بها القدس، فطبيعة الصراع لا يمكن عزلها عن الاستراتيجيات السياسية الثابتة للفلسطينيين، والتي يسعى من خلالها الاحتلال الاسرائيلي، لإلغاء الهوية المقدسية سواء التاريخية والإسلامية والمسيحية من اجل تفريغها من سكانها الفلسطينيين وجعل السيطرة اليهودية عليها مما يتسبب سيطرة اليهود عليها" تهويدها".

**حالات الصراع بين الطرفين الفلسطيني والاحتلال الإسرائيلي:**

**1- المسجد الاقصى**

المسجد الأقصى له دلالاته وابعاده التاريخية والإسلامية والمسيحية، وبالتالي يعتبر رمزية دينية لدى المسلمين عمومًا، وهو مصدر الهدوء والتوتر بين الطرفين الفلسطيني والاحتلال الإسرائيلي.

3- التخطيط الجيوسياسي للقدس"1948-2010"، معهد الأبحاث التطبيقية أريج، القدس، ديوان الرئاسة (م.ت.ف)، 2009، ص3؛ أسامة أبو نحل، "الموقف الأمريكي من قضية القدس وتأثيره على قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة"، ورقة عمل مقدّمة لمؤتمر (الأمم المتحدة والقضية الفلسطينية: تحديات وفرص)، جامعة الإسراء بغزة، 2017، ص2.

**2- نقاط الاحتكاك**

وهي نقاط يتم فيها اللقاء بين الطرفين بشكل دائم ويومي، سيما داخل الأحياء العربية

**3- أحداث تاريخية وعامة**

تواريخ مهمة في حياة الفلسطينيين واحداث سواء في الضفة الغربية واو قطاع غزة او الداخل الفلسطيني، من خلالها يتم الاحتكاك بين الطرفين يؤدي إلى توترات قد تؤدي إلى مواجهات تمتد إلى مناطق وجغرافيا اوسع من القدس.

**4- احداث طارئة**

قد تحدث فجأة وهذه غالباً ما تتعلق باليهود وتصرفاتهم تجاه الفلسطينيين.

وعلى ضوء ما ذكر آنفًا، إن محور الصراع في القدس بين الفلسطينيين والاحتلال الإسرائيلي، هو صراع على الجغرافيا والديموغرافيا (صراع ديموغرافي- جغرافي) بمعنى آخر الديموغرافيا تحدد الجغرافيا، ومن خلال ذلك يحاول الاحتلال الصهيوني تفريغ سكان القدس من السكان الفلسطينيين، وعلى الجانب الآخر تعمل على زيادة اليهود في القدس، فالتواجد اليهودي يكون على حساب التواجد الفلسطيني، وما يحدث في حي الشيخ جراح دليل على تنفيذ مخطط التهويد والعمل والسعي أيضا على تفريغ القدس من الفلسطيني وبالتالي العمل على تهويدها، ومن الاساليب التي يستخدمها الاحتلال الإسرائيلي من اجل تهويد القدس:

1- هدم منازل الفلسطينيين المقدسيين بحجة عدم الترخيص.

2- سحب الهويات المقدسية من اصحابها، بحجة ترك المدينة لمدة طويلة.

3- عدم منح المقدسيين تصاريح للبناء من أجل التوسع بسبب زيادة في عدد الأسرة الفلسطينية.

4- التشكك في ملكية العقارات التي يمتلكها المقدسيين .

5- التضييق على المقدسيين في الحصول على وظيفة في المدينة من أجل العيش بكرامة.

والأمر الأكثر خطورة توسيع الاستيطان من خلال تقليص الأراضي وتغيير المعالم الجغرافية وزيادة النفوذ اليهودي. بمعنى كظم الأرض الفلسطينية وتهجير سكانها، وطمس الهوية الوطنية حيث جاءت كنقيض للهوية الصهيونية القائمة على الاحتلال وتشريد السكان الفلسطينيين وتبلور الحفاظ على الهوية بالمقاومة ضد الاحتلال لإثبات حق الهوية الوطنية والحفاظ عليها في مواجهة الاجتثاث الصهيوني للفلسطينيين من ارضهم فهم باقون ما بقيت أرواحهم في أجسادهم.

وفي النهاية لا يمكن إغفال اهمية القدس الجيوسياسية والاستراتيجية، مما يجعلها أكثر اهتمام بين الطرفين ليس هذا فقط بل يعني الصراع عليها بين الطرف الفلسطيني و الاسرائيلي وكذلك تبرز اهميتها الجيوسياسية والاستراتيجية عند الطرفين، بينما الاسرائيليون يسيطرون عليها بشكل شبه كامل، مع بقاء بعض الخصوصيات لأهالي القدس من الفلسطينيون، وهنا تظهر المواجهة الدراماتيكية بين الطرفين على القدس واهميتها التاريخية والسياسية.

## المحور الثاني: خطورة تهويد القدس على تسوية القضية الفلسطينية 2011-2021

يعتبر مفهوم مصطلح تهويد القدس هو المحاولات التي يقوم بها الاحتلال الصهيوني من أجل نزع الهوية الوطنية والإسلامية والتاريخية من المقدسيين وفرض طابع وصورة مغايرة لواقع المدينة المقدسة، بإضفاء الطابع اليهودي عليها من أجل تهويدها وإنهاء الوجود الفلسطيني فيها، واستخدمت من الوسائل والاجراءات ضد المقدسيين تناولتها الدراسة في المحور الأول، نذكر منها التوسع الاستيطاني في المدينة وهو الأشد والأخطر. ومن خلال ذلك وعلى مدار سنوات الاحتلال التهام وكظم الأراضي الفلسطينية والسيطرة عليها بالعنف وتشريد سكانها وتهجيرهم.

وفي حديث مع "اندبندنت عربية", قال مدير" مركز القدس للحقوق الاجتماعية والاقتصادية" زياد الحموري، عن " الوضعية التي تعيشها الضفة والقدس بشكل خاص تهدد مستقبل المجتمع الفلسطيني برمته، فالتهام الراضي ومصادرتها لإنشاء مشاريع استيطانية بالاستناد إلى مختلف القوانين الإسرائيلية، التي سعت تل ابيب إلى سنها منذ عام 1967، جعلت المنطقة الفلسطينية برمتها تعيش وضعًا مأسويًا يعيق أي تطور أو توسع، بالتالي فإن الحديث عن إقامة دولتين لشعبين، ما هو إلا تصريحات سياسية غير قابلة للتنفيذ كما لا يمكن العودة بهذا الوضع إلى الوراء"، وبرأي الحموري فإن "

المستوطنات القائمة، وليس فقط المستوطنات الكبرى التي حسم الاحتلال الإسرائيلي أنه لن يتنازل عنها، متواجدة في وضع يستحيل فيه على الاحتلال التخلي عنها لا بأساليب دبلوماسية ولا بقوة الإخلاء كما حدث في بعض البؤر الاستيطانية في السابق.[4]

**أولًا: اشكالية التهويد**

يواجه ساسة الفكر اليهودي في الكيان الإسرائيلي مشكلة كآراء تنطوي على كيفية تحقيق التهويد وتوسيع الحدود دون إحداث تغيير في الميزان الديموغرافي بل وإمالته لصالحهم، هذه الحقيقة توضح أسباب تردد الحكومات الإسرائيلية وتأخرها في تنفيذ عمليات الضم، إضافة إلى تأثير كل من عوامل الطبوغرافيا والإسكان والتجارة التي لم تكن مشجعة أدركت السلطات الإسرائيلية أنه كلما زادت مساحة الأراضي المضمومة ستزداد نسبة السكان العرب الذين سيضافون، وهذا من جانبه يفسر اختلاف وجهات النظر والتناقض بين البلدية والحكومات الإسرائيلية حول إقامة مستوطنات يهودية في حدود القدس الكبرى.[5] ظل إيجاد سيطرة وأغلبية يهودية ضمن حدود القدس الكبرى أمرًا مثيرًا للجدل بين الجهات الرسمية للبلدية، ففي حين يراه البعض عاملًا مساعدًا في زيادة السكان اليهود اعتبره البعض الآخر ان نقل السكان اليهود من القسم الغربي

4 شحادة، امل، عبر " تهويد الضفة والقدس" جعلت إسرائيل قيام دولة فلسطين امراً مستحيلاً، " اندبند نت عربية"، 12/5/2021، https://www.independentarabia.com/node/221641

5 أبو حلو، مسلم، سياسة التهويد الديموغرافي والجغرافي لمدينة القدس، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع1، 2002، ص 109.

وتوطينهم في القسم الشرقي من المدينة سيؤثر على الوزن الديموغرافي للشطر الغربي وتفريغه، من جانب آخر يرى فريق ثالث ان استمرار نمو السكان الفلسطينيين داخل حدود البلدية في القسم الشرقي او محيطها سيؤدي خلال فترة وجيزة إلى وضع الإسرائيليين الخطوات الاستراتيجية المتمثلة فيما يلي :

1- تسهيل توطين أكبر عدد ممكن من المهاجرين الجدد.

2- توفير ظروف اقتصادية واجتماعية لجذب السكان اليهود من خارج حدود القدس إليها.

3- الحد من النمو الفلسطيني في القدس وحولها. [6]

وعلى ضوء ما سبق أنفًا, تتعرض القدس منذ احتلالها و السيطرة الإسرائيلية عليها سنة 1967 وما زال الكيان الإسرائيلي يسعى لتهويد القدس بحيث يستطيع فرض واقع جديد يتناسب مع الكيان الاسرائيلي وعلى اعتبار ان القدس عاصمة لكيانهم، لقد اتبعت الحكومات الإسرائيلية المتعددة والمتعاقبة أساليب شتى لتحقيق أهدافها وهي تهويد القدس.. وكان الاستيطان الوسيلة الرئيسية والأكثر فعالية وبذلك يزيد عدد المستوطنين في القدس وهذا يحتاج إلى تمدد جغرافي على حساب الفلسطينيين، وبهذا يتم تقليص عدد الفلسطينيين وتهديدهم بالطرد من القدس وما حدث مؤخرًا في حي الشيخ جراح يعكس تلك المخططات على الأرض ويترجمها على الواقع الجغرافي والديموغرافي للمدينة.

وفي السياق ذاته فإن إشكالية التسوية عند الكيان الإسرائيلي مرتبطة بالتالي:

6 المرجع السابق، ص 110

1- الحفاظ على الهوية اليهودية للقدس " التهويد".

2- الحفاظ على الأمن الصهيوني للقدس.

3- الحفاظ على الجغرافيا السياسية الصهيونية في القدس .

وهذا يشكل خطر على الهوية المقدسية للفلسطينيين في القدس، وتكون بذلك السيادة الكاملة للكيان الإسرائيلي على القدس، ويفقد حق الفلسطينيين في اقامة الدولة على حدود الرابع من حزيران 1967 .

**إجراءات تهويد القدس**

اتخذت مسألة تهويد القدس لتفريغ وتهجير السكان الفلسطينيين منها عدة أساليب وطرق من خلالها يستطيع الكيان الصهيوني العمل على زيادة نسبة المستوطنين في القدس مما يشكل خطر على الديموغرافية الفلسطينية داخل القدس وأهمها:

1- تهويد المرافق والخدمات العامة، حيث قامت بإلغاء الإدارة العربية في القدس.

2- القضاء على النشاط الاقتصادي العربي، من خلال منع المشاريع العربية داخل القدس.

3- إغلاق دائرة الشؤون الاجتماعية، من خلال خضوعها لمكاتب صهيونية في القدس.

4- تهويد معالم القدس الجغرافية، من خلال تغيير أسماء الشوارع والمواقع والمناطق إلى العبرية.

5- تهويد القضاء النظامي والشرعي الإسلامي، من خلال الاجراءات التالية:

أ. نقلت مقر محكمة الاستئناف العليا من القدس إلى رام الله.

ب. دمجت محاكم البداية والصلح في القدس بالمحاكم الإسرائيلية.

ج. طلبت من القضاة والموظفين الفلسطينيين الالتحاق بالوزارة الإسرائيلية.

د. فصلت القضاء النظامي في القدس عن الضفة الغربية، والحقته بالقضاء الإسرائيلي لكنها ابقت على المحاكم الشرعية الإسلامية.[7]

وتعمل السلطات الإسرائيلية على عدم عودة سكان القدس الشرقية الذين يغادرونها من أجل العمل أو السفر، وبالمقابل تشجع وزارة الداخلية الإسرائيلية اليهود وتقدم لهم حواز كبيرة من اجل الهجرة إلى القدس الشرقية محاولة منها لتفريغ سكانها الفلسطيني وبالتالي زيادة نسبة الإسرائيليين والمستوطنين.[8]

وفي نفس السياق، فإن هذه الإجراءات التي تساهم وتساعد على تهويد القدس بشكل كامل، إلا أن الكيان الصهيوني وعلى الرغم من ذلك فالسكان الفلسطينيون ما زلوا محافظين على هويتهم التاريخية والوطنية، وعلى قدر صعوبة الإجراءات التي يتخذها الكيان الصهيوني ضد سكن القدس من الفلسطينيين إلا أنهم ماكثون وصامدون ومقاومون وخير دليل على ذلك ما حدث مؤخرًا في حي الشيخ جراح، مما أشعل المنطقة الفلسطينية بأكملها، وزد

7 أبو عامر، عدنان، سياسة الكيان الصهيوني تجاه مدينة القدس، المركز العربي للدراسات الإنسانية، فلسطين، 2009، ص21.

8 Khaled, Mar`i, Regional Socio-Economic and Territorial Continuty of the Arab Villages Surrounding East Jerusalem, Birzet University ,Palestine ,2006 ,p32.

على ذلك التحركات العربية والإسلامية والعالمية، للوقوف جانب الشعب الفلسطيني سيما سكان حي الشيخ جراح بسبب ما تعرضوا له من اجراءات قاسية لتهجيرهم من القدس والسعي إلى تهويد القدس في نفس الوقت.

تبنت الحكومة الإسرائيلية منذ الاحتلال الإسرائيلي للقدس الشرقية عام 1967، عدد من السياسيات الممنهجة ضد السكان الفلسطينيين والتي تهدف غلى تعزيز الإسرائيليين السيطرة في جميع أنحاء المدينة من خلال خلق الواقع الديموغرافي والجغرافي على ارض القدس، واعلن العديد من المسؤولين الإسرائيليين عن سياساتهم الديموغرافية في القدس، كما في اجتماع المجلس البلدي الذي عقد في 13 اغسطس 1967 اعلن الحاخام كوهين واجرؤ على القول بصراحة "انه يتعين علينا ان نفعل كل ما في وسعنا لنجعل القدس اكبر مدينة يهودية في العالم، مدينة يهودية حقيقة سواء من حيث اعداد السكان وإضفاء الطابع اليهودي على المدينة بأكملها.[9]

وكما اعلن مردخاي إيش شالوم رئيس بلدية القدس سابقاً عضو مجلس المدينة في 1967 " المطلوب–وبسرعة– يهود، يهود كثيرون في القدس لا اكثر علاوة على ذلك في يوليو 1980 وبخطوة حاسمة تم إعلان القدس (الغربية والشرقية) عاصمة دائمة لإسرائيل.[10]

9 Abedelrahman Halawani, The Role of Israeli Planning Policies on Controlling Arabs in East Jerusalem, Birzet University ,Palestine ,2006,p41,

10 المرجع السابق، ص41.

**ثانيًا: قانون التسوية ينتهك قرارات الشرعية الدولية**

إن الاستيطان الإسرائيلي في أراضي الضفة الغربية بشكل خاص يعد واحد من اكثر المعضلات تهديدًا للسلام، وإن سياسة الكيان الصهيوني في زرع المستوطنات تشكل عائقًا رئيسيًا يقف في طريق إيجاد حل لمشكلة القضية الفلسطينية برمتها، فإقامة المستوطنات يعتبر في القانون الدولي بفروعه، "بالإضافة إلى نقل سكان الدول المحتلة إلى الإقليم المحتل" مناقضة كل المبادئ الدولية وميثاق الأمم المتحدة، بعد التعنت الإسرائيلي وعدم دفع استحقاقات السلام، أصدرت قوانين عنصرية وشرعت بناء المستوطنات في أراضي السلطة الفلسطينية، أي أنها تجاوزت ما ورد في اتفاقيات السلام –اتفاق أوسلو، وان مشروع التسوية ينتهك كافة القوانين والقرارات الدولية ويتعارض معها، ومع ذلك يستمر الكيان الصهيوني في معارضته للقانون الدولي وخرقه الواضح.[11] ومن الاعتبارات السياسية التي تحد من تنمية القدس الشرقية، أن السكان الفلسطينيين لا يشاركون في عملية التخطيط وتنعكس هذه السياسة على الثقافة الحضرية الفلسطينية.[12]

وعليه، فإن الاستيطان هو الخطر الأكبر على مسار التسوية، وبالتالي يعد من اكثر المعضلات والاشكاليات التي تواجه الفلسطينيين وتهدد عملية

11 قاعود، عبد الجبار، مشروع قانون التسوية الإسرائيلي(تسوية التوطين 2017) والآثار المترتبة حال تطبيقه على محافظة القدس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، فلسطين، 2017، ص 18-19

12 Najjar, Read ,Using the Power of Planning to Limit the Future Development of East Jerusalem, Birzet University, Palestine, 2007,p22.

السلام بين الطرفين، وتساهم في تسوية القضية الفلسطينية سيما قضية القدس التي تواجه خطر التهويد منذ احتلالها، حيث يسابق الكيان الصهيوني الوقت من أجل إنهاء الوجود الفلسطيني داخل مدينة القدس، وطمس هويتهم الوطنية والعربية والإسلامية، من خلال إتباع الأساليب التي ذكرت آنفًا عبر الدراسة منها التهجير القصري وهدم المنازل، فلا تترك فرصة من أجل تحقيق أهدافها الاستيطانية لتفريغ المدينة المقدسية من سكانها الفلسطينيين والعمل على تهويدها سيما في ظل المتغيرات العربية والإسلامية والإقليمية، مستغلة التباين في المواقف الإقليمية من عملية التهويد سيما ضعف المواقف العربية والإسلامية وعدم التوصل لموقف عربي إسلامي موحد يواجه تهويد القدس امام المحافل الدولية والإقليمية .

**ثالثًا: الرؤية الصهيونية لتسوية القضية الفلسطينية**

يعلن الكيان الصهيون مرارًا وتكرارًا تأييدها لفكرة قيام دولتين فلسطينية وإسرائيلية تعيشان جنبًا إلى جنب بسلام، كما عبر عنه الرئيس الأمريكي بوش في رؤياه من يوم 24 حزيران 2002، ولم تتغير التصريحات الصهيونية على مدار ستين عامًا دون أن يكون هناك تغيرًا حقيقًا وملموسًا على أرض الواقع، على العكس يزداد التوسع في المستوطنات ويُضّيق الخناق على الشعب الفلسطيني، ويُمارس القمع والقتل والهدم من قبل الحكومات الصهيونية

المتعاقبة، كما وتهدف (إسرائيل) إلى ان تكون دولة يهودية ديمقراطية تعيش بانسجام مع الدول المجاورة لها.[13]

وتتمحور رغبة الكيان الصهيوني في التحول إلى كيان سياسي طبيعي في المنطقة وتحويل النظرة إليه من كيان سرطاني وخطر يجب استئصاله إلى ظاهرة صحية طبيعية، لأنه يدرك تمامًا أن لا مستقبل له في المنطقة دون ذلك، وهذا ما دفع رئيس المنظمة الصهيونية ناحوم جولدمان N,Goldman (1956-1968)، وهي المنظمة التي أنشأت الكيان الصهيوني إلى القول: " لا يوجد مستقبل على المدى الطويل دون تسوية سلمية مع العرب"، وعلى هذا فالجانب الصهيوني بحاجة إلى العناصر التالية من اجل التسوية.

1- قوة الكيان الصهيوني بحيث يستطيع هزيمة البلاد العربية مجتمعة.

2- قوة النفوذ اليهودي الصهيوني دوليًا.

3- وقوف الدول الكبرى مع الكيان الصهيوني سيما الولايات المتحدة الأمريكية.

4- حالة ضعف وعجز وانهزام فلسطيني وعربي وإسلامي .[14]

وعلى ضوء ما ذكر آنفًا، على الرغم من إدراك الكيان الصهيوني لأهمية تسوية القضية الفلسطينية واهمية الموقف العربي والإسلامي من هذه المسألة التي تهم الجميع سيما ما يتعلق بمدينة القدس وأهميتها العربية والإسلامية، ولا يمكن التوصل لحل دائم وشامل لتسوية القضية الفلسطينية دون تسوية قضية

13 إسماعيل، هنادي، الدولة الفلسطينية نموذج بناء المؤسسات في قيام الدولة، جامعة النجاح، فلسطين، رسالة ماجستير غير منشوره، 2012، ص92.

14 المرجع السابق، ص 94

القدس التي تتسم بالأهمية الجيوسياسية والاستراتيجية لدى طرفي الصراع؛ ونتيجة لذلك يسعى الكيان الصهيوني لإدارة الصراع بين الطرفين دون التوصل لحل دائم وشامل يرضي الطرفين، وبقي الحل الصهيوني بقاء القدس عاصمة لدولتهم المزعومة دون تقسيم والسيطرة الصهيونية على غور الأردن وعدم الاعتراف بحق العودة والاعتراف بهودية الدولة فقط وانهاء القضية الفلسطينية سيما ما يتعلق بالقدس وبقاؤها تحت السيطرة الصهيونية بشكل كامل.

وعليه، تولي (إسرائيل) أهمية كبيرة للحالة الديمغرافية لمدينة القدس، ولذلك تعتمد على استراتيجية التفوق الديموغرافي على حساب سكان القدس الأصليين، من خلال الإجراءات الاستيطانية التي تستخدمها بحق الفلسطينيين، وبذلك ينعكس على الهوية الجيوسياسية للقدس.

**معوقات التسوية**

لا يصعب على من يرى ما فرضته (إسرائيل) على ارض الواقع، التوصل إلى فهم تداعيات الواقع على مستقبل الدولة الفلسطينية فإذا كنت في نابلس وتنوي الانتقال إلى بلدة فلسطينية أخرى تصطدم على طرفي الطريق بعدد كبير من المستوطنات بل وتشاهد بأم العين واقع الفلسطينيين المأسوي، ففي معظم المستوطنات يمر سكانها من المستوطنين في الشوارع الفلسطينية بل يجولون فيها بحرية مطلقة، فيما الفلسطيني يجد نفسه ليس فقط غريباً في بلدته وعلى ارضه، بل أمام خطر المستوطنين المحميين من الشرطة والجيش الإسرائيليين

الذين لا يترددون في اعتراض طريق الفلسطينيين أو حتى الاعتداء عليهم، وينطبق ذلك على القدس وباقي المدن والبلدات الفلسطينية.[15]

وفي السياق ذاته، ان اقامة دولة فلسطينية في ظل الممارسات الاستيطانية والعمل على تهويد الضفة الغربية والقدس وقطع التواصل بينهما من الناحية الواقعية يكون اقامة دولة فلسطينية امراً بعيد المنال ويبقى حلماً للفلسطينيين، الا ان يتم عكس كل ما ذكر او يتخذ موقف جولي حاسم تحت البندين السادس والسابع من مجلس الامن لإنهاء الحالة الاستيطانية التي تمارسها (اسرائيل) بحق الشعب الفلسطيني.

**القرار 3790**

يشكل قرار الحكومة الإسرائيلية المعروف ب "قرار 3790"، عنصراً مركزياً في سياسة تهويد القدس، وهو قرار تمت فيه المصادقة على " الخطة الخمسية لتقليص الفجوات الاجتماعية والاقتصادية والتطوير الاقتصادي لشرق القدس"، والمفترض ان تنتهي عام 2023، وأعلن الإسرائيليون بوضوح ان الهدف منه هو " تعزيز قدرة سكان القدس الشرقية على الاندماج في المجتمع الاقتصادي الإسرائيلي وتعزيز حصانة العاصمة" اقتصادياً واجتماعياً، هذا الهدف بحد ذاته هو استكمال لتهويد القدس من خلال تثبيت السيطرة الإسرائيلية على المدينة وفلسطينييها.[16]

15 شحادة، امل، مرجع سبق ذكره،
16 المرجع السابق.

وعليه، تريد (اسرائيل) فرض واقعاً جديداً وخطيراً على سكان القدس وفي نفس السياق تسعى لتهويد مدينة القدس، من خلال اقرار القانون السابق، وتسريع عملية انشاء المشاريع الإسرائيلية في القدس الشرقية ودمج الشباب الفلسطيني من أجل إنهاء الهوية المقدسية لسكان مدينة القدس.

وتحاول السلطات الإسرائيلية جعل القدس الشرقية غير متجانسة اسلاميا وعربيا من خلال تقليل نسبة السكان الفلسطينيين. ويتم تحديد هذه المناطق المتجانسة وفقاً للدين أو الاصل أو العائلة أو العرق وترتبط هذه المناطق ببعضها، لذا تحاول السلطات الإسرائيلية في القدس الشرقية من منع كل هذا التجانس الذي يربط السكان الفلسطينيين ولا حتى الروابط الإسلامية تظهر من خلال هذا التجانس، فتعمل جاهدة على اطفاء الصبغة اليهودية على القدس بشكل كامل.[17]

**المحور الثالث: مستقبل الهوية التاريخية والإسلامية لمدينة القدس في ظل الانقسام الفلسطيني والمتغيرات الإقليمية.**

تعتبر القدس من أهم الأماكن المقدسة لدى العرب والمسلمين كما وتعتبر منارة للامة الإسلامية والعربية سيما الفلسطينيين، لمكانتها الدينية والتاريخية لدى المسلمين، لهذا القدس محل صراع بين الأمم التي سبقت حكمتها، وقضية القدس ما زلت حية في أذهان المسلمين والعرب، إذ تعرضت لكثير من

17 Yazeed, M.Elrifai, The Role of Modern Socio -Cultural Aspects in Transforming Jerusalem Old City Urban Form, Birzeit University, Palestine ,2006,p26.

محاولات طمس الهوية العربية والإسلامية للمدينة المقدسة، وحتى في الوقت الحالي ما زلت القدس تتعرض لطمس الهوية وتغييرها والعمل على تهويدها.

كما ويسعى الكيان الصهيوني لتزييف الحقائق والتاريخ من خلال البروبوغندا التي يروجها باستخدام كافة الوسائل ومن اهمها الماكنة الإعلامية التي لها الدور الكبير في التأثير على كل من يصله هذا الإعلام المشوه، وفي ظل انشغالات العالم بمشاكله الداخلية والخارجية سيما جائحة كورونا، حيث انشغل الكثير من دول العالم عن القضية المحورية والمركزية وهي قضية القدس والسعي إلى تهويدها من خلال الاساليب والوسائل التي ذكرت في سياق الدراسة.

**أولاً: ماهية أزمة الهوية**

من خلال قراءة سريعة لأزمة الهوية عالميًا نجد أنها ليست مشكلة مجتمع بذاته؛ بل مشكلة مجتمعات عدة كما يصفها صموئيل هينتغتون، إذ يقول: ليست الولايات المتحدة فريدة في أن لديها مشكلة هوية، النقاشات الوطنية سمة عالمية لزمننا؛ ففي كل مكان تقريبًا تساءل الناس وأمعنوا النظر، وأعادوا تعريف ما هو مشترك لديهم، وما يميزهم عن الشعوب الأخرى، من نحن؟ وإلى أين ننتمي؟ فاليابانيون يتنازعون على ما إذا كان موقعهم وتاريخهم وثقافتهم تجعلهم آسيويون؟ أو أن ثروتهم وديمقراطيتهم وحداثتهم تجعلهم غربيين؟ لقد وصفت إيران بأنها "أمة تبحث عن هوية"، وجنوب أفريقيا "منشغلة في البحث عن هوية"، والصين كذلك، وسوريا والبرازيل حسب رأي هينتغتون تواجهها أزمة

هوية، أما كندا فتواجه "أزمة هوية مستمرة"، والدنمارك "أزمة هوية حادة"، والجزائر "أزمة هوية دموية مدمرة"، وتركيا "أزمة هوية فريدة" تقود إلى جدال ساخن حول "الهوية الوطنية"، وروسيا "أزمة هوية عميقة" تعيد فتح جدال القرن التاسع عشر الكلاسيكي بين ذوي النزعة السلافية وذوي النزعة الغربية[18].

وعلى ضوء ما ذُكر سابقاً، فإن الهوية بشكل عام تتعرض لإشكالية في كثير من الدول كما ذكرنا آنفًا، وهذا الأمر لا يبتعد عن قضية القدس تلك الحالة النادرة والغريبة كونها مدينة محتلة، وسكانها الأصليين يعانون مرارة الاحتلال. وتحاول (إسرائيل) طمس الهوية الجيوسياسية والثقافية والدينية الفلسطينية لمدينة القدس، من خلال إنشاء وتوسيع مشاريعها الاستيطانية والديموغرافية التي تشكل الخطر الأكبر على مدينة القدس، فإن وحدة الدولة "النظام السياسي" يمكن أن تتحقق وتستمر، من خلال تعبير الشعب عن رغبته، وإرادته في تحديد هويته الجيوسياسية، أما إذا كانت تلك الوحدة تعبر عن رغبة القيادة السياسية لوحدها فإنها لن تطول كثيرًا.

إن سياسات الهوية هو نموذج للترابط الوثيق لآراء وأفكار الجماعات، وتنطلق التحليلات السياسية لسياسة الهوية من الاضطهاد، ومحاولة القضاء، وإصلاح الأمور، والنظر في إيجاد الحلول، أو تحويل وتصويب ما سبق من الظلم. ومن خلال الجملة السابقة يتضح أنه لا وجود لسياسات هوياتية ما لم

18- حبيب مهدي، "دراسة في مفهوم الهوية"، دراسات إقليمية، مركز الدراسات الإقليمية، الموصل، م 5، ع 13، 2009.

تعاني هذه الجماعات الظلم والاضطهاد، فسياسات الهوية جاءت كنتيجة للواقع الصعب الذي عانته هذه الجماعات في مجتمعاتها[19].

وعلى ضوء ما سبق، فإن مسألة الهوية من أهم المؤثرات في الظواهر السياسية في الدولة، حيث إنها تساهم في استقرار الدولة سياسيًا واجتماعيًا، وتحافظ على امنها، كما وتعتبر من المكونات الهامة للنظام السياسي للدولة، بقدر حفاظ الأحزاب السياسية على البنية الداخلية والتماسك السياسي. وبإسقاط ذلك على الحالة الفلسطينية سيما مدينة القدس، لا بد لهذه المكونات السياسية من وضع الخطط والبرامج السياسية، وبلورة استراتيجية موحدة للحفاظ على الهوية السياسية للدولة أو سياسة الهوية، أو ما يعرف بالهوية الجيوسياسية للدولة، حيث تعتبر من أصعب وأعقد الأدوات المؤثرة في الظواهر السياسية لأي دولة من خلال مساهمتها في الأمن والاستقرار، بالإضافة إلى أن الهوية تعد من أهم المرتكزات المهمة للسياسة في وقتنا الحالي، من خلال المساهمة في التماسك السياسي، وكما يتطلب من جميع الأحزاب والحركات في الدولة العمل على وضع خطة ورؤية، للحفاظ على سياسية الهوية والهوية الجيوسياسية للدولة.

19- فارس لونيس، سياسات الهوية وأثرها على الاستقرار والمواطنة بين الـ "هم" والـ "نحن"، جامعة حسيبة بن بو على، الجزائر، المؤتمر الدولي الثامن، 2015، ص6.

## 1- الهوية الوطنية الفلسطينية

لقد ساهمت الخصوصية التي تمتع بها الشعب الفلسطيني في بلورة الوعي بضرورة الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية، ليتمكن من البقاء مدافعًا عن الحق الذي حُرم منه، الأمر الذي لم يكن مرتبطًا في التهديد الذي تعرض له نتيجة النكبة عام 1948، بخسارة الوطن وتشتيت الإنسان الفلسطيني في الداخل والخارج؛ بل منذ بدايات المشروع الصهيوني الذي لم يترك للمواطن الفلسطيني خيارًا غير المواجهة حفاظًا على الذات من الاندثار والنفي. وقد ساهم النضال الفلسطيني بالرفض الكامل لمحاولة سلب الأرض، وعكس ذلك نفسه بالمساهمة في بلورة الهوية الوطنية الفلسطينية كهوية نضالية، ثبتت ورسخت في الصراع، ومناهضة التحركات العدائية في فلسطين، وصاغ شعب فلسطين هويته الوطنية والدفاع عنها، فواصل عبر التاريخ تطوير ذاته في التوحد الكلي بين الأرض والإنسان، فليست الهوية الفلسطينية شيئًا وهميًا؛ بل هي حقيقة واقعية تكونت في محطات كبرى. وبالرغم من الوجود المادي للشعب الفلسطيني فوق أرضه التاريخية، إلاَّ أن حديثه عن الهوية الوطنية لم يعط ذلك الاهتمام، ولكن اقتلاع الشعب والأرض منذ بدايات الانتداب البريطاني، سهل للحركة الصهيونية هجرة المستوطنين لفلسطين، ونجاح المشروع الصهيوني فيها[20].

20- سامر أبو سير، السياسات الإسرائيلية وأثرها على إشكالية الهوية في القدس، جامعة الأزهر - غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، غزة، 2018، ص32-31.

## 2- الهوية المقدسية

إن الهوية المقدسية بصفة عامة وعلى مدار التاريخ القديم والحديث جزء من الهوية الفلسطينية، والهوية الفلسطينية جزء من الهوية الشامية، ولا يعني الحديث عن الهوية المقدسية تفتيت الهوية الفلسطينية أو تفكيكها، وإنما الغرض من ذلك إبراز تقنيات الاستعمار في تفكيك الهوية التاريخية لفلسطين، ونزع قداسة وتاريخ المكان من أجل إعادة تعريفه وامتلاكه واستعماره ثقافيًا وسياسيًا وعسكريًا على مساحة مكانية لها خصوصية كبيرة مثل مدينة القدس[21].

وعلى ضوء ما ذكر سابقًا، عملت الحركة الصهيونية بكافة قواها على طمس الهوية الفلسطينية سيما الهوية المقدسية، سواء على صعيد الأرض والإنسان وحتى التاريخ والثقافة، من خلال عملية التهويد الفاشية ضمن مخطط استعماري ما زال قائمًا، وما زالت تستخدم كافة الوسائل من أجل تغير الجيوبوليتيك لمدينة القدس وضواحيها، كما عملت على إعادة كتابة تاريخ القدس بالطريقة الصهيو إسرائيلية لتفكيك الهوية المقدسية، حتى وصل الأمر إلى تغيّر الشكل الديموغرافي للمدينة. وما تزال (إسرائيل) تعمل على تفريغ المدينة من سكانها الأصليين تحت حجج واهية، كما حدث مؤخرًا في وادي الحمص بصور باهر.

21- شريف مراد، "القدس الهوية الصهيونية كنزع لقداسة المكان"، الجزيرة نت، 12/12/2017
https://blogs.aljazeera.net/blogs/2017/12/12

## ثانيًا: تداعيات الانقسام السياسي الفلسطيني على الهوية الجيوسياسية لمدينة القدس

أصبح مفهوم الهوية السياسية يشغل كثير من المجتمع الفلسطيني لا سيما سكان مدينة القدس، لما لها من دلالات دينية وثقافية وتاريخية خصوصاً السياسية، لأن طابع المدينة المقدسة جد معقد بسبب احتلالها وشبه السيطرة الكاملة من قبل الاحتلال الإسرائيلي عليها، مما أكد زيادة الأهمية على تعزيز الهوية الفلسطينية في مختلف مجالات الحياة في القدس، من خلال عمليات التنشئة السياسية التي هي جزء من التنشئة الاجتماعية، من خلال الأدوار التي تقوم بها الشخصية الفلسطينية في البيئة الاجتماعية، لأن عملية اكتساب الهوية تعد من الوظائف الأساسية للتنشئة السياسية وهي تعكس ثقافة المجتمع.

وساهم وصول المجتمع الفلسطيني إلى مرحلة الانقسام بين تياراته الحزبية السياسية (فتح وحماس) في حزيران (يونيو) 2007، عقب فوز حركة حماس في انتخابات المجلس التشريعي عام 2006، في زيادة إعاقة بناء وتطوير المجتمع الفلسطيني الديمقراطي، ومستقبل الوحدة الجغرافية والسياسية للضفة الغربية وقطاع غزة، فنشأت تناقضات في كيفية رؤية مستقبل المجتمع الفلسطيني وقيام دولته، وأسفر عنها قطع التواصل بينهما، وتشكيل حكومتين متعاديتين، حكومة تسعى للاستمرار في عملية السلام والالتزام في الاتفاقيات

السياسية متمثلة بالسلطة الفلسطينية التي أنشأتها حركة فتح، وحكومة رافضة لعملية السلام واتفاق أوسلو في قطاع غزة متمثلة بحركة حماس[22].

وعلى ضوء ما ذُكر آنفًا، بالإضافة إلى الانقسام الجغرافي القائم قبل اتفاق أوسلو عام 1993 وبقي مستمرًا بسبب العائق الأساسي (إسرائيل)، أوجد أيضا انقسامًا سياسيًا على إثر سيطرة حركة حماس على قطاع غزة منتصف عام 2007، وأدى ذلك إلى انعكاس الانقسام السياسي على القدس وهويتها المهددة أصلًا من قبل الانقسام بسبب الأعمال الاستيطانية التي تقوم بها (إسرائيل) بحق سكانها العرب، فأثر الانقسام وبشكل سلبي على كافة المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وخلق نهجين سياسيين مختلفين في كيفية بناء الدولة الفلسطينية، وتطوير المجتمع الفلسطيني[23].

تتسم مدينة القدس بأهمية خاصة لدي جميع الشرائع السماوية ومن بينها الديانة الإسلامية، فلها دلالات دينية هامة جدًا، كما يولى لها اليهود والمسيحيين أهمية أيضًا، فتبقى القدس مدينة صراعات سيما بين الفلسطينيين والإسرائيليين، لعدة أسباب أهمها: المزيج الديموغرافي القائم فيها، والاختلاف على هويتها بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي، حيث الطرف الأول هو الأضعف بسبب ممارسات (إسرائيل) الاستيطانية في المدينة، كما أن الانقسام السياسي الفلسطيني، وغياب موقف موحد، ورؤية استراتيجية فلسطينية واضحة،

22 خولة سلامة، الهوية ومواطنة المرأة الفلسطينية المقدسية واقع وعوائق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بير زيت، 2013، ص67-66.
23 المرجع السابق، ص67.

انعكس على أهمية هويتها الجيوسياسية والدينية والثقافية أيضًا، كما أن إصرار الطرفين على أحقيتهم بالمدينة أنتج مشكلة كبيرة يصعب حلها بسهولة، حيث تعتبر القدس جوهر الصراع العربي الإسرائيلي حتى تخطت قضية القدس الحدود، وجذب الصراع قوى دولية وأممية للتوصل إلى حل.

**1.خطر الانقسام الفلسطيني على مدينة القدس:**

منذ أن تم احتلال مدينة القدس وهي تعاني من ظلم الاحتلال وممارساته وسياساته، ولكن في السنوات الأخيرة استثمرت السلطات الاحتلالية الانقسامات الفلسطينية الداخلية، كما أنها استغلت الحالة العربية المترهلة، والانحياز الأمريكي والغربي، وهي ماضية في مشاريعها الاستيطانية التهويدية التي تسير بخطى متسارعة بهدف تغيير طابع المدينة، وتزوير تاريخها، والنيل من هويتها، وإضعاف الحضور العربي الفلسطيني الإسلامي والمسيحي فيها[24].

وعليه، بالرغم من أن الفلسطينيين بكافة أطيافهم السياسية يدركون تمامًا خطورة الانقسام على الحالة الفلسطينية سيما مدينة القدس، ولكن الأخطر من ذلك انعكاسه على الهوية الجيوسياسية للمدينة المقدسة، لذلك يجب على صنّاع القرار الفلسطيني إدراك أن هذا الانقسام يزيد من فقدان المدينة المقدسة لهويتها العربية والإسلامية والجيوسياسية؛ فالهوية القومية أو العرقية أو الدينية أو السياسية ما هي إلَّا نماذج ضيقة، فهناك نموذج أشمل وأوسع من ذلك كله

24- عطا الله حنا، "القدس في خطر كبير"، موقع دنيا الوطن، 29/9/2018
https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2019/03/20/1227155.html

عندما تكون الهوية تجمع كل هذه النماذج، وتتجاوز أبعد من ذلك لتصبح هوية وطنية تنتمي إلى الجغرافيا والتاريخ والإرث، لتخضع لمصالح مشتركة تجمع كل الأطياف في إطار واحد مشترك يخدم القضية الفلسطينية، سيما قضية القدس التي باتت تغيب حتى عن الواقع العربي والإسلامي وليس الفلسطيني وحده، وما حدث مؤخرًا في القدس خصوصًا في وادي الحمص بصور باهر، سوى دليل على غياب الموقف الموحد والمشترك الذي يجمع تلك الأطياف المتنوعة في مصلحة مشتركة تخدم القضية الفلسطينية، لكن (إسرائيل) استغلت هذا الغياب لتقوم بما فعلته بكل سهولة ولم نسمع سوى الشجب من بعض الحكومات على استحياء. فالهوية الوطنية لا تكتسب قوتها ومصداقيتها إلَّا من خلال مقدرتها على التطور مع المعطيات السياسية والأحداث، والاستجابة لها حتى تستطيع مقاومة ما يحدث من تغيّرات جيوسياسية على الوضع القائم.

**2.التوظيف الإسرائيلي الأمريكي للانقسام السياسي الفلسطيني**

استغلت (اسرائيل) الانقسام السياسي الفلسطيني بما يخدم مصالحها، حيث تفرغت للاستيطان في الضفة الغربية وتهويد القدس، واتخذت قرارات عنصرية كقانون القومية دون وجود ردود فعل إزاء سلوكها، خاصة من المجتمع الدولي ولكن من جهة ثانية تتأكد الآن استراتيجية المشروع الاسرائيلي القائمة على تجزئة الشعب الفلسطيني، وتبديد هويته الوطنية وتفتيت كيانه التمثيلي الموحد، وتسجل نجاحاً حتى إن تكلّف هذا مد طوق النجاة لحركة حماس حيث عملت (اسرائيل) على استكمال سياسة فصل قطاع غزة عن الضفة الغربية

التي شرعت بها قبل توقيع اتفاقية أوسلو، واستمرت في تنفيذها بشكل مطّرد، وصولاً إلى تنفيذ عملية إعادة الانتشار في محيط القطاع تحت عنوان خطة فك الارتباط الأحادي الجانب (2005) التي لعبت المقاومة الفلسطينية دوراً مهماً في حدوثها، ولكنها استهدفت تعميق الفصل وقطع الطريق على إقامة دولة فلسطينية وبث الفتنة والانقسام والاقتتال في الصفوف الفلسطينية.[25]

وعلى ضوء ما سبق، شكلت هذه الاستراتيجية التي تنتهجها (اسرائيل) العامل الأساسي لبقاء قطاع غزة منفصل عن الوطن والعمل على إنهاء مشروع الدولة الفلسطينية، وبقاؤه حلماً للشعب الفلسطيني، وتحويل الضفة إلى تقسيمات من اجل الاباحة للمستوطنين بالمضايقة على سكان القدس والضفة الغربية من خلال بناء الكنتونات والمستوطنات والتي تزايدت في ظل الانقسام السياسي الفلسطيني، مما اضعفت الحالة الفلسطينية امام المحافل الدولية، كما ساهم الانقسام على تراجع الاهتمام الدولي والاقليمي بالقضية الفلسطينية، والتعامل مع القضية الفلسطينية على أنها قضية انسانية اكثر منا سياسية، كما ويشكل الانقسام السياسي الفلسطيني تهديداً استراتيجياً للقضية برمتها سيما قضية القدس وتهويدها، كما نتج عن الانقسام السياسي انقساماً اجتماعيا وهذا لا يقل خطرا عن الانقسام السياسي مما ضاعف الفجوة بين المجتمع الفلسطيني ومكوناته.

25 شعبان، عمر، تداعيات الانقسام على المشروع الوطني والتوظيف الاقليمي له، م.ت.ف، مركز الابحاث، 2019 /https://www.prc.ps

## ملخص النتائج

تتمتع القدس بأهمية جيوسياسية واستراتيجية تمكنها من بقاؤها على قمة اولويات القضية الفلسطينية والقضايا الإسلامية والعربية، وتسعى إسرائيل جاهدة على مدار السنيين السابقة والوقت الحالي لتهويد القدس وافراغها من سكانها الفلسطينيين، وما يجري في الشيخ جراح ضمن مخطط التهويد وافراغ السكان الفلسطينيين منها بحجج واهية من أجل السيطرة على المدينة بشكل كامل والعمل على تهويدها من خلال هدم البيوت وسحب الهويات من الفلسطينيين المقيمين في القدس وزيادة الاستيطان، وهذا كلة يؤدي الى تسوية القضية الفلسطينية وبدون القدس لا توجد دولة فلسطينية ولا قضية فلسطينية، وأيضاً ضبابية الموقف الدولي والإقليمي من الممارسات الإسرائيلية يساهم في توسيع الاستيطان وزيادة الممارسات العدوانية في القدس، و ضعف وغياب الموقف الإسلامي والعربي الرسمي من التصدي لممارسات (اسرائيل) يؤدي الى عدم الاكتراث من قبل (اسرائيل) بذلك، بالإضافة الى الانقسام السياسي الفلسطيني وهو الاخطر على القضية الفلسطينية برمتها.

## النتائج والتوصيات

### أولاً: النتائج

توصلت الدراسة الى النتائج التالية:

1. تهويد القدس وانهاء الوجود الفلسطيني فيها يؤدي إلى تصفية القضية الفلسطينية

2. ضبابية الموقف الدولي والاقليمي من الاعتداءات الإسرائيلية على مدينة القدس والاماكن المقدسة فيها بشكل عام .
3. عدم ردود فعل قوية وصارمة من قبل مجلس الامن والمنظمات التابعة للأمم المتحدة والمنظمات والهيئات الدولية تجاه ما يحدث في القدس من ممارسات استيطانية والعمل على تهويدها.
4. الانقسام السياسي الفلسطيني يضعف الموقف الفلسطيني والاقليمي، أمام مواجهة ما تقوم به (إسرائيل) من ممارسات عدوانية على القدس وسكانها الفلسطينيين.
5. يتأثر مستقبل الهوية التاريخية والإسلامية للقدس في ظل الانقسام السياسي الفلسطيني وضعف الموقف الإسلامي والعربي.
6. تتسم القدس بأهمية جيوسياسية واستراتيجية مهمة تجعلها على اولويات القضايا الإسلامية والعربية.

**ثانياً: التوصيات**

توصي الدراسة بالتالي:

1. تشكيل منظمة اسلامية عربية موحدة بمحاكاة المنظمات الدولية للدفاع عن المقدسات الإسلامية والعربية سيما قضية القدس.
2. تقديم الدعم بكافة اشكاله لسكان القدس من أجل تعزيز صمودهم وصبرهم على ممارسات الاحتلال الصهيوني، ومحاربة مخطط تهويد القدس.

3. تدويل القضية الفلسطينية سيما قضية القدس وإبراز معاناة سكان القدس في وجدان الأمم والشعوب.
4. العمل على وصول مخرجات هذه الندوة العلمية والدولية لصناع القرار في كل من جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي والمنظمات صاحبة الشأن .
5. قيام جماعات الضغط والمنظمات الأهلية العربية والإسلامية ورجال الاعمال والاكاديميين والسياسيين لدعم القدس وفلسطين بشكل عام والمقدسات الإسلامية والعربية عموماً.
6. العمل على استمرار المؤتمرات الدولية المتعلقة بالقدس لرفع مكانتها دولياص وبقاؤها القضية المحورية والأهم دولياً واسلامياً وعربياً.

# قائمة المصادر والمراجـع

**أولًا: الرسائل العلمية**

1. إسماعيل، هنادي، الدولة الفلسطينية نموذج بناء المؤسسات في قيام الدولة، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة النجاح، فلسطين،، 2012
2. خولة سلامة، الهوية ومواطنة المرأة الفلسطينية المقدسية واقع وعوائق، رسالة ماجستير غير منشورة، فلسطين، جامعة بير زيت، 2013.
3. سامر أبو سير، السياسات الإسرائيلية وأثرها على إشكالية الهوية في القدس، فلسطين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر–غزة، 2018.
4. قاعود، عبد الجبار، مشروع قانون التسوية الإسرائيلي(تسوية التوطين 2017) والآثار المترتبة حال تطبيقه على محافظة القدس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، فلسطين، 2017.

**ثانياً: المجلات والدوريات**

1. أسامة أبو نحل، "الموقف الأمريكي من قضية القدس وتأثيره على قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة"، ورقة عمل مقدّمة لمؤتمر (الأمم المتحدة والقضية الفلسطينية: تحديات وفرص)، جامعة الإسراء بغزة، 2017.
2. أبو حلو، مسلم، سياسة التهويد الديموغرافي والجغرافي لمدينة القدس، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع1، 2002 .
3. أبو عامر، عدنان، سياسة الكيان الصهيوني تجاه مدينة القدس، المركز العربي للدراسات الإنسانية، فلسطين، 2009.
4. حبيب مهدي، "دراسة في مفهوم الهوية"، دراسات إقليمية، مركز الدراسات الإقليمية، الموصل، م 5، ع 13، 2009.

5. فارس لونيس، سياسات الهوية وأثرها على الاستقرار والمواطنة بين الـ "هم" والـ "نحن"، جامعة حسيبة بن بو على، الجزائر، المؤتمر الدولي الثامن، 2015.
6. معهد الأبحاث التطبيقية أريج، التخطيط الجيوسياسي للقدس"1948–2010"، القدس، ديوان الرئاسة (م.ت.ف)، 2009.

**ثالثاً: المواقع الالكترونية**

1. شريف مراد، "القدس الهوية الصهيونية كنزع لقداسة المكان"، الجزيرة نت، 12/12/2017 https://blogs.aljazeera.net/blogs/2017/12/12
2. شحادة، Hمل، عبر " تهويد الضفة والقدس" جعلت إسرائيل قيام دولة فلسطين امراً مستحيلاً، "اندبند نت عربية"، 2021/5/12، https://www.independentarabia.com/node/221641
3. شعبان، عمر، تداعيات الانقسام على المشروع الوطني والتوظيف الاقليمي له، م.ت.ف، مركز الابحاث، 2019 https://www.prc.ps/
4. عطا الله حنا، "القدس في خطر كبير"، موقع دنيا الوطن، 29/9/2018
3. https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2019/03/20/1227155.html

**رابعاً المراجع الاجنبية**

1.Abedelrahman Halawani, The Role of Israeli Planning Policies on Controlling Arabs in East Jerusalem, Birzet University ,Palestine ,2006,
2.Khaled, Mar`i, Regional Socio-Economic and Territorial Continuty of the Arab Villages Surrounding East Jerusalem, Birzet University, Palestine ,2006.
3.Najjar,Read ,Using the Power of Planning to Limit the Future Development of East Jerusalem, Birzet University,Palestine,2007.
4. Yazeed,M.Elrifai, The Role of Modern Socio-Cultural Aspects in Transforming Jerusalem Old City Urban Form, Birzeit University,Palestine,2006.

# الفاتيكان وقضية القدس
# 1948-1967


- د. خالد مكرم فوزى
- جامعة بنى سويف، جمهورية مصر العربية


لقد أولى الفاتيكان قضية القدس اهتماماً كبيراً، لأنه يعد قبلة للعالم المسيحي، لذلك عارض منذ البداية فكرة إنشاء دولة يهودية في فلسطين خشية وقوع القدس والأماكن المقدسة المسيحية الأخرى تحت هيمنة وقبضة إسرائيل[1] حيث أعلن البابا بيوس الثاني عشر(1939-1958) في أعقاب زيارة كل من ونستون تشرشل، وتايلور المبعوث الشخصي للرئيس الأمريكي روزفلت للفاتيكان عام 1944 معارضته لإقامة دولة يهودية في فلسطين[2]. كما عارض الفاتيكان قرار هيئة الأمم المتحدة الصادر في التاسع والعشرين من نوفمبر 1947، بشأن تقسيم فلسطين خشية ضياع القدس، ودعا البابا في الرابع والعشرين من أكتوبر 1948 بإعطاء طابع دولي للقدس وضواحيها[3].

1 علاء عبد الرازق، العلاقات بين الفاتيكان وإسرائيل في عهد البابا بندكيت السادس عشر، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العراق، 2012، ص164

2 جورج عيرانى، مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد 6، عدد 23، تحليل دراسة سيليفو فيرارى، الفاتيكان وإسرائيل من الحرب العالمية الثانية إلى حرب الخليج، 1995، ص1.

3 F.O 371-68500 Situation In Palestine Terrorist Activity And Fighting Between Jews And Arabs. Italian Press Reports Of Vatican Call For Small Military Contingents To Protect Holy Places. War Of 1948

ولقد تزايد اهتمام الفاتيكان بالقدس عقب حرب عام 1948 بشكل كبير، وذلك للقلق من أن تصبح إسرائيل معقلاً للاشتراكية في الشرق الأوسط، وتنتشر القوى المعادية للمسيحية في المنطقة، والخوف من وقوع مدينة القدس والأماكن المقدسة المسيحية الأخرى تحت هيمنة وتصرف إسرائيل، وتردى أوضاع الجالية المسيحية الموجودة في فلسطين، لذا رحب الفاتيكان بدعوة الأمم المتحدة بتشكيل مجلس رئاسي من قبلها لإدارة المدينة[4].

وذهب البعض إلى أن الفاتيكان دعا إلى تدويل القدس خوفاً من أن تسعى إسرائيل تدريجياً لإلغاء أي وجود للمسيحين والمسلمين في القدس، وعدم تمكن اللاجئين الفلسطينيين من العودة إلى أراضيهم، وأن تغدو القدس ملاذاً آمنا لهم[5]. وحاول الفاتيكان في أعقاب حرب 1948 الضغط على إسرائيل للعودة إلى حدود عام 1947، وإعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى أوطانهم، لكن دون جدوى، فأعلن الفاتيكان عدم اعترافه بإسرائيل[6]. فسارع الكنسيت الإسرائيلي مع نهاية عام 1949 بإعلان القدس عاصمة لدولة إسرائيل فأعلن الفاتيكان رفضه لهذا المسلك واعتبره هو والعدم سواء[7] ولقد أكد بابا الفاتيكان في رسالة صادرة

4 F .O141-1247-0018 Palestine Cessation Of Hostilities. Vatican's Position. War Of 1948.

5 F.O 371-75343-0002 United Nations Efforts To Solve The Palestine Problem. Anglo-United States Views And Proposals. Israeli Breaches Of Truces. Assistance To Egypt.

6 Kreutz, Andrej , The Vatican and the Third World, the case of the the Palestinians, National Library of Canada,1987, p.268

7 Ferrari, Silvio, The Vatican, Israel and the Jerusalem Question (1943-1984),Middle East Journal, Vol. 39, No. 2 (Spring, 1985),p.322

منه في الثاني والعشرين من إبريل لعام 1949على قداسة القدس، وأنه من الضروري أن يسود السلام والأمن في منطقة الشرق الأوسط عامة والقدس خاصة. كما دعا الكاثوليكيين في العالم على ضرورة استخدام كل وسيلة لديهم لإقناع حكوماتهم بضرورة منح القدس وضواحيها حالة الصفة الدولية، ومع ضرورة منح الأماكن المقدسة الحماية اللازمة ليس في مدينة القدس فقط لكن في كافة الأراضي الفلسطينية. حيث أصيبت هذه الأماكن في حرب عام 1948 بأثار جسيمة، لذلك لابد أن تصان هذه المقدسات الجليلة[8].

وفى حقبة الخمسينات والستينيات من القرن العشرين، وهى الفترة التي شهدت استقلال الكثير من دول الشرق الأوسط، وقيام حركة عدم الانحياز، تمسك الفاتيكان بعدم الاعتراف بإسرائيل وضرورة تدويل القدس، وأن يكون للمسيحين الكاثوليك دور في إدارة الأماكن المقدسة في فلسطين[9].

وقد حدث تقارب نسبى بين الفاتيكان وإسرائيل في عام 1964، حيث قام البابا بولس السادس (1963- 1978) بابا الفاتيكان بزيارة رسمية لإسرائيل بناء على طلبها. وأصدر ليفي أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك بيان ترحيب بزيارة البابا للمنطقة[10] واستقبل البابا زلمان شازار رئيس دولة إسرائيل،

8 وثائق وزارة الخارجية، المفوضية الملكية المصرية لدى الكرسى البابوى، ميكروفليم 87 الفاتيكان، أرشيف البلدان، منشور من قداسة البابا من الأماكن المقدسة بفلسطين، ملف 6/2،تحريرًا في 1949/4/22.

9 جورج عيرانى، مرجع سابق، ص 2.

10 The Times(London, England),Israel prepares to receive the pope on pilgrimage, Thursday, Jan 2,1964, p.1.

الذى حاول استغلال الزيارة من الناحية السياسية، لكن البابا أعلن أن هدف هذه الزيارة هو تفقد أحوال المسيحيين في فلسطين[11] وأكد عدم اعتراف الفاتيكان بإسرائيل وخاصة مع تمسكها بأن تكون القدس عاصمة لها، بل تحاش البابا ذكر اسم دولة إسرائيل من الأساس[12] حتى أن رسالة الشكر التي بعث بها إلى الرئيس شازار كانت معنوية " إلى الرئيس شازار رئيس إسرائيل، تل أبيب ". ومن الواضح أن البابا تعمد عدم ذكر دولة إسرائيل و القدس رغم أنها مقر رئيس الدولة[13].

ولقد وجُهت لهذه الزيارة العديد من الانتقادات والاعتراضات من قبل بعض الإسرائيليين، حيث رأى البعض أن الاحتفاء الزائد بالبابا يقلل من هيبة إسرائيل، وخاصة أن الفاتيكان لم يعلن رسمياً اعترافه بدولة إسرائيل، ويرفض أن تكون القدس عاصمة لها[14] وخاصة أن شازار خرج لاستقبال البابا فور وصوله إسرائيل وفقاً للبروتوكولات الدولية ولم ينتظر حتى يصل إلى القدس، وأن عدم ذكر البابا دولة إسرائيل في حديثه من الممكن أن يفسر بأنه إذعان من جانب إسرائيل للفاتيكان وإهانة لها[15] .

---

11 The Times (London, England),The pope to visit Holy Land Next Month,Thursday,Dec5,1963 ,p.1.

12 المطران إدمون فرحات، القدس في الوثائق الفاتيكانية، مجلة الدراسات الفلسطينية – بيروت، دار النهار، 1992، ص 1-2

13 محمد حسنى، الفاتيكان والقدوس، منشورات دار المنظمومة2004، ص777.

14 The Times (London, England): Israel prepares to receive e pope on pilgrimage, Thursday, Jan 2, 1964,p.1.

15 The Times (London, England),Welcome By Israel President, Monday, Dec 23,1963,p.1.

وفي أعقاب حرب 5 يونيو 1967، سيطرت إسرائيل على مدينة القدس بالكامل وقامت بهدم الحوائط التي كانت تفصل بين القدس القديمة والجديدة مستخدمة في ذلك الديناميت والجرافات[16] وهدّمت كذلك العديد من المنازل وصادرت الكثير من الأراضي، ومارست الضغوط على سكان المدينة من المسلمين والمسيحين وهجّرت البعض منهم قسراً، وإعادة اليهود الذين تركوا مدينة القدس والخليل[17]. وفى السابع من يونيو عام 1967 وقف موشى ديان أمام حائط المبكى وقال " لقد حررنا القدس، وجمعنا شمل المدينة الممزقة عاصمة إسرائيل، لقد عدنا إلى الضريح المقدس، ولن نتركه أبداً"[18] وأعلن الكنيست الإسرائيلي في تاريخ 1967/7/27 سلسلة من القوانين التي تمكن الحكومة الإسرائيلية من جعل القدس مدينة واحدة تحت سيطرة الإدارة الإسرائيلية، وسلمت إسرائيل رئيس بلدية مدينة القدس أمراً إداريًا بحدود القدس الجديدة تحت الإدارة الإسرائيلية. ثم قام أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي بجمع رؤساء الديانات الثلاثة وأبلغهم أن الأماكن المقدسة سوف تديرها كل طائفة، وأن وزارة الأديان الإسرائيلية ستتولى الإشراف عليها[19].

16 The Times (London, England), Israel Opens Jerusalem Barriers, Friday, Jun 30, 1967,p.1.

17 Foreign Relations of The united states, 1964-1968, Volume xx, Arab Israel Dispute, 1967-1968,Telegram from The department of State to the Embassy in Israel, Washington, March 2, 1968

18 Kreutz, Andrej : The Vatican and the Third World ,the case of the Palestinians, Doctor of Philosophy ,University of Toronto, March 26,1987,p.301

19 Kreutz, Andrej : Op.Cit,p.302

وأمام هذه الإجراءات الإسرائيلية في مدينة القدس، أرسل البابا بولس السادس رسالة في السادس من يونيو 1967 إلى كل من الأمين العام للأمم المتحدة وإلى حكومات إسرائيل، مصر، سوريا، ولبنان بضرورة المحافظة على قدسية مدينة القدس[20] كما أصدر البابا في اليوم التالي بياناً جاء فيه "يجب على الجميع المحافظة على مدينة القدس والأماكن المقدسة، وأن المصلحة العليا لذرية إبراهيم الروحية، يهود، مسيحيون، ومسلمون، هو أن تعلن القدس مدينة مفتوحة، وأن تبقى في مأمن عن الأعمال الحربية "[21].

ومن ناحية أخرى قام مراقب الفاتيكان في الأمم المتحدة أثناء مناقشة الجمعية العامة لأزمة الشرق الأوسط بطرح قضية القدس، وكان لذلك الفضل في أن تأخذ مسألة القدس بعين الاعتبار في المشروع الذى قدمته الدول اللاتينية، وإن لم يحرز الأصوات اللازمة لإقراره[22] ونتيجة لضغط كل من الفاتيكان والأردن قررت الأمم المتحدة إدخال قوات عسكرية دولية إلى مدينة القدس في محاولة منها للضغط على إسرائيل تمهيداً للوصول إلى حل سلمى تقبله جميع أطراف النزاع في الشرق الأوسط[23].

---

20 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 181، كود أرشيفى 050154- 0078، موقف الفاتيكان من أزمة الشرق الأوسط، ملف رقم 217/255، مذكرة الفاتيكان بشأن القدس والأماكن المقدسة، 1967/8/27.

21 محمد حسنى، مرجع سابق، ص778

22 وثائق وزارة الخارجية المصرية، مذكرة الفاتيكان بشأن القدس والأماكن المقدسة، نفس الوثيقة السابقة.

23 Foreign Relations of The united states, 1964-1968, Volume xx, Arab Israel Dispute, 1967-1968,Memorandum Form secretary of state Rusk to President Johnson, Washington, April 27,1968.

وفى السادس والعشرين من يونيو عام 1967 تحدث البابا وألقى كلمة عن قضية القدس بمناسبة اجتماعه بالكرادله جاء فيها " يجب أن تبقى مدينة القدس مدينة الله، واحة السلام والتعبد ومكان التلاقي للجميع، ويجب أن تنعم بدستور خاص مكفول دولياً "[24]. وقد صرح كاسارولى نائب وزير الخارجية بالفاتيكان في السادس من يوليو 1967، ضرورة أن يكون لمدينة القدس خصوصية ووضع دولي، وأن تظل بمنأى عن الصراعات والحروب، وذلك حفاظاً على قدسيتها، ويجب ممارسة الضغوط الإقليمية والدولية على إسرائيل لقبول تدويل القدس والتخلي عن فكرة اتخاذ القدس عاصمة لإسرائيل. لكن نظراً لتمسك كل طرف من الأطراف برأيه أضحت قضية القدس من المسائل الشائكة، فالدول العربية لا توافق على التدويل وإسرائيل تريد أن تحتفظ بمدينة القدس، والفاتيكان متمسك بالتدويل[25].

وعلى الجانب الدبلوماسي قام الفاتيكان بعقد لقاءات دبلوماسية في الداخل والخارج في محاولة منه للوصول إلى حل لقضية القدس، ففي بداية شهر يوليو عام 1967 أرسل ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل رسالة إلى البابا بولس السادس ومذكرة شفوية حملها إلى البابا مدير مكتب أشكول وأحد كبار المسؤولين في وزارة الأديان الإسرائيلية، وتحدثت هذه الرسالة عن وضع مدينة

24 وثائق وزارة الخارجية المصرية، مذكرة الفاتيكان بشأن القدس والأماكن المقدسة، نفس الوثيقة السابقة.

25 F.O 174-402, Arab affairs and the middle East crisis 1967, Priory Holy see to foreign office, tel. No.27,6 July 1967.

القدس، كما استقبل البابا السفير الإسرائيلي في روما في الرابع من يوليو عام 1967، وكانت هذه هي المرة الأولى التي استقبل فيها البابا السفير الإسرائيلي، وذلك للتشاور في قضية القدس[26].

وعلى أثر ذلك أرسل الفاتيكان المونسنيور فيليتشى لدراسة وضع القدس على الأرض، وإجراء اتصالات مع المسؤولين في إسرائيل، حيث التقى بكل من ليفى أشكول، وأبا ايبان وزير خارجية إسرائيل، وبعض المسئولين في وزارة الأديان لكنه وجد منهم جميعاً تصميماً على جعل القدس عاصمة لإسرائيل، كما أوضحوا له صراحة أن حلم إسرائيل هو اتخاذ القدس عاصمة لها، وأن الإسرائيليين تواعدوا على اللقاء فيها منذ أجيال، وقد عملوا من أجل ذلك اليوم منذ ألاف السنين، وجهزوا له منذ ثمانية عشر عاماً [27].

وصرحت إسرائيل من جانبها أنها ستضمن حرية الوصول إلى القدس والأماكن المقدسة، وإعطاء المزارات المسيحية في مدينة القدس القديمة بعض الامتيازات، وصرح أشكول لصحيفة Times البريطانية أن إسرائيل لديها الرغبة في الحفاظ على قدسية الأماكن المقدسة، وأنها ليست بحاجة للسيطرة على المزارات في القدس سوى المزارات اليهودية، وإذا كان الفاتيكان يطالب بحقه في

26 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 181، كود أرشيفى 050154- 0078، موقف الفاتيكان من أزمة الشرق الأوسط، ملف رقم 455/ 217 سرى جداً، إسرائيل والفاتيكان، 1967/7/19.

27 نفس الوثيقة.

الإشراف على القدس لوجود بعض المزارات المسيحية، فإن لإسرائيل نفس الحق لوجود حائط المبكى وغيرها من الأماكن اليهودية داخل المدينة[28].

كما أعلنت إسرائيل أنها عرضت على فيليتشى أثنا زيارته لإسرائيل ملكية كنسية القيامة، وهذا ما كذبه المونسنيور فيليتشى بنفسه بأن هذا الكلام غير مقبول، لأن الفاتيكان مازال متمسكاً بضرورة تدويل القدس[29] بل إن الفاتيكان قد أعلن صراحة في أعقاب 5 يونيو 1967، بأنه يسوئه أن يرى القدس والأماكن المقدسة المسيحية تحت هيمنة وسيطرة الصهيونية، وأنها مؤامرة قامت بها إسرائيل منذ سيطرتها على فلسطين عام 1948 للسيطرة على القدس[30] .كما صرح الأسقف جورج حكيم أسقف الجالية الكاثوليكية في حيفا بأن الفاتيكان متمسك بتدويل القدس، وأن البابا لا يمكن أن يوافق على شيء إلا إذا وافقت عليه الدول العربية وقبلته، وهذا ما أكده البابا للأسقف حكيم أثناء لقائه به في الفاتيكان في منتصف يوليو 1967[31].

يتضح مما سبق أن إسرائيل قامت بلعبة سياسية ماكرة، وهى أنها جّرت الفاتيكان إلى الدخول معها في مفاوضات حول موضوع القدس، إذ أنها في

28 The Times (London, England), Israel Pledge On Holy Places, Saturday, Jul 08, 1967,p.1

29 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 181، كود أرشيفى 050154- 0078، موقف الفاتيكان من أزمة الشرق الأوسط، ملف رقم 455/ 217 سرى جداً، إسرائيل والفاتيكان، 1967/7/19.

30 F.O 174- 406, Inter Arab affairs and the middle East crisis 1967, File No 1076/66.

31 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 181، كود أرشيفى 050154- 0078، موقف الفاتيكان من أزمة الشرق الأوسط، ملف رقم 217/255، مذكرة عن حديث المونسنيور جورج حكيم اسقف حيفا والجالية الكاثوليكية في إسرائيل مع السفير المصرى بالفاتيكان، 1967/7/15.

بادئ الأمر عرضت على البابا بواسطة سفيرها في روما إمكانية الوصول إلى حل معقول حول قضية القدس، ولهذا سارع البابا بإرسال مندوب عنه كما استقبل السفير الإسرائيلي رغم معارضة بعض رجال سكرتارية الدولة مثل كاسارولى الذى حذر من مقابلة السفير الإسرائيلي[32]. كما أن إسرائيل اتخذت التوقيت المناسب والسليم مع مجريات الحوادث، ففي الوقت الذى كانت فيه الجمعية العامة للأمم المتحدة تستعد لمناقشة المشروع الباكستاني[33] وكان معروفاً أن هذا المشروع سوف يحظى بأغلبية ضخمة فعمدت إسرائيل إلى استقبال مفاوض عن الفاتيكان، كما قامت في الوقت نفسه بواسطة أجهزة دعايتها المنتشرة في جميع أنحاء العالم، إلى الإعلان عن التوصل إلى اتفاق بين الفاتيكان وإسرائيل حول القدس، تتنازل إسرائيل بمقتضاه عن ملكيتها للكنسية إلى الفاتيكان، وبهذا تكون إسرائيل حققت النتائج التالية:-

- إسقاط المشروع الباكستاني.
- إيجاد خلاف بين الكاثوليك والأرثوذكس في جميع أنحاء العالم، لأن كنسية القيامة ليست خاصة بالكاثوليك وحدهم، وإنما هي للمسيحيين جميعاً.

32 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 181، كود أرشيفى 050154- 0078، موقف الفاتيكان من أزمة الشرق الأوسط، ملف رقم 455/ 217 سرى جداً، إسرائيل والفاتيكان، 1967/7/19.

33 قدمت باكستان مشروع قرار إلى الأمم المتحدة في محاولة منها لإنهاء الصراع الدائر في الشرق الأوسط وخاصة فيما يتعلق بقضية القدس، حيث أوضح المشروع الباكستاني أن الحالة السائدة في مدينة القدس كانت نتيجة للإجراءات التي اتخذتها إسرائيل في محاولة منها لتغير وضع المدينة، كما يعتبر مشروع القرار الباكستاني أن هذه الإجراءات غير صحيحة ويدعوا إسرائيل إلى إلغاء كافة الإجراءات التي قامت بها.

Middle East Journal, Chronology June 1, 1967, August31, 1967,Vol.21. No .4,1967, p.12 .

- توسيع الخلاف بين الفاتيكان والدول العربية، وإظهار الفاتيكان بأنه يسعى إلى مصلحة فقط[34].

وتمثل رد فعل الفاتيكان على هذه المناورة، أن أكد البابا أثناء استقباله للملك الحسن ملك المغرب على ضرورة التمسك بتدويل القدس، وأن إسرائيل تماطل في الاستجابة لذلك، معتمدة على أن القدس أصبح تحت سيطرتها الفعلية منذ حرب الخامس من يونيو عام 1967[35] كما أعلن البابا عزمه السفر إلى تركيا لمقابلة البطريرك أثنا جوارس والمسئولين الأتراك للتحدث معهم في شأن قضية القدس، واستعداده لمقابلة رؤساء الديانات الأخرى كرمز لاتفاق الأديان على استنكار موقف إسرائيل[36].

كما أعلن الفاتيكان في التاسع عشر من يوليو عام 1967 صراحة في جريدته الرسمية ووكالة أنباء الصحافة العالمية آيسا (Aisa) شجب الدعاية الإسرائيلية الصهيونية وما روجته عن قرب إعلان اتفاق سرى بين الفاتيكان وإسرائيل بشأن إدارة الأماكن المقدسة، وأن طلب البابا بولس السادس الخاص بتدويل القدس مازال قائماً وصالحاً أكثر من أي وقت مضى، كما نشرت وكالة

34 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 181، كود أرشيفى 050154- 0078، موقف الفاتيكان من أزمة الشرق الأوسط، ملف رقم 455/ 217 سرى جداً، إسرائيل والفاتيكان، 1967/7/19

35 F.O 174- 403,Inter Arab affairs and the middle East crisis, British Embassy Rabat, confidential, File No 1076/66, August3 ,1967

36 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 182، كود أرشيفى 050160- 0078، علاقات الفاتيكان مع الجمهورية العربية المتحدة، ملف رقم 217/255، محضر مقابلة مع السفير التركي، 1967/7/29.

آيسا أن لجنة تدويل القدس التي يشترك فيها الكاثوليك والأرثوذكس والمسلمون، أعلنت أنه ما لم تأخذ إسرائيل بمسألة تدويل القدس، فلا مفر من قيام تحالف مقدس من قبل لجنة التدويل لمواجهة الصهيونية[37].

ويبقى هنا تسأل هل انساق الفاتيكان لمناورة إسرائيلية ووقع في فخها، رغم ما هو معروف عن دبلوماسية الفاتيكان من براعة وحسن تقدير، أم أنه كان هناك أمل للوصول إلى اتفاق يرضى عنه الفاتيكان؟. ومن الواضح أن الفاتيكان تبادله العاملان، وإن كان الاحتمال الأول أكثر قبولاً، لأن رد الفعل كان عنيفاً في سكرتارية الدولة وعند البابا نفسه عندما سمعوا بمثل هذه الأخبار. واستمرت إسرائيل في ترديد شائعاتها، حيث نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية في الخامس والعشرين من أكتوبر عام 1967 بأن أوساط الكنسية الكاثوليكية في باريس ذكرت في يوم الرابع والعشرين من أغسطس عام 1967 بأن البابا بولس السادس موافق على اقتراح إسرائيل بمنح وضع خاص للأماكن المقدسة في القدس[38] وأن مفاوضات تجرى بين الفاتيكان وإسرائيل، وأضافت الصحيفة أن البابا كان يعتزم إيفاد مبعوث بهذا الشأن إلى إسرائيل للموافقة على الاقتراح الإسرائيلي بأن تتمتع الأماكن المقدسة في القدس بوضع دبلوماسي

37 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 181، كود أرشيفى 050154- 0078، موقف الفاتيكان من أزمة الشرق الأوسط، ملف رقم 455/ 217 سرى جداً، إسرائيل والفاتيكان، 1967/7/19.

38 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 181، كود أرشيفى 050154- 0078، موقف الفاتيكان من أزمة الشرق الأوسط، ملف رقم 5/20/18، جامعة الدول العربية الأمانة العامة، إدارة شئون فلسطين، وضع الأماكن المقدسة في القدس، 1967/11/17.

خاص، بحيث تكون خاضعة للفاتيكان سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أو بواسطة مندوبي الكنائس المختلفة المعتمدين لدى الفاتيكان[39].

وهذا ما دفع الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أن ترسل خطاباً إلى الخارجية المصرية تقيدها أن إذاعة لندن أذاعت مساء يوم الثامن من نوفمبر 1967، أن المستر يوجيه بلاك سكرتير مجلس الكنائس العالمي في جنيف قد أعلن أن المجلس بحث موضوع التفاوض مع إسرائيل بشأن الأماكن المقدسة في القدس، لذا طلبت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية من الخارجية المصرية الاتصال بدوائر الفاتيكان للتأكد من صحة ما ذكرته صحيفة معاريف الإسرائيلية جملة وتفصيلاً[40].

لذا استعلم السفير المصري بالفاتيكان محمد التابعي من كاسارولي نائب وزير الخارجية بالفاتيكان عن صحة الخبر، فنفاه ذاكراً أن مصدره في الأصل صحيفة إسرائيلية، كما تقابل السفير المصري مع المسيو برجيو مدير وكالة الأنباء الفرنسية يوم الحادي والثلاثين من أكتوبر 1967، والذى أكد أن الخبر منقول عن صحيفة معاريف الإسرائيلية، وأن الفاتيكان كذب الخبر في وقتها.

39 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 181، كود أرشيفى 050154- 0078، موقف الفاتيكان من أزمة الشرق الأوسط، ملف رقم 455/ 217 سرى جداً، إسرائيل والفاتيكان، 1967/7/19.

40 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 181، كود أرشيفى 050154- 0078، موقف الفاتيكان من أزمة الشرق الأوسط، ملف رقم 5/20/18، جامعة الدول العربية الأمانة العامة، إدارة شئون فلسطين، وضع الأماكن المقدسة في القدس، 1967/11/17.

كما أوضح أنه من الممكن أن يكون مصدر الخبر الكردينال بيا رئيس سكرتارية الوحدة المسيحية، والمعروف أنه صديق لإسرائيل والمدافع الأول عنها في الفاتيكان، ويستهدف من ذلك وضع الفاتيكان في موقف محرج[41].

وصرح ايبان وزير خارجية إسرائيل في خطاب له أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في شهر سبتمبر 1969، بأن إسرائيل لا تطالب بالولاية القضائية أو الانفرادية في الأماكن المقدسة للمسيحية والإسلام في القدس، وأنها مستعدة لمناقشة هذا الأمر، وهناك أطروحات يمكن البناء عليها لوضع تصور لمركز الأماكن المقدسة على نحو يعزز السلام في الشرق الأوسط، ويحقق رغبة الفاتيكان في المحافظة على مدينة القدس[42].

وبناء على طلب الخارجية الإسرائيلية التقى ايبان مع البابا بولس السادس في روما في شهر أكتوبر 1969، وقال الفاتيكان إن سبب اللقاء يندرج في إطار الاهتمام الشديد من قبل البابا لتحقيق السلام والمصالحة بين الشعوب في الشرق الأوسط، كما أعلنت الخارجية الإسرائيلية من جانبها أن هذا اللقاء يأتي في إطار التشاور من أجل تقريب وجهات النظر فيما يخص مسألة القدس، وتحقيق السلام بين شعوب منطقة الشرق الأوسط، على الرغم من عدم اعتراف

41 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 181، كود أرشيفى 050154- 0078، العلاقات بين الفاتيكان والجمهورية العربية المتحدة، ملف رقم 217/455 سرى، الفاتيكان ينفى الإشاعة، 1967/10/21.

42 Documents of Jewish Telegraphic Agency: Eban , Pope to confer Monday, Expect Holy Places to be on Agenda of Mideast Issues, October 6, 1969.

الفاتيكان بإسرائيل حتى اندلاع حرب الخامس من يونيو 1967. وقد أولت الحكومة الإسرائيلية هذا اللقاء أهمية كبيرة، وذلك لأنه كان يعد أول لقاء يجمع بين وزير إسرائيلي والبابا منذ المحادثات الأولى المكثفة التي جرت في الأشهر الأولى بعد حرب الخامس من يونيو عام 1967، إلى جانب أن الفاتيكان لم يعد متمسك بمسألة عودة وضع مدينة القدس إلى ما قبل الخامس من يونيو 1967، كما أن الخارجية الإسرائيلية أوضحت أن الفاتيكان يمكن أن يقبل الوضع الممنوح للأماكن المقدسة بعد انتهاء حرب 5 يونيو 1967، كما أنها ستكون فرصة مناسبة لتوضيح وجهة نظر إسرائيل إلى البابا[43].

وجه البابا بولس السادس نداء إلى مؤتمر القمة الإسلامية الذى عقد في المغرب في الفترة من 22- 25 سبتمبر 1969، دعا فيه إلى السلام في منطقة الشرق الأوسط، والاتفاق على مستقبل القدس. كما أرسل برسالة إلى الملك الحسن الثاني ملك المغرب رئيس المؤتمر جاء فيها (نعتقد أنه ينبغي على ممثلي الديانات التوحيدية الثلاثة أن يتفقوا على الاعتراف بالطابع الفريد للأماكن المقدسة، والقدس على وجه الخصوص)[44].

ولقد أولت صحافة الفاتيكان قضية القدس والشرق الأوسط اهتمامًا كبيرًا عقب حرب الخامس من يونيو 1967 إذ حظيت أزمة الشرق الأوسط

43 Ibid.

44 Documents of Jewish Telegraphic Agency: Eban , Pope to confer Monday, Expect Holy Places to be on Agenda of Mideast Issues, October 6, 1969

وتطوراتها في أعقاب حرب الخامس من يونيو عام 1967 بعناية واهتمام بالغين لدى صحافة الفاتيكان، حيث رصدت صحيفتا لوسر فاتورى الناطقة باسم الفاتيكان، ولا فينيرى ديتاليا الكاثوليكية الخط الذى سارت عليه سياسة الفاتيكان الرسمية في إظهار الحياد التام إزاء الأزمة وقبل العدوان الإسرائيلي ثم بعد اندلاع حرب الخامس من يونيو عام 1967[45].

حيث أوضحت الصحف – قبل الخامس من يونيو – خشيتها من اندلاع الحرب في الشرق الأوسط وامتدادها على نطاق واسع، وعمدت بالتالي إلى تقديم النصح للحكومات المعنية بالنزاع بألا تزيد من خطورة الموقف[46]. وعندما نشبت الحرب في الخامس من يونيو عام 1967 وقفت هذه الصحف وقفة لإدانة الحرب ودعت إلى وقف إراقة الدماء في الشرق الأوسط، وأكدت على ضرورة عدم المساس بالأماكن المقدسة والمحافظة عليها، وثّمنت دعوة البابا بجعل القدس مدينة مفتوحة تحت إشراف دولي[47]. وعقب صدور قرار مجلس الأمن بوقف القتال آزرت هذه الصحف هذا القرار وناشدت جميع الأطراف الالتزام بذلك، وإعادة السلام والاستقرار إلى المنطقة. وبعد التزام الأطراف بوقف

45 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 189، كود أرشيفى 050256- 0078، صحافة وأعلام الفاتيكان، كود أرشيفى 050256-0078، ملف رقم 155/ 517، تطورات أزمة الشرق الأوسط في صحافة الفاتيكان، 1967/7/26.

46 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 182، كود أرشيفى050160- 0078، علاقات الفاتيكان بالجمهورية العربية المتحدة، ملف رقم 217/255، الموقف في الشرق الاوسط، مقابلة مع نائب وزير خارجية الفاتيكان،1967/6/3.

47 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 181، كود أرشيفى050154- 0078، موقف الفاتيكان من أزمة الشرق الأوسط، ملف رقم 217/255، مذكرة الوضع في الشرق الأوسط والقدس، 1967/8/27.

إطلاق النار، أنصب اهتمامها كله على النتائج التي خلفتها الحرب بالنسبة لثلاثة مواضع تهم الفاتيكان بصفة خاصة وهى كالآتي:-

- القدس طالبت بتدويلها واعتبارها مدينة الله وواحة السلام، والعبادة واللقاء بين جميع الأديان والشعوب.
- اللاجئين العرب دعت إلى إيجاد حل عادل لقضيتهم
- ضحايا الحرب شاركت بحملة دعائية واسعة النطاق للعمل على مساعداتهم بالمواد الطبية والغذائية[48].

كما ذكرت صحيفة لافينيرى ديتاليا الكاثوليكية في العاشر من يونيو عام 1967 أن موقف البابا من أزمة الشرق الأوسط يتلخص في الآتي:-

- الامتناع عن الإدلاء بأي رأى بشان النزاع
- الثقة في الأمم المتحدة باعتبارها الجهة الوحيدة المختصة
- الثقة في وجود سلام، والرغبة في تجنب القدس أضرار الصدام

جدير بالذكر أن صحيفة أفانتي أحد الصحف الموجودة في الفاتيكان قد انتقدت في الخامس والعشرين من يونيو 1967 موقف الفاتيكان من أزمة الشرق الأوسط، حيث ذكرت أنه على الرغم من عدم اعتراف الفاتيكان بإسرائيل حتى الآن، لم يستطع في الفترة العصبية التي كانت تمر بها إسرائيل أن يضع حداً

48 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 189، كود أرشيفى 050256- 0078، صحافة وأعلام الفاتيكان، ملف رقم 155/ 517، تطورات أزمة الشرق الأوسط في صحافة الفاتيكان، 1967/7/26.

لاعتداءاتها على القدس، وأن موقف الوسط الذى سلكه الفاتيكان إنما يعد موقفاً شكلياً وليس جوهرياً[49].

كما نشرت صحيفة لافينيرى ديتاليا في السابع والعشرين من يونيو عام 1967 مقالاً بقلم رنيرو لافالى، أحد كبار الكتاب الكاثوليك، ذكر فيه أن الطريق الوحيد لتسوية مشكلة الشرق الأوسط، هو اللجوء إلى الأمم المتحدة باعتبارها المكان الفعال لتسوية يقبلها الطرفان، وفى رأيه أن هذه التسوية يجب أن تتضمن المبادئ التالية:-

- التزام إسرائيل بعدم توسيع مساحتها عن الحدود التي كانت عليها قبل الحرب الأخيرة.
- التزام العرب بالتخلي عن القوة في تعديل الوضع القائم، ولا يعنى ذلك اعترافاً قانونياً منهم بإسرائيل، وإنما يعنى الخروج نهائياً عن حالة الحرب الدائمة أسوة بما هو قائم الآن بين دولة ألمانيا.
- تتخلى إسرائيل عن ضم القدس العربية باعتبارها أرض مقدسة.
- تتخلى إسرائيل عن تقطيع أوصال الأردن كما تتخلى عن ضم الأراضي من جانب واحد تطبيقاً لمبادئ الأمم المتحدة التي تقضى بأن الحرب لا يجب الكسب من ورائها على شكل توسعات إقليمية.
- ضمان حرية الملاحة في قناة السويس وخليج العقبة.

49 نفس الوثيقة

- الشروع في تسوية مشكلة اللاجئين العرب عن طريق استيعابهم تدريجياً داخل إسرائيل على أساس قانوني يكفل لهم حقوقهم المدنية والسياسية[50].

وذكرت صحيفة لافينيرى ديتاليا في الأول من يوليو عام 1967، أن المبعوث الخاص للبابا بالقاهرة المونسينور فريسكى قد أنهى أول رحلة له كانت تستهدف الاتفاق مع السلطات المصرية على برنامج المساعدات والرعاية من قبل الفاتيكان لصالح اللاجئين الفلسطينيين، وضحايا الحرب من المصريين[51] ما نشرت الصحيفة نفسها في الخامس من يوليـو عام 1967 رد عبد الناصر على رسالة الفاتيكان، وذكرت أن الرئيس عبد الناصر قد بعث برسالة إلى البابا قال فيها أنه على ثقة لا تتزعزع في حلول سلام يقوم على العدل لأن ذلك هو الأساس المتين الوحيد في العلاقات بين الشعوب والحكومات، وذكرت الصحيفة أن عبد الناصر أكد للبابا في موضع آخر من الرسالة على أن الدول العربية كانت في موضع اعتداء غادر من قبل إسرائيل التي استخدمها الإنجليز والأمريكان كأداة في تحقيق أطماعهم، ومضت تقول أن عبد الناصر أكد أيضا التصميم بكل حزم في الدفاع عن سياستنا وأراضينا وكرامتنا[52].

50 وثائق وزارة الخارجية المصرية، كود أرشيفى 050256- 0078، صحافة وأعلام الفاتيكان، ملف رقم 155/ 517، تطورات أزمة الشرق الأوسط في صحافة الفاتيكان، 1967/7/26.

51 وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 182، كود أرشيفى050160- 0078، علاقات الفاتيكان بالجمهورية العربية المتحدة، ملف رقم 217/255، حيدث المونسنيور فريسكى، 1967/7/18.

52 وثائق وزارة الخارجية المصرية، كود أرشيفى 050256- 0078، صحافة وأعلام الفاتيكان، ملف رقم 155/ 517، صدى أزمة الشرق الأوسط في صحافة الفاتيكان،1967/7/29

واستنكرت الصحيفة نفسها موقف الوفد الإيطالي من امتناعه عن التصويت على المشروع الباكستاني حينما تم طرحه أمام الأمم المتحدة بقولها (أنه شيء مؤلم وغير متصور، كما أن إسرائيل لن تستطيع أن تحصل على السلام والأمن بفضل الحرب) كما علقت صحيفة لوسر فاتورى في التاسع من يوليو عام 1967 على ضم إسرائيل للقدس العربية، بأن قرار الكنيست الإسرائيلي الصادر في الثامن والعشرين من يونيو 1967 بضم القدس إلى إسرائيل قد أثار قلقاً عميقاً في كل مكان بل ولدى أصدقاء إسرائيل أنفسهم وأضافت أن هناك فريقاً آخر من الدول يرى أن هذه ليست بالتأكيد وسائل تقبلها سياسة دولية تقوم على الديمقراطية، وأكدت أن هم الفاتيكان هو تأمين السلام للقدس، ولذا طالب البابا بوضع القدس تحت نظام دولي قائم على أسس الأمم المتحدة وميثاق حقوق الأنسان[53].

53 وثائق وزارة الخارجية المصرية، كود أرشيفى 050256- 0078، صحافة وأعلام الفاتيكان، ملف رقم 155/ 517، صدى أزمة الشرق الأوسط في صحافة الفاتيكان،1967/7/29

## قائمة المصادر والمراجع:


1. جورج عيرانى، مجلة الدراسات الفلسطينية، مجلد 6، عدد 23، تحليل دراسة سيليفو فيرارى، الفاتيكان وإسرائيل من الحرب العالمية الثانية إلى حرب الخليج، 1995، ص1.
2. علاء عبد الرازق، العلاقات بين الفاتيكان وإسرائيل في عهد البابا بندكيت السادس عشر، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العراق، 2012، ص164.
3. محمد حسنى، الفاتيكان والقدوس، منشورات دار المنظومة 2004، ص777.
4. المطران إدمون فرحات، القدس في الوثائق الفاتيكانية، مجلة الدراسات الفلسطينية – بيروت، دار النهار1992، ص 1–2
5. وثائق وزارة الخارجية المصرية، محفظة رقم 181، كود أرشيفى 050154–0078، موقف الفاتيكان من أزمة الشرق الأوسط، ملف رقم 217/255، مذكرة الفاتيكان بشأن القدس والأماكن المقدسة، 1967/8/27.
6. F .O141-1247-0018 Palestine Cessation Of Hostilities. Vatican's Position. War Of 1948.
7. The Times (London, England),The pope to visit Holy Land Next Month,Thursday,Dec5,1963,p.1.
8. Middle East Journal, Chronology June 1, 1967, August31, 1967,Vol.21. No.4,1967,p.12 .
9. Documents of Jewish Telegraphic Agency: Eban , Pope to confer Monday, Expect Holy Places to be on Agenda of Mideast Issues, October 6, 1969.
10. Documents of Jewish Telegraphic Agency: Eban , Pope to confer Monday, Expect Holy Places to be on Agenda of Mideast Issues, October 6, 1969.
11. F.O 174- 403,Inter Arab affairs and the middle East crisis, British Embassy Rabat, confidential, File No 1076/66, August3 ,1967.

12. F.O 174-402, Arab affairs and the middle East crisis 1967, Priory Holy see to foreign office, tel. No.27,6 July 1967.
13. F.O 371-68500 Situation In Palestine Terrorist Activity And Fighting Between Jews And Arabs. Italian Press Reports Of Vatican Call For Small Military Contingents To Protect Holy Places. War Of 1948.
14. F.O 371-75343-0002 United Nations Efforts To Solve The Palestine Problem. Anglo-United States Views And Proposals. Israeli Breaches Of Truces. Assistance To Egypt.
15. Ferrari, Silvio, The Vatican, Israel and the Jerusalem Question (1943-1984),Middle East Journal, Vol. 39, No. 2 (Spring, 1985), p.322.
16. Foreign Relations of The united states, 1964-1968, Volume xx, Arab Israel Dispute, 1967-1968,Memorandum Form secretary of state Rusk to President Johnson, Washington, April 27,1968.
17. Kreutz, Andrej , The Vatican and the Third World, the case of the the Palestinians, National Library of Canada,1987, p.268 .
18. The Times ( London, England): Israel prepares to receive e pope on pilgrimage, Thursday, Jan 2, 1964,p1.
19. The Times (London, England), Israel Opens Jerusalem Barriers, Friday, Jun 30, 1967,p.1.
20. The Times (London, England), Israel Pledge On Holy Places, Saturday, Jul 08, 1967,p1
21. The Times (London, England), Welcome By Israel President, Monday, Dec 23,1963,p1.
22. The Times(London, England),Israel prepares to receive the pope on pilgrimage, Thursday, Jan 2,1964, p1.

# القدس الشريف في الأديان السماوية (مدينة المقدسات)


- د. خمار نريمان
- جامعة محمد حيضر بسكرة، الجزائر



## الملخص

تعتبر مدينة القدس إحدى أقدم مدن الأرض في العصر التاريخي، إذ يرجع نشأتها إلى عام 3000 ق م، وهي المدنية المقدسة لإتباع الديانات الثلاث لذلك كانت قبلة العالم، ومحط أنظار البشرية جمعاء، وذلك لما تتمتع به من أهمية حضارية تاريخية دينية، فالقدس هذه المملكة الروحية السماوية ستبقى رحم الصراع العالمي الديني الديناميكي، وهو الدافع وراء زيادة انتهاكات الصهيونية يوما بعد يوما للمقدسات الدينية الإسلامية والمسيحية ومحاولة السيطرة عليها، وبالتالي السيطرة على أهم المقدسات الدينية في العالم.



**الكلمات المفتاحية** : القدس، الاحتلال الإسرائيلي، الممتلكات الثقافية، صفقة القرن، التطبيع.



**Abstract**: The Jerusalem city regarded as one of the earth oldest cities in the historical age as its arising go back to 3000 BC. It is the divine city of the three religions followers; that is why it was the world's destination and the all humanity views focus; because of its historical civilized religious importance, then Jerusalem as celestial spiritual kingdom will remain the dynamic global religious conflict's crux and the impulse behind which the Zionist violations daily increase against the Islamic and the Christian religious sanctities and their attempt to

dominate them; thus prevailing the paramount religious sanctities in the world.

**The Key-Words:** The Jerusalem- The Israeli Occupation -The Cultural Ownership -The Century's Deal - The Normalization

**مقدمة:**

تميزت فلسطين بتقديس الناس قاطبة فكان لها أهمية بالغة على المستوى الديني والمسيحي، واحتلت القدس المكانة الأولى في إيديولوجيا الشعوب المتجذرين في أصول الديانات الأخرى الثلاث كونها تظم معظم الأماكن المقدسة بالأديان الثلاثة، الأمر الذي جعلها تحتل مكانة متميزة في قلوب المسيحيين واليهود والمسلمين حيث يتحدث التاريخ عن قرون من التعايش بين أبناء الديانات الثلاث في مدنية القدس القديمة والحرية في ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية، ومن النزاع بينهم حول هذه المدنية لأنها ذات جذور يهودية أو مسيحية أو إسلامية، فظلت محور صراعات ونزاعات من أجل السيطرة عليها والمفاخرة بمركزها الديني العريق، الأمر الذي أدى إلى صراع الأفكار النظرية والتي ترجمت إلى ما يسمى بصراع الأديان فكل ديانة تدافع بكل قوتها عن أحقيتها في القدس، لكن الصراع في الفكر الغربي حول القدس لم يكن وقفا على البعد الديني ولاهوت الكنائس الغربية، وإنما تعدى إلى الإيديولوجيات التي حركت جيوش الحكومات الغربية العلمانية، وهو ما يقودنا إلى طرح الإشكال الآتي: إلى أي مدى غذت مكانة القدس الدينية صدام وصراع الأديان؟.

لمعالجة هذه الإشكالية ارتأينا تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاث محاور أساسية تتجلي في: المحور الأول: مكانة القدس في الديانات السماوية، ثم المحور الثاني: الأسباب والعوامل التي غذت الاحتلال الإسرائيلي، ثم المحور الثالث: الاعتداءات والانتهاكات على الممتلكات الثقافية في مدينة القدس.

**المحور الأول: مكانة القدس في الديانات السماوية.**

تمتلك القدس أهمية دينية بالغة لمعتنقي الديانات الثلاث، الإسلام، اليهودية، والمسيحية مما يكسبها طابعا عالميا، الأمر الذي دفع أجهزة الأمم المتحدة إلى الاهتمام بقضيتها، فقد تضمن صك الانتداب البريطاني على فلسطين يوليو 1922 إشارة خاصة إلى القدس، فجاء في المادة 13 منه الآتي: تضطلع الدولة المنتدبة بجميع المسؤوليات المتعلقة بالأماكن المقدسة والمباني أو المواقع الدينية في فلسطين بما في ذلك مسؤولية المحافظة على الحقوق الموجودة، وضمان الوصول إلى الأماكن المقدسة وحرية العبادة مع المحافظة على مقتضيات النظام العام والآداب العامة[1] .

**1. مكانة القدس في الدين الإسلامي:**

يعتبر المسجد الأقصى أو بيت المقدس أو الحرم الشريف أحد أبرز المعالم الدينية والأثرية والتاريخية في مدنية القدس على مر العصور نظرا لأهميته الدينية الكبيرة لدى المسلمين في جميع دول العالم، فهو أحد أكبر

1 علي أبو هاني، المركز القانوني لمدينة القدس في ضوء القانون الدولي المعاصر، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص 408.

المساجد في العالم، وأولى القبلتين في الإسلام، وقد ورد ذكره في القرآن[2] كما يوجد أيضا مسجد قبة الصخرة الذي يقع بجوار المسجد الأقصى، اللذان يزورهما المسلمون للصلاة[3]، وأيضا مسجد عمر بن الخطاب والمصلى المرواني، وبلغ عدد المساجد الأثرية في المدنية حوالي 34 مسجدا.

لكن تعرضت الكثير من المساجد إلى الهدم لذا اضطر الجانب الفلسطيني إلى تحويلها إلى متاحف وذلك للحفاظ على إرثها التاريخي والثقافي نتيجة للانتهاكات الإسرائيلية وإغلاقها ورفض إسرائيل السماح بالصلاة فيها[4] حيث حاولت إسرائيل السيطرة على الكثير من المساجد الإسلامية، وذلك للحد من الآثار الإسلامية في المنطقة وطمس معالمها، كما تعرضت العديد من الأبواب خلال فترات زمنية للإغلاق منها: الباب الثلاثي، الباب المزدوج، باب الرحمة، باب الجنائز، الباب المفرد، كما أغلقت أيضا: باب الأسباط، باب حطة، باب الملك فيصل، باب الغوانمة، باب الحديد، باب المغاربة.

2 نفس المرجع، ص 410

3 تعتبر قبة الصخرة أحد أهم القباب في القدس وفي العالم أجمع، وقد إهتم سلاطين الدولة المملوكية بهذا المسجد ومن المعروف أن هذا المسجد المبارك، قد بناه الخليفة الأموي عبد المالك بن مروان بعد أن استشار المسلمين ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين، ولقد استمر مدة البناء من (68هـ - 72 هـ) وفي عهد ابنه الوليد عبد الملك انهدم شرقي المسجد ولم يكن في بيت المال حاصل أمر بضرب ذلك وإنفاقه على ما أنهدم منه، وقد حوله الإفرنج عند احتلالهم القدس إلى كنيسة وعندما حرره السلطان صلاح الدين الأيوبي أزال النقوش والصلبان التي رسمها الصليبيون على جدران الصخرة الداخلية وغطاءها بالرخام وغسل الصخرة بماء الورد فبخرت وفرشت، محمد العدارية، التحليل الكمي للمعالم الأثرية والتاريخية في مدينة القدس (دارسة تحليلية في آثار القدس)، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 31 جوان 2018، السنة العاشرة، 2018، ص 52.

4 نفس المرجع، ص 46-51

فكل ما في القدس القديمة له طابع إسلامي محض، ويصاحبه بعض المعالم المسيحية، فالمجموع الإجمالي للآثار المسيحية (37) منها 19 كنسية و18 طريقا، والمجموع الإجمالي للآثار الإسلامية 219، تتمثل في 4 مدارس، و40 زاوية ومقبرة وضريحا، و25 مأذنة 22 سبيلا وحمام، 35 أثرا داخل الحرم الشريف، و34 طريقا، و9 أسواق و8 أسوار، أبواب القدس القديمة[5].

كما يعتبر المسجد الأقصى في المنظور الديني عند المسلمين موئل للأفئدة وأقرب نقطة للسماء، فيها أم النبي بجميع الأنبياء، كما يؤمن المسلمون أن النبي محمد حُمل على ظهر البراق مع الملك جبريل، في ليلة الإسراء والمعراج، من المسجد الحرام في مكة إلى بيت المقدس في فلسطين، يقول الله تعالى عن الإسراء: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[6] وجاء أيضا في إخراج للجماعة أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى وجاء لطبراني بإسناد صحيح: الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمئة

5 وهبة الزحيلي، مكانة القدس في الأديان السماوية، دار المكتبي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، دمشق، الجمهورية السورية، 2001، ص 33.
6- القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 01.

صلاة. وقد كتب الأستاذ المستشار طارق البشري في المدنية المقدسة قائلا:« ليست القدس مدينة في وطن فلسطين، ولكن فلسطين وطن في مدينة هي القدس.....، فهي ليست برلين يمكن أن تحل محلها بون في الضمير الألماني، وهي ليست استانبول يمكن أن تحل محلها أنقرة في الضمير التركي، ولكنها القدس بغير بديل».

إن المسلمون يؤمنون بالمسيحية واليهودية والإنجيل والتوراة كأديان وكتب سماوية، ولقد ورد في الإيمان بهذه الكتب قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[7]، وأيضا:﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾[8].

لكن ليس الأديان الحالية أو الكتب التي بين أيدينا الآن، فيكفي ثبوت أن الإنجيل الموجود الآن وقع فيه تحريف في قصة صلب المسيح عليه الصلاة والسلام، وأنه صلب ومات يوم كذا ودفن في القبر، فهذا قطعا ليس في الإنجيل الصحيح المنزل على عيسى عليه السلام، لكن تبقى حجة لدى المسيحيين على الإسلام وعلى النبي محمد صل الله عليه وسلم.

7 سورة البقرة الآية 4 - 5
8 سورة البقرة، الآية 136

وهذا خير دليل على أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي حفظه الله تعالى من التحريف، أما ما سبقه من الكتب فقد إستحفظها الربانيين والأحبار، فأحدثوا فيها كثيراً من التحريف والتغيير والتبديل، كما أخبرنا الله عنهم في أكثر من موضع من القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[9].

## 2. مكانة القدس في الديانة المسيحية.

يرتبط المسيحين ارتباطا عقدي بالقدس، ويركز المسيحيون على زيارة بيت لحم ( أو بيت الخبز) جنوبي بيت المقدس، قيل إنها مسقط رأس المسيح عليه السلام كما جاء في الإنجيل ( ص 4)، وتعرف في الكتب المقدسة باسم ( بيت دواد) أحيانا[10]. هذا ما يؤكده يقول الأب عطا الله حنا في قوله :« القدس مدينة إيماننا والُسلم الروحي الذيُ يصعدنا إلى السماء وهي المدينة المقدسة التي تحتضن المقدسات والحضارة والتاريخ والتراث والهوية، وهي بالنسبة إلينا بمثابة القلب من الجسد فلا حياة للجسد دون القلب .....»[11].

9 البقرة، الآية 75

10 وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص 25

11 روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال:« والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم إبن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقلبه أحد» صحيح البخاري، ظفر الإسلام خان، القدس في نظرة إسلامية في مصير القدس، بما في ذلك رد إسلامي على الهجوم على أمريكيا، الطبعة الأولى، الناشر مسجد دار القرآن، جزيرة لونع آيلاند، نيويورك، 2002، ص 21.

إنها المدينة التي تعبر عن أصالتنا ووحدتنا الوطنية وتراثنا الروحي العميق، وذلك لكون الكنيسة بُنيت فوق صخرة الجلجلة، حيثُ صلب المسيح، بحسب الإنجيل، وتقع داخل أسوار البلدة القديمة في القدس، تحتوي الكنيسة على موقع ما يعتقد أنه قبر المسيح[12]. ويتولى الإشراف عليها ممثلون عن عدّة مذاهب مسيحية، تعد الكنيسة محجاً لملايين المسحيين كل عام، ممن يأتونها للتبرك وتحتوي على فسيفساء نزول المسيح وتعدّ قبتها من المعالم الفنية المهمة في العالم، فكسنية القيامة تعتبر أحد أهم المعالم الأثرية المسيحية في العالم وهي التي جذبت انتباه العديد من الرحالة فانتشرت في ربوعها الكنائس والأديرة، والآثار المسيحية الباقية تذلل على المكانة التي حظيت بها[13].

## 3. مكانة القدس في الديانة اليهودية.

شغلت القدس مكانة في وجدان الشعب اليهودي كون الإله لا يمكن أن يستقر أو يُعْبَدَ إلا فيها:« الرّب اختار صهيون واشتهاها مسكناً له»، وقد خصت التوراة مدينة القدس بكثير من القوانين والأساطير التي تشير إلى أن الإله خلق أورشليم عند خلقه العالم وأنه أقام خيمة الاجتماع فيها وصلى متمنياً

12 قامت الملكة هيلانة بالذهاب الى الأراضي المقدسة سنة 324، وباشرت بنفسها عملية البحث عن خشبة صليب المسيح حتى وجدتها وقامت نهضة عمرانية دينية فشيدت في القدس الكنائس فوق المغارة وفوق القبر المقدس والجلجنة سنة 330، وكان الملك هدريان قد أمر بطمر القبر المقدس وتل الجلجنة الذي صلب عليه المسيح في غرب القدس بالتراب والقاذورات حتى لا يبقى معروفا لدى الزوار المسيحيين، وقام اليهود بهذا العمل في محاولة منهم لمحو آثار المسيح فأزيليت وشيدت عليها المقدسات المسيحية.

13 محمد العدارية، المرجع السابق، ص 40

ألا يعصيه أبناؤه وحبيبته أي "أورشليم"، كما يعتبر الحائط آخر أثر من هيكل سليمان، بحسب المعتقدات اليهودية، وبالقرب منه يمارس اليهود شعائر البكاء حداداً، يؤمن حاخامات اليهود أن الهيكل ضم قدس الأقداس، بحسب النصوص الدينية، وكان يحتوي على تابوت العهد، ولوحة الوصايا العشر التي أعطاها الله لموسى، مع الإشارة إلى وجود اختلاف في وجهات النظر بين بعض الحاخامات حول مشروعية الصلاة بالقرب من الحائط .

ففي مقال كتبه دانيال بايبس في صحفية لوس أنجلس تايميز في 21 تموز 2000 يشير إلى أهمية القدس قائلا:« القدس تعني لليهود أكثر مما تعني للمسلمين »[14]، كما قال البابا يوحنا بوليس الثاني عن القدس بمناسبة سنة الفداء في يوم 1984/04/30 الآتي: «منذ عهد داود الذي جعل أورشليم عاصمة للمملكة، ومن بعده ابنه سليمان الذي أقام الهيكل، ظلت أورشليم موضع الحب العميق في وجدان اليهود، الذين لم ينسوا ذكرها على مر الأيام، وظلت قلوبهم عالقة بها كل يوم، وهم يرون المدنية شعار لوطنهم»[15].

كما عبر زعيم الجماعات الصهيونية "هرتزل" عن موقع القدس في أحلام الصهيونية عندما قال:« إذا حصلنا يوما على القدس وكنت لا أزال حيا وقادرا

14 حسين عمران، القدس في القرآن، نظرة إسلامية في مستقبل القدس، بما في ذلك رد إسلامي، 11 أيلول/ سبتمبر الذي وقع على أمريكيا، سلسلة الأنصاري التذكارية رقم 8، منتدى دليل الشاهد، ص www.alshahed/ahladalil. com.14

15 أبو الفرج ابن الجوزي، فاضل القدس، ص 9. www.al-mostafa/com

على القيام بأي شيء فسوف أزيل كل شيء ليس مقدسا لدى اليهود فيها، وسوف أحرق الآثار التي مرت عليها قرون»[16].

ويعتقد اليهود أن جانبا من أحد جدران المسجد الأقصى بني بأحجار أخذت من هيكل سليمان، وهو الجدار المعروف بحائط المبكى، ويُشكل هذا الحائط ثاني أقدس الأماكن في اليهودية بعد قدس الأقداس في لاهوت النصرانية الغربية، وهو الذي بدأ بروتستانتيا ثم مارس الابتزاز والتأثير على الكنيسة الكاثوليكية الغربية، حتى جعلها تشع في تهود نصرانيتها، بدلا من تحقيق الاعتراف اليهودي بالمسيحية، ويتحدث عن دمج المسيح في إسرائيل وتعديل الفكر المسيحي، وأيضا الأناجيل والصلوات، لتصل إلى طلب الغفران من اليهود بعد أن ظلت الكنسية المسيحية قرونا طويلة تبيع لإتباعها " صكوك الغفران"[17].

لكن هناك من يرى أن اليهود اختارت فلسطين لتقيم فيا إسرائيل لأسباب متعددة اقتصادية، وعسكرية، وسياسية، ولعل آخرها دينية، ثم عملت بعد ذلك على إيجاد المبررات والحجج لتقنع الرأي العام الدولي بمساعدتها في تحقيق بغيتها وكان من جملة حجج الصهيونية الادعاء بحق تاريخي مزعوم في الأرض المقدسة فلسطين، قال الدكتور ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي

16 علي أبو هاني، المرجع السابق، ص 41
17 محمد عمارة، إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين، الطبعة الأولى، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1998، ص11.

العالمي من محاضرة له في مدينة مونتريال في كندا عام 1945:« إن اليهود لم يختر فلسطين لمعناها التوارتي والديني بالنسبة إليهم، ولأن مياه البحر الميت تعطي بفعل التبخر ما قيمته ثلاثة آلاف مليار من المعادن وأشباه المعادن، وليس أيضا لأن مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين مرة مخزون الأمريكيين مجتمعيين، بل لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوروبا وآسيا وإفريقيا، ولأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم، لأنها المركز الاستراتيجي العسكري للسيطرة على العالم»[18].

يبدو أن إسرائيل قد دأبت منذ احتلالها للقدس وبقية المدن المقدسة الأخرى بفلسطين سنة 1967 على الإساءة للأماكن المقدسة لأنها لا تؤمن بقدسيتها فهي لا تعترف في الحقيقية بالديانة المسيحية أو الإسلامية، ولم تخف نواياها إزاء مقدساتهما، فقد قررت جعل القدس المتعددة الثقافات والأديان مدينة يهودية صرفة خاضعة لسيطرة الحركة الصهيونية، كون مستقبل القدس ضمن المخططات اليهودية نسف المسجد الأقصى وبناء الهيكل على أنقاضه.

رغم أن اليهود لم يستقروا في القدس لا في فترة التيه ولا أثناء الاستيلاء الدموي على الأرض المقدسة بين القرنين الخامس عشر والثاني عشر قبل الميلاد، فالأدلة الأثرية لم تبين ولغاية الآن أي مكانة سواء كانت حضارية أو

18 ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي 1220 ق م – 1359 م، دار النفائس، بيروت، جمهورية لبنان، ص 6

دينية يهودية لليهود[19] إن ما تفعله إسرائيل هو عدوان على الجغرافيا والتاريخ والدين والثقافة والقيم، فقد اشتمل ملف المدنية المقدسة على قائمة طويلة بالانتهاكات والجرائم الإسرائيلية ضد الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية[20].

أما منظمة اليونيسكو والتي كانت أول منظمة دولية تقبل عضوية فلسطين كدولة كاملة العضوية بتاريخ 31 /2011/10، تناولت قضية القدس بشيء من التفصيل في قرارها بتاريخ 2016/10/13 الذي نص بشكل واضح لا لبس فيه، أن الحرم الشريف مقدسات إسلامية فقط، أما القدس كمدينة ففيها مقدسات للديانات الثلاث. كما احتوى القرار كثيراً من التفاصيل أبعد بكثير من اعتبار الحرم الشريف والحائط الغربي للمسجد الأقصى مقدسات إسلامية، ويتجاوز الحديث عن ممارسات الاحتلال «الإسرائيلي» على غزة وتهديد التراث ورفض إسرائيل التعاون مع اليونيسكو وتنفيذ توصياتها.

كما كشف القرار زيف الرواية الصهيونية التي حاولت فرضها على المجتمع الدولي حول ما يدعى جبل الهيكل وحائط المبكى وهو مصطلح لم يرد في أي قرار من قرارات الأمم المتحدة لا تصريحاً ولا تلميحاً، كما صوتت اليونيسكو في 05/02/ 2017 على قرار آخر اعتبر «إسرائيل» دولة محتلة للقدس ورفض سيادة الأخيرة عليها، وجرى اعتماد القرار بأغلبية 22 صوتاً،

19 محمد العدارية، المرجع السابق، ص 40

20 عاصف كلاب، عباسة طاهر، نادية حميدة، الحماية الدولية للممتلكات الثقافية وتأثيرها على المركز القانوني لمدنية القدس، مجلة حقوق الإنسان والحريات العامة، جامعة مستغانم، مجلة دولية محكمة نصف سنوية، العدد السادس، جوان 2018، ص 356

ومعارضة عشرة أصوات، لذا عملت قوات الاحتلال الإسرائيلي منذ سنة 1948 على التخطيط لتهويد القدس بالكامل وطرد أهلها وجعلها عاصمة لدولتها[21].

**المحور الثاني: الأسباب والعوامل التي غذت الاحتلال الإسرائيلي.**

تعدد واختلفت وتنوعت العوامل والأسباب التي كانت مباشرة أو غير مباشرة في استمرار الاحتلال الاسرائيلي للأراضي المقدسة كل هذه الفترة من الزمن، نذكر أهمها كالآتي:

**1. أسباب داخلية:**

إن الانقسام السياسي الفلسطيني ويسميه البعض صراع الإخوة الذي يسود أراضي السلطة الفلسطينية منذ منتصف حزيران 2007، إثر سيطرة "حماس" على غزة، فيما بقيت "فتح" تدير الضفة الغربية، ولم تفلح وساطات إقليمية ودولية في إنهاء الانقسام الفلسطيني، الأمر الذي أدى إلى اتفاق محللون سياسيون فلسطينيون على أن استمرار حالة الانقسام السياسي الفلسطيني، يعيق عملية إنهاء "الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية"، ويطيل أمده مستدلين بنجاح هبّة أهالي مدينة القدس في إجبار إسرائيل على إلغاء إجراءاتها الأخيرة بحق المسجد الأقصى.

21 جهاد الغرام، الإستراتيجية الإسرائيلية لعزل القدس (غلاف القدس)، جامعة المدية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص 4 .

كما أجمع المحللون على أن الوحدة الوطنية هي الأداة الوحيدة القادرة على إنهاء " الاحتلال الإسرائيلي"، وتحقيق الدولة المستقلة غير أنهم استبعدوا أن تشهد المرحلة الفلسطينية المقبلة تراجعا نسبيا في حدة الانقسام بين الفصيلين المتخاصمين (فتح، وحماس).

ويقول المحلل السياسي طلال عوكل، الكاتب في صحيفة "الأيام" الفلسطينية الصادرة من الضفة الغربية:« إن الانقسام الفلسطيني يقف عائقا أمام تحقيق الشعب لأي إنجاز في مسيرته لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي، ويعتبر عوكل "الوحدة الوطنية" التي تمسّك بها الفلسطينيون خلال مواجهتهم للإجراءات الإسرائيلية في المسجد الأقصى بمدينة القدس، هي مفتاح الإنجاز الذي حققوه»[22].

وأثرت أيضا خلافات كبار السن، الذين نقلوا تشوهات الوطن إلى المنافي، على تفاعل الجيل الشاب من الفلسطينيين مع قضية وطن أجدادهم، وقضية آباءهم، ودفعت الكثيرين منهم إما للابتعاد إحباطاً وقرفاً، أو الاكتفاء بمناصرة القضية الفلسطينية من خلال منظمات غير فلسطينية تنشط في الدفاع عن الحقوق الفلسطينية وتناهض الاحتلال الإسرائيلي، بأجندات سياسية بعيدة عن الخلافات الفلسطينية المعقدة. وفي أحسن الأحوال ذهب بعض الناشطين من

22 نور أبو عيشة، هبة الأقصى تثبت الانقسام الفلسطيني يطيل أمد الاحتلال، مقال منشور في الأناضول، بتاريخ 2017/01/08 تم الاطلاع عليه في 2021/06/18 على الساعة 22:45 بتوقيت الجزائر

الشباب الفلسطيني المولود في المهاجر إلى تكوين مجموعات، في المجال الإلكتروني، لدعم الشعب الفلسطيني في مواجهاته مع الاحتلال، مع التأكيد على استقلالية هذه المجموعات عن أي من الفصائل الفلسطينية .

## 2. أسباب دولية:

أهمها صفقة القرن[23] بعد إعلان بريطانيا إنهاء انتدابها على فلسطين وتقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين يهودية وعربية[24] قامت الميليشيات اليهودية باحتلال الجزء الأكبر من القدس وخاصة الجزء الغربي منها[25] وأعلنت إسرائيل في 11 ديسمبر 1948 القدس الغربي عاصمة لها ونقلت إليها مقر حكومتها، وفي سنة 1952 قامت بنقل وزارة الخارجية والبرلمان الإسرائيلي (الكنيست) إليها، وكانت إسرائيل ترمي من وراء ذلك النزاع إلى الحصول على اعتراف دولي بهذه الإجراءات وذلك من خلال دفع الدول إلى نقل سفارتها إلى القدس[26].

لم تعترف أي دولة بهذا الاحتلال والضم ولم تفتح أي دولة سفارة لها في القدس بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، وظل الوضع القانوني للقدس

23 حكيم العمري، القدس بين الشرعية الدينية، مشروع صفقة القرن 2019، المجلة الأكاديمية للبحث القانوني، المجلد 11، العدد 3، (عدد خاص)، 2010، ص 407 . middle-east-online.com

24 علي أبو هاني، المرجع السابق، ص 418

25 محمد العدارية، المرجع السابق، ص 40

26 علي أبو هاني، المرجع السابق، ص 413

ككيان منفصل ولم يتم إلغاء القرار، كما أقر اتفاق الهدنة بين الأردن و«إسرائيل» في 3 أفريل 1949 بالأمر الواقع، وكان لدى توقيع الاتفاق دون الإقرار بأي سيادة أو شرعية على الأماكن المشمولة باتفاقية الهدنة.

لكن بعد حرب 1967 أعلنت «إسرائيل» رسمياً عن توحيد القدس، حيث ضمت القدس الشرقية إلى الضفة الغربية التي كانت تحت سيطرتها[27] وأقرت المحكمة العليا «الإسرائيلية» أن صدور قرار الضم حوَّل القدس الموحدة جزءاً لا يتجزأ من «إسرائيل» ذلك في مخالفة صريحة وواضحة للقرار الأمم المتحدة رقم 242 الصادر سنة 1967، فكان رد فعل الأمم المتحدة باعتماد الجمعية العامة القرار رقم 2253 الصادر سنة 1967 الذي أكد على عدم شرعية أنشطة «إسرائيل» في المدينة وطالب بإلغائها ولحق به القرار رقم 2254 الذي أدان «إسرائيل» لعدم إلتزامها بالقرار السابق.

أما مجلس الأمن فقد أصدر مجموعة من القرارات 250 و252 و267، والقرار 271 بعد حرق المسجد الأقصى، هذا القرار طالب بحماية الحرم الشريف ووقف كافة الأنشطة التي تعمل على تغيير معالم المدينة، أما القرار رقم 298 الصادر سنة 1971 الذي أكد أن كافة الإجراءات الإدارية والتشريعية التي قامت بها «إسرائيل» في المدينة مثل التحويلات العقارية ومصادرة

27 عاصف كلاب، عباسة طاهر، نادية حميدة، المرجع السابق، ص 333

الأراضي غير شرعية، كما دعا القرار إلى وقف كافة الأنشطة والإجراءات التي تحاول تغيير التركيبة السكانية للمدينة من خلال بناء المستوطنات الإسرائيلية.

لكن إسرائيل اتخذت خطوة حاسمة نحو إزالة أي شك لدى العالم بنيتها في ضم القدس الشرقية إليها، بإصدارها قانون أساسي بتاريخ 30 يوليو 1980 أطلق عليه قانون أساس، القدس عاصمة إسرائيل وهو بمثابة نص دستوري نصت المادة الأولى منه على الآتي:« القدس الكاملة والموحدة عاصمة إسرائيل »، أي أنها تعتبر جزء لا يتجزأ من القدس الغربية التي ضمتها إليها عام 1948[28]، فقامت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بتقديم أظراف سفيريهما لدى رئيس الحكومة الإسرائيلية في مقره الجديد، كما قامت بعض دول أمريكيا اللاتينية بنقل سفاراتها إلى القدس[29].

وبعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد سارعت «إسرائيل» إلى ضم المدينة رسمياً في سنة 1980، إلاّ أن مجلس الأمن اعتمد مجموعة من القرارات رفض فيها الضم من بينها القرار رقم 476 لسنة 1980 الذي أكد مجدداً أن:« جميع الإجراءات والأعمال التشريعية والإدارية التي اتخذتها إسرائيل والرامية إلى تغيير معالم المدينة ليس لها أي سند قانوني وتشكل خرقاً فاضحاً لاتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين».

28 نفس المرجع، ص 334.
29 علي أبو هاني، ص 413

ردا على هذا القرار أصدر مجلس الأمن قراره رقم 478 بتاريخ 20 أوت 1980 الذي اعتبر أن الإجراء الإسرائيلي باطلا ومخالفا للقانون الدولي ودعا الدول التي لها بعثات دبلوماسية في القدس إلى سحب بعثاتها من المدنية، واستجابة لهذا القرار قامت 13 دولة بسحب الدبلوماسية من المدنية، ويلاحظ أن مجلس الأمن الدولي وكذلك الجمعية العامة للأمم المتحدة قد درجا في جميع القرارات الصادرة عنهما بشأن القدس الشرقية إلى الجمع بينها وبين الأراضي العربية الأخرى التي احتلت إثر حرب عام 1967، واعتبار وجود إسرائيل في القدس مجرد وجود دولة محتلة في أرض محتلة يتعين عليها الانسحاب منها[30].

كما اعتبر قرار إسرائيل أيضا مخالفا لنص المادة 42 من اللائحة المتعلقة بقوانين وأعراف الحرب التي نصت على الآتي:« تعتبر أرض الدولة محتلة حين تكون تحت السلطة الفعلية لجيش العدو، ولا يشمل الاحتلال سوى الأراضي التي يمكن أن تمارس فيها هذه السلطة بعد قيامها»[31].

فقد أقدمت الإدارة الأمريكية بقيادة الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب على تنفيذ العديد من القرارات التي تدعم إسرائيل على حساب القضية الفلسطينية ومن هذه القرارات، الإعلان في 6 ديسمبر 2017، عن أن مدينة القدس عاصمة لدولة الاحتلال، هذا الاعتراف الأمريكي بالقدس عاصمة لـ

30 عاصف كلاب، عباسة طاهر، نادية حميدة، المرجع السابق، ص 334.
31 المادة 42 من اللائحة المتعلقة بقوانين وأعراف الحرب البرية لعام 1907.

«إسرائيل» تجاوز كل القرارات الدولية التي فصلتها وأوضحتها مبادئ القانون الدولي والتي تتغنى بها الإدارات الأمريكية المتعاقبة، مما يعني أن واشنطن قد اتخذت قرارها بنسف عملية السلام التي رعتها منذ مؤتمر مدريد وما تلاه من جولات والتي كانت تترك قضية القدس لمفاوضات الحل النهائي[32].

ونقلت السفارة الأمريكية إلى القدس المحتلة، وفي2 أغسطس2018، تم وقف المساعدات الأمريكية للسلطة الفلسطينية، وفي 03 أغسطس2018، تم قطع كامل المساعدات عن الأونروا، وفي 10 سبتمبر 2018 أغلق مكتب منظمة التحرير في واشنطن، وفي 25 مارس 2019، تم الاعتراف بسيادة دولة الاحتلال على مرتفعات الجولان السوري المحتل، وفي 18نوفمبر2019، تم شرعنة المستوطنات القائمة على أراضي الضفة الغربية.

وأعلنت الإدارة الأمريكية موافقتها على ضم وفرض سيادة إسرائيل على الأغوار والبحر الميت وتوسيع المستوطنات في الضفة، لضم 33% من الضفة الغربية مما يؤدي إلى تصفية القضية الفلسطينية وإنهاء حق العودة وحلم إقامة الدولة الفلسطينية على حدود 1967[33].

يبدو أن صفقة القرن تتعارض مع القرارات أو القوانين الدولية وتعتبر مخالفة للقرارات الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، ومجلس الأمن

32 بن حفاف سماعيل، داود منصور، القدس والممارسة القانونية لنجلس الأمن، قضية واحدة وقرارات تنافسية، مجلد 6، العدد 2، 2019، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، ص 173.
33 حكيم العمري، المرجع السابق، ص 410.

بشأن القدس، وتتجاوز أسس عملية التفاوض، ومرجعيات الحل التي شكلتها قرارات الأمم المتحدة المتوالية، وتتجاوز كذلك ما تم إقراره في اتفاقيات أوسلو 1993 وما لحق بها.

### 3. أسباب عربية:

التطبيع العربي، إن قيام الاحتلال الإسرائيلي بسياسية النهب والسلب والتدمير ومصادرة الممتلكات وتغيير الواقع الحضاري ضاربا بذلك كافة القرارات الدولية عرض الحائط، في ظل استمرار تعرض المسجد الأقصى المبارك والأماكن الأثرية المقدسة لحملة التهويد الواسعة النطاق ساهمة فيه الانقسامات والصراعات الفلسطينية الداخلية ووقف مقاومة إسرائيل وتوقيع اتفاقيات هدنة معها كما هو الحال في غزة أو التنسيق الأمني معها كما هو الحال في الضفة.

أثر سلباً على موقف الشعوب العربية تجاه القضية الفلسطينية ومنح الأنظمة مبرراً للتطبيع دون خوف لا من الفلسطينيين ولا من شعوبهم، وأدى إلى اختلال العلاقة الفلسطينية مع الشعوب العربية حيث خسر الفلسطينيون كثيراً من التأييد والتعاطف الشعبي وهو أمر تتحمل مسؤوليته الدبلوماسية الرسمية الفلسطينية وكل الأحزاب السياسية التي انشغلت بالصراع على السلطة والمناكفات السياسية الداخلية.

بالإضافة إلى انشغال العالم العربي بقضاياه الوطنية حاليا وربيعه العربي في الماضي القريب وانهماك الفلسطينيين في مصالحتهم الوطنية وبناء مؤسسات دولتهم وانفراد الاحتلال الإسرائيلي بمصير تاريخ وثقافة مدينة القدس[34] فالفوضى أو ما يسمى بالربيع العربي عام 2011 الذي تحول إلى مخطط متكامل يديره الغرب بأدوات محلية وعربية لتفتيت وتدمير الأمة العربية وإضعافها وتقويض الحركات والفكر القومي والتحرري العربي الذي كان حاضنة للقضية الفلسطينية. والتطرف الديني والنزاعات الطائفية والعِرقية أضعفت الأنظمة العربية سواء التي تعرضت لفوضى الربيع العربي أو لم تتعرض وأصبحت جميعاً ضعيفة وهشة أمنياً وبحاجة إلى حماية خارجية من غضب شعوبها أو من خطر جيرانها، فالتطرف والإرهاب الإسلاموي غطى على الإرهاب الصهيوني، كما أن انتشار فكر الإسلام السياسي غيَّر من أولويات التفكير والاهتمام عند الشعوب وخصوصاً الشباب، والقضية الفلسطينية ليست من أساسيات وأوليات جماعات الإسلام السياسي.

وما زاد في تعميق هذا الانقسام الأزمة الخليجية التي أثرت على وحدة القرار في تنظيم المجلس التعاون الخليجي، كما كان هناك استغلال واضح لضعف النظاميين السياسيين في كل من مصر والسعودية، فالأولى محكومة بجنرال جاء على إثر انقلاب دموي سنة 2013 ومن فائدته أن يحظى بدعم

34 عاصف كلاب، عباسة طاهر، نادية حميدة، المرجع السابق، ص486

وتأييد من قبل إدارة واشطن والذي طالما سعى إليه[35]. وكل هذا ساهم في تراجع القضية الفلسطينية من على سلم أولويات العرب والمسلمين والعالم، واعتبار القضية الفلسطينية واحتلال فلسطين شأن داخلي لا علاقة للعرب به، والبدء بالتخلي التدريجي عن القدس والأقصى وأهمية الدفاع عنها.

ونتج عنه تطبيع سيضر بالقضية الفلسطينية سياسياً، ودبلوماسياً، واقتصاديا، واجتماعيا، وإلى تزايد الاختراق الصهيوني للأمن الثقافي والفكري والأمن القومي العربي، فالتطبيع العربي الجديد هو الخطوة الأولى لتصفية القضية الفلسطينية عربياً[36] كون أهميته لا تكمن فقط في الاعتراف بالكيان الصهيوني الاستعماري وإقامة علاقات دبلوماسية معه، بل في تبني بعض المطبعين للرواية الصهيونية التي تزعم بأن إسرائيل كانت دوما تسعى للسلام وأن المقاطعة العربية والمقاومة الفلسطينية هما العائق أمام تحقيق سلام يعم المنطقة والعالم. وقد أكد رئيس لجنة مقاومة التطبيع والقضايا القومية في نقابة المهندسين الأردنيين صبحي أبو زغلانو إلى أن العرب هم الخاسر الأكبر من اتفاقيات التطبيع، وأن الاحتلال يسعى إلى جعل الموانئ الخليجية منطلقاً لترويج البضائع "الإسرائيلية"، وأنه يهدف إلى إضعاف حركات المقاطعة .

35 بن حفاف سماعيل، داود منصور، القدس والممارسة القانونية، هامش رقم 1، ص 330

36 ياسر أبو بكر، محمد يدك، رائد عبد الجليل، مخاطر التطبيع مع إسرائيل على الأمة العربية وانعكاساته على القضية الفلسطينية ( رؤية الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال)، المركز الديمقراطي العربي، 4 فبراير 2021، تاريخ الاطلاع 2021/06/19 التوقيت 19:21 بتوقيت الجزائر

كما اعتبر أن اتفاقيات التطبيع تصب في صالح صفقة القرن، وأن الشعب الفلسطيني هو الخاسر من هذه الاتفاقيات تماماً كما حدث مع اتفاقية أوسلو، وأن نضال الشعب الفلسطيني ومن خلفه الشعوب العربية مهم في قلب هذه المعادلة لصالح القضية الفلسطينية[37] ودعا إلى تشكيل فريق قانوني عربي دولي لمواجهة خطة الضم وتقديم مجرمي الحرب الصهاينة للمحكمة الدولية على ما قاموا به من مجازر بحق الفلسطينيين، وتفعيل دور الجاليات الفلسطينية في الدول الأوروبية لمواجهة صفقة القرن.

وتعتبر الخطوة الأهم المطلوبة فلسطينياً تغيير الصورة السلبية عنهم التي طفت أخيرا وصورتهم كشعب تخلى عن مقاومة الاحتلال وتتصارع نخبه السياسية على السلطة والثروة ويستجدي المساعدات الخارجية، وهي صورة وإن كان لها أساس في الواقع ولا شك إلا أن منابر إعلامية معادية للشعب الفلسطيني تضخمها وتروجها لتبرير التطبيع مع إسرائيل، بالإضافة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية لعبت دور الراعي للتطبيع العربي في الوقت نفسه الذي اتخذت جملة من الخطوات ضد القضية الفلسطينية.

37 ندوة حول نتائج التطبيع مع الاحتلال على القضية الفلسطينية والمنطقة 02 مارس 2012، 19:25 بتوقيت الجزائر، موقع صفا، وكالة الصحافة الفلسطينية، safa.news.

**المحور الثالث: الاعتداءات والانتهاكات على الممتلكات الثقافية في مدينة القدس[38].**

وضعت القدس الشريف وأسوارها من قبل منظمة اليونيسكو على قائمة التراث العالمي عام 1982، وبناء عليه تخضع الآثار في مدينة القدس كمدينة محتملة للحماية القانونية التي تؤطرها اتفاقية لاهاي وبروتوكوليها، حيث تشكل قضية الانتهاكات الدينية المقدسة في مدينة القدس باعتبارها ممتلكات ثقافية أهم القضايا في الصراع العربي الإسرائيلي تلك الانتهاكات الإسرائيلية المتكررة التي تمس بحرمة المقدسات، والتي تعمل على تهويد وتدمير ممتلكاتها الثقافية.

وكون القدس تتمتع بمركز قانوني خاص الأمر الذي منح الممتلكات الثقافية فيها حماية مزدوجة الأول بموجب القرار رقم 181 الذي يضع القدس في مركز قانوني متميز، والثاني بموجب اتفاقية لاهاي خاصة اتفاقية حماية الممتلكات الثقافية لعام 1954 وبروتوكوليها الإضافيين كونها تخضع للاحتلال

38 الملكية الثقافية هي النصب الهندسية المهمة، والأعمال الفنية والكتب والوثائق ذات الأهمية الفنية أو التاريخية، والمتاحف والمكتبات الكبيرة والأرشيف والمواقع الأثرية والمباني التاريخية، دور العبادة من مساجد وكنائس ومراكز الثقافة كالمدارس والمتاحف والآثار الفنية والتاريخية فهي تحظى بأهمية كبرى لأنها تمثل التراث الإنساني العالمي الذي ينبغي صونه واحترامه والمحافظة عليه زمن السلم والحرب، وتوسع هذا المعنى من خلال المادة 53 من البروتكول الإضافي الأول لسنة 1977 التي حظرت: " أية أفعال مادية موجهة ضد النصب التاريخية أو الأعمال الفنية، أو أمكنة العبادة التي تشكل إرث الشعوب الثقافية أو الروحية"، ومن المهم ملاحظة أن البروتكول اعترف من تدبير أشكال أخرى من الملكية المدنية غير المرتبطة بأعمال أو استخدامات عسكرية، عبد الغني حوبه، المرجع السابق، ص 149.

الإسرائيلي[39]. أيضا منح القانون الدولي الإنساني حماية للأعيان الثقافي انطلاقا من التمييز بين المدنيين والمقاتلين من جهة وبين الأعيان المدنية والعسكرية من جهة أخرى[40]، وذلك بعد أن مرت بتطور تاريخي عبر حقب مختلفة بدءا من ميثاق زويخ 1935 مرورا باتفاقية لاهاي 1954 وبرتوكوليها الإضافيين 1999 يعتبر الهجوم على الممتلكات الثقافية جريمة حرب[41].

وبالرغم من العديد من القرارات الدولية التي تؤكد على حماية الممتلكات الثقافية في مدينة القدس الشريف منذ الاحتلال الإسرائيلي عام 1967، إلا أن إسرائيل قامت بحفريات مكثفة في المدنية، بدأت الحفريات في نهاية 1967 على مسافة 70 متر أسفل الحائط الجنوبي للحرم القدسي الشريف بعمق أربعة عشر مترا، واستكمل الحفر على امتداد 80 متر من الحائط الجنوبي وإلى باب المغاربة مما تسبب في تصدع الأبنية الإسلامية التابعة للزاوية الفخرية.

ومن أهم التنقيبات الأثرية عام 1968 عند الجدار الجنوبي من الأقصى، التنقيب في الفترة ما بين 1975-1978 بالقلعة على طول السور الغربي،

39 عبد الغني حونه، آليات الحماية الدولية والوطنية للممتلكات الثقافية في القدس، مجلة الشهاب، عدد 2، مارس 2016، ص 167 .

40 القانون الدولي الإنساني يطبق في أوقات المنازعات المسلحة والتي تتسم بالفوضى وعدم الالتزام بالقانون عادة، يترتب على انتهاك قواعد قانونية تتمثل في ترتيب المسؤولية عن انتهاك تلك القواعد، أيضا تلك الانتهاكات التي تقع بين الأفراد فتترتب حينئذ المسؤولية الدولية الفردية فكما أن القانون الدولي الإنساني يطبق لمصلحة الأفراد فهو أيضا يطبق في مواجهتهم إذا انتهكوا قواعده وأحكامه، عاصف كلاب، طاهر عباسة، المسؤولية الدولية عن انتهاك الاحتلال الإسرائيلي لمبدأ حماية الممتلكات الثقافية في القدس، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد 10، العدد 3، ديسمبر 2019، ص 485

41 عبد الغني حوبه، المرجع السابق، ص 146

تنقيب سنة 1982 و 1983 في المدنية القديمة وفي جيل سكوبسو في جبل صهيون والمناطق المجاورة لمدينة القدس في خربة عين التوت والعيسونة[42]، حيث نقلت العديد من العاديات واللقى عن طريق سلطات الاحتلال أو بموجب تراخيص تصدرها جنود جيش الاحتلال الإسرائيلي أو من خلال مدنيين يتاجرون بالآثار[43] حيث تواجه فسلطين مشكلة حقيقة فيما يتعلق بالإتجار غير المشرع بالممتلكات الثقافية خاصة في منطقة القدس، إذ يتلقى مرتكبوه هذه الجريمة دعما من قوات الاحتلال الإسرائيلي الذي يسعى لتدمير ونهب ممتلكات القدس الثقافية[44].

وفي عام 1973 استكملت عمليات الحفر لتخترق الحائط الجنوبي للحرم القدسي، وتصل الأروقة السفلية للمسجد الأقصى المبارك، وفي ذات الوقت كانت عمليات الحفر تجري بالجهة الغربية للحرم القدسي وبعض الأسواق للقدس منها سوق القطانين ومجموعة من المساجد التاريخية ليبلغ طول النفق حوالي 400 متر، وعمق يصل على 14 متر نتج عنه تصدع عدد من الأبنية التاريخية منها الجامع العثماني، ورباط كرد، والمدرسة الجوهرة، والزاوية الوفائية.

42 محمد العدارية، المرجع السابق، ص 147.
43 محمد الشلالدة، الحماية الجنائية للممتلكات الثقافية في مدينة القدس والقانون الدولي الإنساني، مجلة المفكر، العدد الرابع عشر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص 41، عاصف كلاب، عباسة طاهر، حميدة نادية، المرجع السابق، ص 352
44 نفس المرجع، ص 353.

كما قامت إسرائيل بمنح البطاقات الإسرائيلية للمستوطنين، وإلغاء سريان القوانين الأردنية على المدنية، إلغاء المحاكم الأردنية وإلحاقها بالمحاكم الإسرائيلية، إلغاء البنوك العربية في المدنية، وفرض الضرائب على سكانها[45] وإحراق المسجد الأقصى المبارك الذي يعد حلقة من مسلسل الجرائم الصهيونية ضد الأماكن المقدسة التي تعد في حد ذاتها انتهاكا جسيما لكافة القواعد الدولية المقررة لحماية الممتلكات الثقافية أثناء فترة الاحتلال الحربي[46].

في بداية التسعينات سعت إسرائيل من خلال خطة وضعها شارون عندما كان وزيرا للإسكان تتمثل في مشروع إنشاء 26 بوابة حول القدس والمقصود بذلك بناء أحياء يهودية داخل الأحياء العربية بحيث يصعب أمر الفصل بين الأحياء عند الجلوس على طاولة المفاوضات[47]، حيث كانت مساحة القدس الشرقية في بداية الاحتلال الإسرائيلي عام 1967 تقدر بستة كيلو مترات مربعة، وأصبحت الآن حوالي 70 كيلو متر مربع، والذي يعتبر خطوة في استراتيجية إسرائيلية طويلة المدى لمصادرة أكبر مساحة ممكنة من الأرض الفلسطينية.

بالإضافة إلى سن القوانين لتحقيق التهويد الكامل للقدس، وسلسلة الإجراءات من أخطرها الجدار العازل، وما أطلق عليه مصطلح " غلاف

45 أسامة حلبي، آثار ضم القدس إلى إسرائيل على حقوق ووع سكانها العرب، الطبعة الأولى، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، القدس، أيلول 1990، ص 7-9.
46 عاصف كلاب، عباسة طاهر، حميدة نادية، المرجع السابق ص 356
47 علي أبو هاني، المرجع السابق، ص 416

القدس"، لابتلاع المزيد من الأراضي الفلسطينية وجعل المدينة موحدة وعاصمة أبدية للكيان الصهيوني، ضمن الإستراتيجية الإسرائيلية لعزل القدس[48]، هذا الغلاف أول من صرح به أول إسحاق رابين عام 1993، ثم تلاه ايهود باراك مع بداية انتفاضة الأقصى عام 2000، ثم دخلت هذه الفكرة حيز التنفيذ في عهد شارون في حزيران 2002.

فالجدار الذي يغلق القدس يهدف في الحقيقية إلى حصار القدس لتصبح مبعثا كبيرا وعزلها عن سائر المناطق الفلسطينية وبالتالي إضعاف الوجود العربي الإسلامي فيها على المدى البعيد، ويهدف إلى تهويد المدنية المقدسة ومحو الوجود الإسلامي العربي، وتثبت أن القدس موحدة وعاصمة إسرائيل الأبدية. ورفضت إسرائيل الاعتراف بحق العودة اللاجئين الفلسطينيين الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1948، فبموجب قانون أملاك الغائبين الذي أصدرته إسرائيل في 1950/03/31 والذي يخول لها وضع اليد على الأموال المنقولة وغير المنقولة التي كان يملكها أي موطن عربي أو فلسطيني كان يقطن فلسطين، وغادرها بعد أول سبتمبر 1948 تمكنت إسرائيل بموجب ذلك القانون من الاستيلاء على جميع الأموال والعقارات التي كان يملكها اللاجئون من عرب القدس[49].

48 جهاد الغرام، المرجع السابق، ص 1
49 علي أبو هاني، المرجع السابق، ص ص 414، 417

هذه الأعمال الاستيطانية التي اعتبرتها لجنة الصليب الأحمر الدولية للأراضي المحتلة لفلسطين جريمة حرب، كما تقررت المسؤولية الدولية الإسرائيلية للانتهاكات للممتلكات الثقافية في القدس[50]، وذلك من الجانب المدني والجزائي، لكن أيا كان مدى الأحكام والقواعد التي كفلت حماية الممتلكات الثقافية فإنها تبقى دون قيمة مالم تتعزز بنظام قانوني فعال يضمن تطبيقها وآليات دولية ذات مصداقية لتنفيذ هذه الأحكام[51]، حيث أن تغليب مقتضيات الضرورات الحربية على الاعتبارات الإنسانية ظلت السمة الغالبة للنزاعات المسلحة، مما يؤكد أن هذه الأحكام لا تحظى بالاحترام في معظم الأحيان[52]. فالمسألة لم تعد نقص في النظام القانوني الدولي الذي يكفل حماية الممتلكات الثقافية، لكن المشكلة تبقى في وضع قواعد هذا النظام موضع التنفيذ، فالمتتبع للممارسات الدولية يتأكد من أن هذه القواعد على الرغم من أنها لا تشكل سوى الحد الأدنى عن مقتضيات الإنسانية[53]، ظلت حبيسة النصوص وإن بدا أنها نمت وتطورت في ظل العديد من الصكوك الدولية التي وضعها المجتمع الدولي خلال الفترة الأخيرة، فإننا لا نجد إلا القليل من هذه

50 تعريف المسؤولية الدولية:« عبارة عن نظام قانوني تلتزم بمقتضاه الدولة التي تأتي عملا غير مشروع، طبقا للقانون الدولي العام بتعويض الدولة التي لحقها ضرر جزاء هذا العمل

51 من أهم وسائل الحماية الدولية نذكر: التعاون الدولي ( التعاون الثقافي الثنائي، التعاون الثقافي الفني، التعاون الثقافي الثلاثي، التعاون المتعدد)، تشجيع المقاربات الثنائية، مكافحة الإتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية، عبد الغني حوبه، المرجع السابق، ص 151-156

52 استقرت قواعد القانون الدولي على ضرورة حماية الممتلكات الثقافية في أوقات السلم والحرب، ومن أهم الاتفاقيات الدولية زادت العلاقة اتفاقية لاهاي لعام 1899، 1907، 1954 وملحقيها لعام 1999، وكذلك اتفاقيات جييف الأربعة 1949 وملحقيها لعام 1977 لحماية الأعيان الثقافية.

53 حكيم العمري، المرجع السابق، ص 490

القواعد التي تطبق، وإن كان تطبيقها يتم بشكل جزئي ووفقا لموازين القوى السياسية.

**الخاتمة:**

في نهاية هذه الدراسة خصلنا إلى أن اليهود يهدفون إلى إقامة الدولة اليهودية في فلسطين بإتباع مختلف الأساليب والممارسة والانتهاكات في حق الشعب الفلسطيني والأماكن المقدسة بغية الوصول إلى مبتغاهم، وإذا قدر لهم إقامة هذه الدولة فسيقدر لهم ليس فقط تمتلك العالم بل وحكم العالم باستعمال الثروة الموجودة في البحر الميت بحكم الموقع الاستراتيجي لفلسطين في ظل الصمت العربي، والتي نحاول إجمالها في نقطتين أولهما النتائج، وثانيهما التوصيات.

**النتائج والتوصيات:**

**أولا: النتائج:**

1. أهمية مكانة المدنية الدينية لدى أصحاب الديانات السماوية ومحاولة إسرائيل المتكررة للاستئثار بها وحرمان الفلسطينيين من المدنية التي يرتبطون بها روحيا واجتماعيا واقتصاديا.
2. إن مطامع اليهود ومخططاهم المستقبلية الرهيبة لن تقف عند حد معين بل هي أوسع وأخطر مما نتوقع، فهم يتوقعون سيطرة اليهود على العالم بعد استعادة الهيكل.

3. غياب أي نوع من الرقابة الفلسطينية على الممارسات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي في مدينة القدس بما في ذلك عمليات الهدم والحفر والتنقيب.
4. عدم وجود استراتيجية عربية للدفاع عن القدس وحمايتها من التهويد، وترك الأمر على الجهود الفلسطينية الرسمية والشعبية المحدودة الإمكانات المادية والدبلوماسية في مواجهة الجهود الصهيونية المنظمة والمدعومة من دول كبرى خاصة الولايات المتحدة الأمريكية .

**ثانيا: التوصيات :**

1. التمسك بالقران والرجوع إليه لأنه الكتاب الوحيد من الكتب السماوية الذي حفظه الله من التحريف، رغم إيماننا بالمسيحية واليهودية والإنجيل والتوراة كأديان وكتب سماوية، لكن ليس الأديان الحالية أو الكتب التي بين أيدينا هي الصحيحة بل أحدث فيها الكثير من التحريف والتغيير والتبديل.
2. محاولة المساهمة ولو بالقليل في إظهار المكانة الحقيقية للقدس وفقا لما جاء به القران الكريم، وفهم الأهداف الحقيقة والخفية للكيان الصهيوني وذلك من خلال عقد العديد من الندوات والتظاهرات العلمية والملتقيات الوطنية و الدولية.

3. الحفاظ على الأماكن المقدسة والوقوف في وجه إسرائيل التي لا تؤمن بقدسيتها فهي لا تعترف في الحقيقية بالديانة المسيحية أو الإسلامية، ولم تخف نواياها إزاء مقدساتهما، فقد قررت جعل القدس مدينة يهودية صرفة.
4. على الشعب الفلسطيني أن يتعامل مع عالم عربي وإسلامي رسمي وشعبي مختلف عما كان عليه في الستينيات والسبعينيات، الأمر الذي يتطلب مزيداً من الاعتماد على الذات وفي نفس الوقت العمل على استعادة البعد الشعبي للقضية الفلسطيني لأن الجماهير الشعبية في كل بلد هي الجهة الأكثر قدرة على مواجهة التطبيع أو الحد من أخطاره .
5. دعم الجهود المبذولة لتفعيل الحماية الدولية للممتلكات الثقافية في مناطق الاحتلال والنزاع المسلح. وإنشاء هيئة قانونية مختصة بمتابعة قضايا الممتلكات الثقافية في القدس، إيجاد نظم وتشريعات خاصة تحمي المقدسات الدينية عند الشعوب وإدراجها في مواثيق دولية.
6. العمل على تفعيل الآليات القانونية والقضائية ضد انتهاكات إسرائيل في مدينة القدس لممتلكات الثقافية وفقا للقانون الدولي الإنساني.

## قائمة المصادر والمراجع

1. أبو الفرج بن الجوزي، فاضل القدس، ص 9. www.al-mostafa/com
2. أسامة حلبي، آثار ضم القدس إلى إسرائيل على حقوق ووع سكانها العرب، الطبعة الأولى، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، القدس، أيلول 1990، ص 7-9.
3. بن حفاف سماعيل، داود منصور، القدس والممارسة القانونية لنجلس الأمن، قضية واحدة وقرارات تنافسية، مجلد 6، العدد 2، 2019، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، ص 173.
4. جهاد الغرام، الإستراتيجية الإسرائيلية لعزل القدس (غلاف القدس)، جامعة المدية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص 4 .
5. حسين عمران، القدس في القرآن، نظرة إسلامية في مستقبل القدس، بما في ذلك رد إسلامي، 11 أيلول/ سبتمبر الذي وقع على أمريكيا، سلسلة الأنصاري التذكارية رقم 8، منتدى دليل الشاهد، ص www.alshahed/ahladalil. com.14
6. حكيم العمري، القدس بين الشرعية الدينية، مشروع صفقة القرن 2019، المجلة الأكاديمية للبحث القانوني، المجلد 11، العدد 3، ( عدد خاص)، 2010، ص middle-east-online.com. 407
7. ظفر الإسلام خان، القدس في نظرة إسلامية في مصير القدس، بما في ذلك رد إسلامي على الهجوم على أمريكيا، الطبعة الأولى، الناشر مسجد دار القرآن، جزيرة لونع آيلاند، نيويورك، 2002، ص 21.
8. ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي 1220 ق م – 1359 م، دار النفائس، بيروت، جمهورية لبنان، ص 6 .

9. عاصف كلاب، عباسة طاهر، نادية حميدة، الحماية الدولية للممتلكات الثقافية وتأثيرها على المركز القانوني لمدنية القدس، مجلة حقوق الإنسان والحريات العامة، جامعة مستغانم، مجلة دولية محكمة نصف سنوية، العدد السادس، جوان 2018، ص 356 .

10. عبد الغني حونه، آليات الحماية الدولية والوطنية للممتلكات الثقافية في القدس، مجلة الشهاب، عدد 2، مارس 2016، ص 167 .

11. علي أبو هاني، المركز القانوني لمدينة القدس في ضوء القانون الدولي المعاصر، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص 408.

12. محمد الشلالدة، الحماية الجنائية للممتلكات الثقافية في مدينة القدس والقانون الدولي الإنساني، مجلة المفكر، العدد الرابع عشر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص 41، عاصف كلاب، عباسة طاهر، حميدة نادية، المرجع السابق، ص 352.

13. محمد العدارية، التحليل الكمي للمعالم الأثرية والتاريخية في مدينة القدس (دارسة تحليلية في آثار القدس)، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 31 جوان 2018، السنة العاشرة، 2018، ص 52.

14. محمد عمارة، إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين، الطبعة الاولى، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1998.

15. ندوة حول نتائج التطبيع مع الاحتلال على القضية الفلسطينية والمنطقة 02 مارس 2012، 19:25 بتوقيت الجزائر، موقع صفا، وكالة الصحافة الفلسطينية.

16. نور أبو عيشة، هبة الأقصى تثبت الانقسام الفلسطيني يطيل أمد الاحتلال، مقال منشور في الأناضول، بتاريخ 2017/01/08 تم الاطلاع عليه في 2021/06/18 على الساعة 22:45 بتوقيت الجزائر.

17. وهبة الزحيلي، مكانة القدس في الأدبان السماوية، دار المكتبي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، دمشق، الجمهورية السورية، 2001، ص 33.

18. ياسر أبو بكر، محمد يدك، رائد عبد الجليل، مخاطر التطبيع مع إسرائيل على الأمة العربية وانعكاساته على القضية الفلسطينية (رؤية الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال)، المركز الديمقراطي العربي، 4 فبراير 2021، تاريخ الاطلاع 2021/06/19 التوقيت 19:21 بتوقيت الجزائر.

# القدس الشريف بين الأديان السماوية الثلاثة ـ اليهودية والمسيحية والإسلام

- د. حمزة نقاش جامعة الأخوة منتوري، الجزائر
- أ. هدى مدني جامعة الأخوة منتوري، الجزائر

**الملخص:**

تعتبـر القدس واحدة من اقدم مدن العالم وهي مدينة السلام والتاريخ والمقدسات، التقت فيها حضارات العالم، ومر بها ملوك وأباطرة وخلفاء وسلاطين وجيوش الغزاة والفاتحين والمحررين للاستحواذ عليها، نظرا لموقعها الجغرافي والاستراتيجي ومكانتها الدينية البالغة، وقد تنامت مكانتها عبر التاريخ في ادواره المختلفة سوآءا في العهود القديمة أو عند المسيح، أو العهد الإسلامي وفي فترة الحروب الصليبية، وما قبلها لدى الصليبين الاوروبيين، والعرب المسيحيين وبعض اليهود في فترات زمنية محدودة، لقد حظيت القدس عبر تاريخها بتقديس اتباع الديانات السماوية الثلاث (اليهود، المسيح والمسلمين)، لضمها معظم الاماكن المقدسة الخاصة بهم، فكل واحد منهم يراها مهد لديانته واقدس منطقة لمزاولة مناسكه الدينية وأرض الميعاد لأنها جزء من فلسطين الدولة الموعودة على حد زعمهم، اذ يزورها المسلمون للصلاة في المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ويعتقد اليهود ان جانبا من احد جدران المسجد الأقصى بني بأحجار أخذت من هيكل سليمان وهذا الجدار معروف بحائط المبكى، ويكرم المسيحيون كنيسة القبر المقدس (كنيسة القيامة الان)، التي تقوم على المكان

التقليدي لجبل يعتقد المسيحيون ان المسيح صلب عليه بهم .وبالرغم من اعتقاد العديد من المفكرين و السياسيين بأن مسألة القدس سياسية خالصة،، ويفترض ألا يتأثر وضعها الديني بوضعها السياسي، الا انها تظل مسألة دينية وجدانية تحرك السياسة والصراع الديني بين معتنقيها بأحقية كل دين على القدس الشريف، ولأهمية هذا الموضوع ارتأينا أن ندرس مكانة القدس في الأديان السماوية الثلاث.

**الكلمات المفتاحية :** القدس الشريف – الأديان السماوية – اليهودية –المسيحية – الاسلام .

**Abstract**: Al-Quds Al-Sharif among the three monotheistic religions - Judaism, Christianity and Islam.

Jerusalem is one of the oldest cities in the world. It is the city of peace, history and sanctities, where the world’s civilizations met, and kings, emperors, caliphs, sultans and armies of invaders, conquerors and liberators passed through it to acquire it, due to its geographical and strategic location and its extreme religious position. Its position has grown throughout history in its various roles, both in The ancient eras or with Christ, or the Islamic era and during the period of the Crusades, and before it among the European Crusaders, the Christian Arabs and some Jews in limited periods of time.

- Jerusalem has enjoyed throughout its history the sanctification of the followers of the three monotheistic religions (Jews, Christ and Muslims), as it includes most of their holy places. Each of them sees it as a cradle for his religion, the holiest area for practicing his religious rites and the Promised Land because it is part of Palestine, the

promised state, as they claim. Muslims visit it to pray in the Al-Aqsa Mosque and the Dome of the Rock, and the Jews believe that part of one of the walls of Al-Aqsa Mosque was built with stones taken from Solomon's Temple, and this wall is known as the Wailing Wall. Christ was crucified on them. Despite the belief of many thinkers and politicians that the issue of Jerusalem is purely political, and it is assumed that its religious status will not be affected by its political status, it remains a religious and sentimental issue that moves politics and religious conflict between its adherents with the entitlement of every religion to Jerusalem, and for the importance of this topic we decided to study the status of Jerusalem in the three monotheistic religions.

**paper keywords :** Al-Quds Al-Sharif - Heavenly Religions - Judaism - Christianity – Islam.

## المقدمة

بما أن بلاد الشام ومنها فلسطين كانت مهبط الوحي ومصلى الانبياء ومهد الرسالات السماوية، فقد تميزت مدينة القدس بتقديس الناس قاطبة، وتوجد في بضع مئات من الامتار بين جدار البلدة القديمة مواقع مقدسة لمليارات المؤمنين في العالم، من (يهود، مسيح ومسلمين) وكل واحد منهم يراها مهد لديانته واقدس منطقة لمزاولة مناسكه الدينية وأرض الميعاد لأنها جزء من فلسطين، الدولة الموعودة على حد زعمهم خاصة وقد تكثفت حولها الروايات

الدينية التي تصبغها بالقدسية، اذ تخصها النصوص والكتب الدينية بأحداث مهمة دارت على اراضيها، من صلب المسيح إلى ليلة الاسراء و المعراج .

و يتميز القدس الشريف بصفة خاصة بمكانة بارزة لدى المسلمين والعرب، بإشارات النصوص القرآنية والنبوية مما يوجب علينا الدين الالهي الحق متابعة الجهود لاستعادة السيادة العربية الإسلامية عليها، وايقاظ المشاعر الإسلامية والعربية للعمل الدؤوب في المجالين العالمي و الإقليمي بإبقاء القدس عربية والتخلص من الاحتلال الصهيوني لها وتبديد مزاعم ابقاءها عاصمة اليهود إلى الأبد .

وتتجلى أهمية دراسة الموضوع من اهمية القدس البالغة على المستوى الديني، ما جعلها محورا للصراعات والنزاعات من أجل السيطرة عليها والمفاخرة بمركزها الديني العريق، وعلى الرغم من مكانة القدس في الأديان السماوية الثلاثة، لم يمنعها من التعرض لأبشع انواع الظلم و النكبات، بسبب احتلال الصهاينة لها، التي بدأت بصفة فعلية من نكبة يونيو سنة 1967م فكان طغيانه غاشم، من خلال تجاوزه لأبسط حقوق الإنسان ومصادرته الاراضي، وطرد وتشريد السكان الأصليين والاعتداءات المتكررة على المساجد و الكنائس والمصلين وتحديه لكل القرارات الدولية والعالمية المسيحية والإسلامية والعربية . كما تبرز الاهمية أيضا من خلال مسح الغموض الذي يحيط بموضوع الأديان في القدس وتأكيد الحرص على عروبتها ووجوب التمسك بالحق الإسلامي العربي، سوآءا في مفاوضات السلام المتعثرة الآن او بأساليب أخرى.

وباعتبار النزاع الديني والطائفي حول القدس أحد اهم وأطول الصراعات العالمية، إذ يطالب بها المسلمون كعاصمة لدولتهم المنشودة، تحت راية الاسلام وينوب عنهم الفلسطينيين في ذلك فهي مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم و بها مسجد اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، فيما يراها المسيحيون أرض الخلاص و تكفير الخطايا وعودة المسيح المصلوب، و يعتبرها اليهود عاصمة أبدية لإسرائيل تحوي تاريخ اليهود كله . وتأسيسا لذلك يمكننا طرح الاشكالية التالية : ما أهمية القدس الشريف الدينية بالنسبة لكل دين سماوي والتي جعلتها مسرحا لأطول النزاعات في العالم؟ وكيف تدافع كل ديانة سماوية عن أحقيتها في القدس الشريف ؟ وكيف يرى اتباع هذه الديانات القدس بالنسبة لهم هل هي مكان لمزاولة الطقوس الدينية فقط، وتعطي لأصحاب كل دين سماوي نفس الحق ام انها احقية دين على آخر وأمة على اخرى ؟

وللإجابة على هذه الاشكالية ولاستفاء مقتضيات هذه المداخلة قمنا بتقسيمها إلى ثلاث محاور : تناولنا في (المحور الأول) القدس الشريف عند اليهود وفي (المحور الثاني) القدس الشريف عند المسيحين أما (المحور الثالث) تحت عنوان مكانة القدس الشريف عند المسلمين.

ولقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي بصورة عامة فهو بحث واستقصاء الماضي، وهو سجل الخبرات الماضية عن تاريخ تواجد الأديان الثلاث في القدس العتيق وحالها لنتوصل لواقع الظاهرة المعاصرة ذلك أن حاضر الظاهرة لا ينفصل عن ماضيها، بل هو امتداد له، وهو ما يأخذنا لواقع

الأديان في القدس في الوقت الحالي، وكيف أن الاحتلال الاسرائيلي اغتصب القدس الشريف بحجة دينية محضة تبناها تثبت احقيته في ملكية القدس بل فلسطين اكملها، و بما ان المنهج الاكثر ملائمة في دراسة الظواهر الاجتماعية والدينية اخترنا المنهج الوصفي سعيا منا لوصف حالة القدس في ظل الأديان السماوية الثلاث عبر ازمنة مختلفة، والحقناه بالمنهج التحليلي لتحليل النصوص الدينية الخاصة بكل لديانة والتي تبرز حق تواجدها في المنطقة .

**المحور الأول: القدس الشريف عند اليهود.**

تتأتى رؤية اليهود للمدينة المقدسة، من النصوص التوراتية المتأخرة، اذ يرونها المكان الذي يمكن للإله ان يستقر أو يعبد إلا فيها، "الرب اختار صهيون واشتهاها مسكنا له"، إذ اصبحت مركزا للدين اليهودي يتجه اليها اليهود، ويذكرونها في صلواتهم وخصوصا في احتفالاتهم بعيد الفصح، وهي أيضا المدينة التي كانوا يحجون اليها ثلاث مرات في العام .ونجد ارتباط اليهود بالقدس من عدة اوجه :

فهي بالنسبة اليهم عاصمة لدولة داود ومن بعده سليمان، ويطلق على القدس اسم صهيون في الموروث الديني حيث تضم جبل صهيون وقبر داود وحائط المبكى، وفلسطين بالنسبة لليهود تقع في مركز الدنيا و القدس في وسط فلسطين والهيكل في وسط القدس، ويقع قدس الاقداس في وسط الهيكل "فقدس الاقداس الذي في وسط الهيكل هو بمنزلة سرة العالم والهيكل عند الإله أثمن من السماوات بل من الأرض التي خلقها بيد واحدة، بينما خلق الهيكل بيديه

كلتيهما وحتى بعد دمار الهيكل يعتقد اليهود أن قدسية المنطقة "الجبل" تظل قائمة على الرغم من تدمير الهيكل[1].

يعود بناء الهيكل إلى حكم داود عليه السلام حيث بدأ في بناءه للعبادة ثم اكمله سليمان عليه السلام سنة 1005 ق.م، وقد تعرض للهدم عدة مرات وبعد اعلان اليهود ضم القدس في 1967/06/27 عقد في القدس اجتماع حضره حاخام اليهود في العالم، وطالب اليهود بإعادة بناء الهيكل، فكان جواب وزير الأديان آنذاك الدكتور زيرح فارهافتك :

(انه لا يناقش أحد في أن الهدف النهائي لنا هو اقامة الهيكل ولكن لم يحن الاوان بعد، وعندما يحن الوعد لابد من حدوث [2] زلزال بهدم الأقصى، ونبني الهيكل على اتفاقية) ويعظم اليهود القدس، ويترددون في صلواتهم وطقوسهم ومراسم عبادتهم، على (حائط المبكى وساحة المبكى) زاعمين بأن هذا الجدار هو الجدار الخارجي "هيكل سليمان "الذي رممه هيرود سنة 11 ق م ولكنهم نسوا أنه هدم بعد على يد طيطس[3] وازيل أثره كله على يد هدريان واصبح مكانا قاعا مستويا.

في المدينة الجديدة للقدس اديرة وكنائس ومجامع يهودية عديدة، وظهر فيها كثير من عظماء الانبياء اليهود الذين سارو في شوارعها، ولكن فقد اليهود اي

1 محمد سعيد العمور، القدس في الشرائع السماوية، مدينة القدس، جامعة الاقصى، 2021 .
2 وهبة الزحيلي، مكانة القدس في الأديان السماوية الثلاث، الطبعة الاولى، دار المكتبي للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق سوريا 2001 م 1421 ه، ص 21 .
3 المرجع نفسه، ص 22

مظهر من مظاهر السلطة على القدس بعد ان احتلها الرومان سنة 63 ق م وقضى على حركة الشعب اليهودي قضاء مبرما .

وانتهى كل وجود لليهود في القدس بعد ان عذبهم تيطس الروماني سنة 70 م وبعد ان دمر ادريانوس الروماني 138 م 117 هـ المدينة كاملا لم يبقى لليهود وجود في المدينة[4].

فهي ترى أنها منفصلة عن هذا التاريخ، وبالتالي فإن وعد الله تعالى لم يتحقق معها إلا لفترة محدودة جدا من الزمن لا تتجاوز السبعة عقود ثم خرجت من أيديهم. ثم إن اليهود لا يرون داود وسليمان أنبياء كما نراهم نحن المسلمين، بل يرونهم ملوكا فاسدين، أحدهم ارتكب سيئة عظيمة بأن أحب زوجة أحد أبرز وأخلص قواده فأرسله إلى الموت ليتزوج بها! وبدلا من أن يعاقبه الله تعالى وحده على ذلك فقد قضى أن يعاقب بني إسرائيل إلى الأبد بسبب هذه الفعلة! ثم أنجبت هذه المرأة ابنا وهو سليمان؛ ذلك الملك الذي كان غارقا في الملذات والفساد حتى إن زوجاته الوثنيات أغرينه وجعلنه يكفر في آخر عمره ويعبد آلهة أخرى! وهذا الملك هو الذي بنى الهيكل أو المعبد. فأي قدسية يكتسبها المعبد إن كان بانيه ملكا لا يحظى بالقداسة بل أصبح كافرا في نهاية المطاف؟! فالمعبد يحظى بالقدسية إذا كان من أنشأه شخص مقدَّس.

أما بإصرار بني إسرائيل على عزل أنفسهم عن التاريخ المشترك لأبناء إبراهيم وإنكارهم للإسلام فهم يحكمون على أنفسهم بأن صلتهم بهذه الأرض

4 المرجع نفسه، 23

وبهذا التاريخ ليست سوى صلة عابرة لا قيمة لها ولا وزن، وأنه لا مقدسات لهم في هذه الأرض؛ إذ أن المعبد الذي يتباكون عليه والذي بناه ملك فاسد من وجهة نظرهم لم يبقَ سوى سنوات قليلة في التاريخ ثم دُمِّر ولم يبقَ له أدنى أثر[5].

**المحور الثاني: القدس الشريف عند المسيحين .**

يقول المطران عطا الله حنا "القدس مدينة إيماننا والسُلم الروحي الذي يصعدنا إلى السماء وهي المدينة المقدسة التي تحتضن المقدسات والحضارة والتاريخ والتراث والهوية، وهي بالنسبة إلينا بمثابة القلب من الجسد فلا حياة للجسد بدون القلب .....، إنها المدينة التي تعبر عن أصالتنا ووحدتنا الوطنية وتراثنا الروحي العميق، وإنها لوحة فسيفسائية رائعة فيها من الجمالات ما يجعل القلب الإنساني يخشع ويتواضع ويسجد ويتأمل أمام عظمة الخالق الذي أراد من هذه المدينة أن تكون محجاً وإناءً مقدساً يذكرنا بعطايا الله ومواهبه لنا نحن البشر، لقد تغنى الشعراء وكتب المؤلفون والأدباء وسطروا أروع الكلمات في قدسنا الحبيبة، ولكننا مهما كتبنا فنحن مقصّرون، فالكلمات مهما كانت جميلة والصور مهما كانت معبرة لا يمكنها أن تعبر عن عظمة وسمو القدس التي نسكنها وتسكن فينا والتي نعشقها وفي معابدها نسجد للإله الواحد الأحد. كل حجر وكل زاوية في هذه المدينة تذكّرك بحدث عظيم ولكن الحدث الأعظم في

5 تميم ابو دقة، مكانة القدس وأهميتها بالنسبة للأديان الثلاثة، بساط احمدي، كتبت المقالة الاصلية بتاريخ 10 من كانون الأول 2017، وتم نلقها للقارئ الكريم لفائدتها في 15 ماي 2018 .
- /https://bisatahmadi.com/articles

القدس هو ما حصل على أرض القيامة والأقصى، الإسراء والمعراج وقيامة المسيح وانتصاره على الموت، سيبقيان الحدثين الأهم في تاريخ القدس الروحي وستبقى هذه المحجات الروحية موئلا لكل المصلين والداعين لأجل المحبة والسلام[6]."

من خلال هذه الكلمة يمكننا استنتاج، ان القدس تحظى بمكانة خاصة في الدين المسيحي، كيف لا وهي قبلة المسيحين الاولى والوحيدة، والمركز المسيحي الأول والاهم في العالم، اذ تكتسب هذه الأهمية بسبب المعتقد المسيحي بموت المسيح في القدس وقيامته في اليوم الثالث من القبر، حيث القيامة هي الحدث المركزي والأساسي وهي قلب الايمان المسيحي ومن دون القيامة لا وجود للمسيحية ولا معنى للعقيدة، لأن هذه المدينة باعتقادهم شهدت قيامة المسيح ومن هذه المدينة انتشرت الديانة المسيحية على أيدي الرسل والتلاميذ إلى جميع انحاء المعمورة، وقد حفلت الكتب المقدسة المسيحية بتعظيم مدينة القدس، حيث اختارها الرب لتكون مسكنا له كما يروي صاحب المزامير (الرب احب ابواب صهيون القدس اكثر من جميع مساكن يعقوب)[7].

وقد اتخذها المسيح مركزاً لخدمته فعندما كان صبياً كان يذهب إلى أورشليم القدس سنوياً مع مريم أمِّه ودخل هيكلها وجادل كهنتها ووبَّخهم وكشف رياءهم

6 محمود حبلي، على درب الالام المسيحيون والمقدسات المسيحية في القدس، الطبعة الأولي، اصدار قسم الابحاث و المعلومات مؤسسة القدس الدولية، بيروت لبنان، 2016 م-1438 ه، ص 10-11 .

7 المرجع نفسه، ص من 15-17.

وتعدياتهم على شريعة الله ووصاياه وفيها، وعظ وعلَّم عشرات الألوف من البشر وشفى الكثيرين من المرضى الإسرائيليين الذين تجمَّعوا حوله، وفيها تمَّم مهمَّة الفداء التي جاء لإنجازها وفيها صُلِب بمؤامرة رؤساء الكهنة اليهود، وفيها قُبِرَ جسده المقدس، وعلى قبره المقدس أُقيمت كنيسة القيامة عام 328م[8] حسب اعتقاد المذاهب المسيحية، أن المسيح مات على الصليب تكفيرا عن خطايا العالم، وتحريرا للبشرية، ثم قام من بين الأموات ورفع إلى السماء، بعدما أن وعد المؤمنين به أنه سيعود في اخر الزمان[9] وبعد قيامته وصعوده من على جبل الزيتون بالقرب من أورشليم صارت الاخيرة مركز ونشاط الكنيسة الأولى وكان قد أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم، فظلوا منتظرين تحقيق الوعد بالروح القدس وهكذا نرى أن أورشليم القدس كانت مركز انطلاق الرسالة المسيحية إلى العالم، الأمر الذي يبرهن بقوة أنها مسيحية أيضاً، هذا فضلاً عن الأديرة والكنائس الأثرية التي تملأ المنطقة اليوم، وتقدر بـ 19 كنيسة تتبع مختلف الطوائف المسيحية، وهي غنية بارتباطاتها بالعهدين القديم والجديد، فان المدينة يمتد تاريخ تأسيسها إلى القرن 15 ق م، وقد تكون هي اورشليم المذكورة في سفر التكوين، وجعلها الملك داود دعامته بعد انتزاعها من اليبوسين[10].

كان لاعتناق "الإمبراطور قسطنطين" المسيحية في القرن الرابع الميلادي، دورا كبيرا في التغيير الجذري لتاريخ المدينة، حيث أصدر قسطنطين سنة

8 محمد سعيد العمور، مرجع سابق
9 محمود حبلي، مرجع سابق، ص12.
10 وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ص 26..

313م، مرسوماً يقضي بمنح المسيحيين حرية العبادة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وأصبحت أورشليم مقدسة عند المسيحيين، ولم يكن منه إلا أن أوفد لأمه الإمبراطورة "هيلانة" هي والمطران "مكاريوس" العمل على اظهار الأمكنة المقدسة المطمورة التي ارتادها السيد المسيح وتطهيرها من الهياكل الوثنية[11] التي اقيمت على معظمها خصوصاً في عهد الامبراطور الروماني هدريان، ولما نجحت في العثور على المغارة التي ألقيت فيها الصلبان وكذلك الجلجنة ومكان القبر المقدس أمر الامبراطور قسطنطين الكبير بأن تشاد كنائس فخمة فوق هذه الأماكن وتولت الملكة هيلانة بنفسها مراقبة البناء وفقاً لرغبة ابنها الامبراطور، وهكذا قامت خلال مدة وجيزة كنيسة القيامة فوق الموقع الذي يعتقد أن المسيح صلب فيه وكنيسة المهد في بيت لحم فوق المغارة التي ولد فيها السيد المسيح وكنيسة ثالثة في العلية على جبل صهيون دعيت باسم الرسل الأطهار أو الرسل القديسين بالإضافة إلى كنائس كثيرة أخرى في أنحاء متفرقة من فلسطين وعليه يمكننا اعتبار هذه السنة 326م بداية حركة العمران الديني من قبل المسيحيين في الأراضي المقدسة[12] فسعى إليها الحجيج من كل مكان، وكثرت الكنائس ولا سيما في عهد الإمبراطورة "ايودك" 441- 460 م.

11 وكالة الانباء و المعلومات الفلسطينية "وفاء " في 2021/07/05
12 الموسوعة الفلسطينية، القدس – المباني الأثرية والتاريخية المسيحية-، في: 18 سبتمبر,2014. https://www.palestinapedia.net/.

وأصبحت الإمبراطورية الرومانية تدين بالمسيحية، إلا أن تغييراً حدث بعد مرور حوالي ربع قرن من الزمن على وفاة قسطنطين، وهو تولي الإمبراطور "جوليان" العرش الروماني سنة 361م، وقد سمي بالمرتد؛ لانحرافه عن المسيحية ورجوعه إلى الوثنية، ولكنه قتل في حملته على بلاد الفرس في حزيران 363م.

وبموت جوليان تم تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين: غربي، وشرقي وكانت فلسطين ضمن القسم الشرقي البيزنطي وشهدت فلسطين بهذا التقسيم فترة استقرار دامت أكثر من مائتي عام، الأمر الذي ساعد على نمو وازدهار البلاد اقتصادياً وتجارياً وعمرانياً مما ساعد في ذلك مواسم الحج إلى الأماكن المقدسة[13].

إن فتح القدس على يد الخليفة عمر بن الخطاب لدى تسلمه مفاتيح المدينة من البطريرك العربي صفرونيوس يشكل بداية تكاثر الكنائس في المدينة لأن العهدة العمرية فتحت آفاقاً بالنسبة للتسامح الديني، وقد كان في القدس كنيسة جامعة تضم الروم والعرب والسريان وقد تغير هذا الوضع نتيجة لخلع نير الحكم البيزنطي فأصبحت هناك كنائس أخرى بالإضافة إلى الكنيسة الأولى الأرثوذكسية كنائس الأرمن والسريان والأقباط والأحباش والكلدان والآشوريين والموارنة وظهرت في القرن الثاني عشر أثناء حروب الصليبيين كنائس للاتين

13 وكالة الانباء و المعلومات الفلسطينية "وفاء "، مرجع سابق

والكرج ثم كنائس الروم الكاثوليك والروس وفئات البروتستانت المتعددة في أوساط القرن التاسع عشر[14].

**المحور الثالث: القدس الشريف عند المسلميـن .**

الإسلام وريث الديانات السماوية التي سبقته فهو يعترف بها، بل إن شرع من قبلنا شرع لنا إذا وافق ما ورد في ديننا. ولا توجد مدينة في تاريخ الإسلام بل في تاريخ الأديان السماوية جميعها، ظفرت بما ظفرت به هذه المدينة من تقديس وتكريم.

فقد أولاها أهل الحل والعقد من خلفاء وأمراء وعلماء كامل رعايتهم، أنشأوا المساجد والزوايا والتكايا والأربطة والسبل والمدارس والمقابر، وأوقفوا عليها معظم الأراضي المجاورة، وزينوا وزخرفوا وجددوا قديمها، وأسسوا جديدا يتناسب مع احتياجاتها وتطورها ومكانتها في الإسلام، و أطلقوا حرية العبادة لجميع أهل الأديان، ونشروا الأمن والأمان لكل من جاء للقدس حاجاً أو زائراً ومنحوا للمدينة والحجيج الأمن والاستقرار[15].

بعد ظهور الاسلام تعلق المسلمون تعلقا شديدا بالقدس، وانزلوها منزلة كريمة، اذ جعلوها حرما مقدسا يأتي في المرتبة الثانية بعد مكة المكرمة فهي اولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين .

14 الموسوعة الفلسطينية، القدس – المباني الأثرية والتاريخية المسيحية-، مرجع سابق.
15 محمد سعيد العمور، مرجع سابق ..

استعاد المسلمون القدس على يد صلاح الدين الايوبي سنة 1187 م، بعد ان سقطت في ايدي الصليبيين سنة 1099م، وبقيت في ايدي المسلمين حتى استولى عليها البريطانيون سنة 1917 م، في الحرب العالمية الأولى ثم اتخذوا القدس عاصمة في أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين، وحينما انتهى الانتداب سنة 1947م حارب العرب اليهود سنة 1984 م لانتزاعها من ايديهم، وبقيت المدينة القديمة بيد العرب، والمدينة الجديدة بيد اليهود، إلى أن أعلن اليهود في 1967/06/27 م بتوحيد المدينة بعد حرب 1967م وعلى الرغم من هذا الوضع المأساوي الحالي، فإن العرب والمسلمون قاطبة متمسكون بحقهم في القدس القديمة وسائر فلسطين للأسباب التالية :

1. الفتح الإسلامي واستمرار القدس بيد المسلمين على مدى اربعة عشرة قرنا .
2. حادثة الإسراء والمعراج : يقول الله تعالى عن الاسراء: (سُبحانَ الَّذي أَسرى بِعَبدِهِ لَيلًا مِنَ المَسجِدِ الحَرامِ إِلى المَسجِدِ الأَقصى الَّذي بارَكنا حَولَهُ لِنُرِيَهُ مِن آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ البَصيرُ) [الإسراء:1].

ويقول سبحانه عن المعراج: (وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17)) [النجم : 7-17 ].

فهاتان الآيتان المقررتان لحادث الاسراء و المعراج في ليلة واحدة تربطان في عقيدة المسلم ضرورة الحفاظ على المحور المكي –المقدس من البيت الحرام إلى الأقصى تحت السلطة الإسلامية العادلة والمعتدلة، التي كانت ولازالت في غاية العفو والتسامح وتيسير تردد اتباع الديانات الأخرى على مقدساتهم في القدس وغيرها.

والمسجد الأقصى :هو بيت المقدس ووصفه بالأقصى، أي الابعد بالنسبة إلى من بالحجاز، أو لأنه ابعد المساجد التي تزار من المسجد الحرام، وبينهما بحسب وسائل النقل القديمة، نحو أربعين ليلة، وتم الاسراء بالجسد و الروح على دابة البراق إلى بيت المقدس والمعراج بواسطة اجنحة الملائكة، وبقدرة الله تعالى الظاهرة في الانفس و الافاق بدءا من هامة قبة الصخرة المشرفة، وتم ذلك لخاتم النبيئين الذي توج برسالته الأديان والرسالات، وكان القرآن المنزل عليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه .

3. التمكين من العبادة الخاصة لله عز وجل : أخرج الجماعة (أحمد والبخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجة) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال "لا تشد الرحال الا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى". ولا يتحقق هذا الا في ظل السيادة الإسلامية لا اليهودية العنصرية التي ملأت فلسطين بألوان التخريب و الاذى والفساد واحراق المسجد الأقصى وبعض الكنائس، أما المسلمون فهم محافظون على المقدسات، جاء في مسند الطبراني بإسناد

صحيح : "الصلاة في المسجد الحرام بمائة الف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة." [16]

عن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس فقال أرض المنشر والمحشر ائتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة فيما سواه، قال أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه؟ قال فليهد إليه زيتاً يسرج فيه فإن من أهدى له كان كمن صلى فيه"

ورُوي عن علي بن أبي طالب أنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سيد البقاع بيت المقدس، وسيد الصخور، صخرة بيت المقدس)، فضلاً عن رواية عمر بن الخطاب "أن الحرم محرم في السموات السبع بمقداره في الأرض، وأن بيت المقدس مقدّس في السموات السبع بمقداره في الأرض" [17].

4. صلاة المسلمين الاوائل إلى بيت المقدس : اخرج الامام احمد الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وهو بمكة، نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه[18] وبعدما هاجر إلى المدينة، ستة عشر شهرا ثم صرف إلى الكعبة). ومن طريق أخرى عن البراء بن عازب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً. وكان رسول الله يحب أن يوجه

16 وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ص 29-31 .
17 محمد سعيد العمور، مرجع سابق.
18 وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ص 31.

إلى الكعبة فأنزل الله (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) [البقرة:144]. وصارت القدس بناء عليه اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم[19].

كانت القدس في العهد المكّي، وبداية العهد المدني، قبلة المسلمين، فكان النبي يصلي في البيت الحرام، في العهد المكي، ويتلو القرآن فيه، إلاَّ أنه أمر المسلمين التوجه بصلاتهم نحو القدس، ربما ليظهر تميز الإسلام عن العقائد الوثنية التي تملأ برموزها البيت الحرام، فكان توجّه المسلمين شطر القدس، المركز الروحي لأهل الكتاب، علامة على استمرار دين الوحي، ثم بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ظل يوجه صلاته نحو بيت المقدس، إلى أن أتاه الأمر الإلهي[20].

5. الاماكن المقدسة في القدس ومنها المبكى تخضع لنظام قديم يسمى (الساتيكو)، اي بقاء القديم على قدمه وعدم احداث تغيير فيه ويعتمد هذا النظام على احتفاظ كل طائفة او جماعة بحقوقها الموروثة، استنادا إلى براءات سلطانية، أو أعراف قديمة، أو تسامح معهود وتمسكت حكومة الانتداب البريطاني حين حكمها لفلسطين بهذا النظام .

19 وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ص 32.
20 محمد سعيد العمور، مرجع سابق..

كل هذه الادلة الناصعة تدل على احقية المسلمين والعرب بحق الاشراف على القدس، و إبقاء السيادة العربية عليها بنحو دائم[21].

6. تعلق المسلمين بالقدس والأحاديث التي تؤكد على قيامة المسيح في القدس: حيث يجتمع المسلمون هناك، ويكون المسيح إمامهم، ويقتل الدجال الذي يسانده سبعون ألفاً من اليهود، هو ما يتجلى في رواية أم شريك بنت أبي العكر، التي تسأل النبي: (يا رسول الله أين المسلمون (آنئذ)؟ قال: ببيت المقدس، وإمام المسلمين يومئذ رجل صالح، فإذا كبَّر ودخل في الصلاة نزل عيسى بن مريم، فإذا رآه الرجل (الصالح) عرفه فيرجع يستقدم عيسى وراءه، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدّم فصل، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم، فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحوه ووراءه الدجال، ومعه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سلاح وسيف، فإذا نظر إلى عيسى ذاب كما يذوب الرصاص في النار، وكما يذوب الملح في الماء. ثم يخرج هارباً فيقول عيسى: إن لي فيك ضربة لا تفوتني بها، فيدركه عند باب الله الشرقي فيقتله "فيملأ المسيح بعدها الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً، "فترتفع الشحناء والبغضاء" حتى تلقى الوليدة الأسد فلا يضرها. ويكون الذئب في الغنم فلا يأكلها. ويملأ الأرض من السلم).

7. ونظرا لكون الإسلام والمسلمين ورثة الحقيقة الدينية الكاملة من خلال إيمانهم العميق بكل ما سبق من كتب سماوية قبل تحريفها، وإيمانهم بأنبياء

21 وهبة الزحيلي، مرجع سابق، ص 32.

الله جميعا ورسله وتقديسهم والاعتراف بنبوتهم وأنهم على حق فإن ما ورد عن علاقة بعض الأنبياء بالقدس تزيد من قداستها عند المسلمين ومن ذلك "أن موسى عليه السلام كلّم الله في أرض بيت المقدس، وتاب الله على داوود وسليمان عليه السلام في بيت المقدس، ورد الله على سليمان ملكه في بيت المقدس، وبشّر الله زكريا بيحيى في بيت المقدس، وسخر الله لداوود الجبال والطير في بيت المقدس، وكان الأنبياء يقربون القرابين ببيت المقدس، وأوتيت مريم فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء ببيت المقدس، وولد فيه عيسى عليه السلام كما تعلم في المهد هناك، وأنزلت عليه المائدة في أرض بيت المقدس، وماتت مريم، ودفنت فيها."

8. قبة الصخرة وقد اكتسبت أرض المسجد الأقصى، بما فيها الصخرة المشرفة، بالإسراء والمعراج، قدسية عميقة، فذكروا الكثير من الروايات تشيد بجلالة الصخرة، ولاسيما أن الصخرة كانت حسب الاعتقاد الإسلامي النقطة التي عرج بها النبي إلى سدرة المنتهى. فعن فضل بين عياض، يقول:(لما صرفت القبلة (إلى البيت الحرام) قالت الصخرة: "إلهي لم أزل قبلة عبادك حتى إذا بعثت خير خلقك (النبي محمداً) صرفت قبلتهم عني؟ قال: أبشري، فإني واضع عليك عرشي، وحاشر إليك خلقي، وقاض عليك أمري، وناشر منك عبادي" . وفي حديث مسند إلى كعب الأحبار يقول: (ما من نقطة عين عذبة إلاَّ ومخرجها من تحت صخرة بيت المقدس)، بل

يذهب حديث إلى اعتبار الصخرة مركز العالم، ففي حديث روى مقاتل: "صخرة بيت المقدس وسط الدنيا"، وفي رواية أخرى، إن النبي صلى الله عليه وسلم أجاب عن سؤال عبد الله بن سلام عن سبب تسمية مسجد الأقصى بالمسجد الأقصى: "لأنه وسط الدنيا لا يزيد شيئاً ولا ينقص". ويروى عن الكلبي أن الصخرة (هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً)، وروي عن علي بن أبي طالب، وعن ابن عباس وحذيفة: (إن المكان القريب إلى السماء هو صخرة بيت المقدس)..

**9.** دفن في المدينة عدد كبير من الصحابة والتابعين والمجاهدين منهم أمثال: عبادة بن الصامت الأنصاري (ت 34 هـ)، الذي كان نقيباً، وشهد العقبة الأولى والثانية، وشهد بدراً والمشاهد كلها، ولاه عمر بن الخطاب قاضياً على الشام ومعلماً، وولي قضاء فلسطين، ثم قاضياً لبيت المقدس، وروي أنه شوهد وهو يبكي على سور بيت المقدس الشرقي، فسئل: وما يبكيك يا أبا الوليد؟ فقال: من هاهنا أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى جهنم، أقام في بيت المقدس، وتوفي في الرملة، إلا أنه دفن في القدس، كذلك أقام فيها شداد بن أوس إلى أن قضى، ودُفن فيها، وهو الذي روى الحديث النبوي: (أن الشام ستفتح، وبيت المقدس سيفتح)، ويقال إن قبره في مقبرة الرحمة، كما دفن، في بيت المقدس، وائلة بن الأسقع (ت 85 هـ)، وذو الأصابع التميمي، الذي قال له النبي: )عليك ببيت المقدس).

زارها كثير من الصحابة الأجلاء والتابعين وتابعيهم، وذكرت كتب التاريخ ممن زار القدس الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، والصحابي الجليل أبو عبيدة بن الجراح (ت 18هـ)، ومؤذن الرسول بلال بن رباح (ت 19هـ)، وقد زارها في معية أمير المؤمنين وتذكر الروايات أنه من شدة إجلال القدس أن بلالاً مؤذن الرسول الذي توقف عن الأذان منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وافق هنا، في حضرة المسجد الذي أقامه عمر، على الأذان، إذ قال لعمر: (يا أمير المؤمنين، أما والله ما أردت أن أؤذِّن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن سأطيعك اليوم، في هذه الصلاة وحدها) فذكَّر أذان بلال بأيام النبي، وبقدسية المكان معاً، ولهذا فعندما قال بلال: "الله أكبر، خشعت جلودهم، واقشعرت أبدانهم، ولما قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، بكى الناس بكاءً شديداً". وزارها خالد بن الوليد (ت 21هـ) الذي روى حديث إنها (أرض المحشر والمنشر) ولا شك في أن القدس تحتل مكانة مميزة في نفوس المسلمين، فهم ورثة الأديان، وهم من أشرف عليها أكثر من ألف عام، وأقام في ربوعها وعلى جبالها وفي وديانها المساجد والصلوات، وتهفو إليها نفوس الملايين من الموحدين[22].

22 محمد سعيد العمور، مرجع سابق

## الخـــاتمة

### - النتائـــج

بعد هذا التطواف بين النصوص المقدسة لأهل الديانات الثلاثة، والتاريخ المسطور لها، والروايات المعتمدة لديها نخرج بجملة من النتائج نجملها في التالي :

1. أهم نتيجة تاريخية ومنطقية وواقعية أن القدس لها مكانة خاصة بارزة لدى اتباع الديانات الثلاث– اليهودية، المسيحية والاسلام .
2. العرب هم أول من استوطن القدس وما حولها من ديار، وأن كل من جاء بعدهم لم يجدها إلا عامرة بأهلها.
3. على الرغم مما تضمنته النصوص اليهودية من تبجيل وتقديس للقدس وللهيكل، فإن ذلك يتناقض تماماً مع ما يرد في نصوص أخرى، ويتناقض كذلك مع الممارسات اليهودية والتي تعاطت مع بيت المقدس والهيكل بإهانات عظيمة.
4. اذا كان اليهود يستمدون شرعية مطالبهم بالمدينة المقدّسة من تعاليمهم الدينية المستوحاة من التوراة، فإن هذه التوراة ذاتها تقول "من أجل أن ملك يهوذا أساء أكثر من جميع الذي عمله الآمورين الذين قبله، ها أنذا أجلب شراً على أورشليم ويهوذا وأمسح أورشليم كما يمسح واحد الصحن"، فأي قداسة وأي وعد إلهي هذا الذي يبقى بعد أن يمسح "الرّب" "أورشليم" ويرفضها ولو كان الهيكل والقدس مقدسين لدى اليهود كما يدّعون لما عبد

الشعب الإسرائيلي آلهة أخرى، ناسين الرب وهيكله وناعتين بيت المقدس والهيكل بأبشع وأقذع الأوصاف وهو ما يتضح من توراتهم وأسفارهم.

5. تؤكد الدراسات التاريخية أن الوجود اليهودي في القدس كان وجودا عابراً، وقد حصل بعد حوالي خمسة قرون من نشأة الديانة اليهودية، فبناء الهيكل الذي يمثل جزءا مهما في معتقدات اليهود تم في عهد النبي سليمان وذلك بعد 480 سنة من خروج اليهود من مصر اي أن داوود ما دخل منطقة القدس إلا بعد استئذان أهلها اليبوسيين.

6. لم يرد ذكر القدس في التوراة أي الأسفار الخمسة التي نزلت على النبي موسى البتة، لكن ذكرها ورد متأخرا في أسفار الأنبياء والأسفار التاريخية المتأخرة. وهذا دليلا على أن القدس لم تحظ بالأهمية الدينية لدى اليهود إلا بعد قرون عدة ولو كان لها مكانة حقيقية في الدين اليهودي لورد ذكرها في الأسفار الخمسة الأولى (التوراة) وليس في الأسفار المتأخرة التي هي محل شك وريبة عند كثير من علماء الأديان.

7. المتتبع للنصوص التوراتية يرى أن كتاب التوراة ركزوا على الوعد الإلهي بمنح أرض كنعان لإبراهيم ونسله من بعده دون إعطاء القدس أية أهمية تذكر، ولم تعتبر القدس مكاناً مقدساً حتى جاء سليمان وبنى الهيكل. وكانت القدس حسب النصوص الموجودة في أسفار التوراة الأولى كبقية بقع الأرض التي هوجمت من قبل القبائل البدوية الإسرائيلية، وبعد أن استتب الوضع لداود وسليمان نظر اليهود للقدس بالدرجة الأولى على أنها عاصمة

سياسية لمملكة داود. ولم تحط بهالة القدسية الإلهية. وهذا يعني أن التقديس جاء لرمز الكيان الاستيطاني وليس لرمز العلاقة بين الإله والإنسان.

8. إن اليهودية الحاخامية تُحرّم العودة إلى فلسطين ومن ثم إلى القدس إلا في آخر الأيام وفي الوقت الذي يحدده الإله وبالطريقة التي يقررها، وقد اتهم الحاخامات الصهيونية بأنها تسعى إلى التعجيل بالنهاية، وذلك بتحديها مشيئة الإله والضغط عليه لإجباره على المجيء حيث جاء في التلمود : "لا تعودوا ولا تحاولوا أن ترغموا الإله".

9. إن المسيحية باعتبارها الديانة التي جاءت لإصلاح ما علق باليهودية من أدران بفعل الإنسان وبذلك صرح المسيح بقوله "بعثت لخراف إسرائيل الضالة" لما تمكنت من عين المكان مارست ما يخالف قدسية المدينة فقد حرَّم الرومان منذ تيطس عام 70م على اليهود دخول القدس وهدّموا هيكلهم ثم أتى هادريان عام 136م فأكد هذا الحرمان، وأكدت السلطات المسيحية أيضا هذا الحرمان، في زمن قسطنطين في القرن الرابع، واستمر هذا الحال حتى الفتح الإسلامي في القرن السابع، أما التجربة المسيحية الغربية الأخرى كما جسدها الصليبيون الذين افتتحوا ممارستهم نحو العلاقة بالآخر، بقتل جميع المسلمين واليهود عند دخولهم القدس، فقد تجلّت بأن حرموا على المسلمين واليهود دخول المدينة المقدسة، وطمسوا المعالم الإسلامية، وحولوا المسجد الأقصى، ومسجد القبة إلى كنائس، ومكان

لقيادة الداوية، وإسطبلا لخيولهم، فجسدت المسيحية الغربية في المرتين موقفاً إقصائياً نافياً للآخر، ولمفهوم العيش المشترك.

10. إن مكانة القدس في قلوب وعقول ووجدان المسلمين لا تعادلها إلا مكانة الحرمين بمكة والمدينة، لذلك كتبوا في فضائلها، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : "من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء". وعن أبي عباس قال : من حج وصلى في مسجد المدينة والمسجد الأقصى في عام واحد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه" وعن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله "من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس". وعن أنس بن مالك قال : "إن الجنة تحن شوقا إلى بيت المقدس، وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس، وهي صرة الأرض".

11. الدور البارز للعرب و المسلمين للحفاظ على قداسة القدس الشريف يقول المفكر الفرنسي روجيه غارودي: (في عام 638م لم يكن العرب من وصل إلى فلسطين، وإنما هو الإسلام... إذ أن العرب كانوا في فلسطين منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام. أي منذ الهجرات السامية الأولى القادمة من الجزيرة العربية، تلك التي كانت تجوب أرجاء الهلال الخصيب من عموريين وكنعانيين وعرب، من ذوي أصل اثني واحد وأسرة لغوية واحدة). وقد ذكر المؤرخ المسيحي المشهور ميخائيل السرياني المعروف بالتقوى، إلى أن المسلمين (لم يضطهدوا أحداً بسبب إعلانه عن عقيدته، وذلك خلافاً لما فعله اليونانيون).

لقد كان الإسلام والمسلمين متسامحين مع الغير فسمحوا لليهود بالسكن فيها مجدداً، ويذكر ذلك الأديب اليهودي الإسباني (يهود الحرزي)، الذي زار المدينة في عام 1217م، (أرسل السلطان (صلاح الدين) منادياً ينادي في أرجاء البلاد بأن باستطاعة كل سلالة إبراهيم العودة إلى القدس من العراق ومصر ومن كل البلاد التي لجأوا إليها). بل إن صلاح الدين الأيوبي رفض طلبا لريتشارد قلب الأسد في أيلول 1192م، يتضمن عدم السماح للحجاج الأوروبيين المتدفقين على القدس بزيارتها، إلا أولئك الذين يحصلون على إذن منه، أو كتاب، ورد عليه بالرؤية الإسلامية العميقة للقدس بأنها مدينة مفتوحة للديانات الإبراهيمية، بالقول "إن هؤلاء الحجاج، قد وصلوا من ذلك البعد لزيارة المكان الشريف، فلا استحل منعهم[23].

12. إن مكانة القدس عند كل أهل الديانات جعلها منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام تتعرض للغزو وتتصدى للغزاة، تسيل الدماء وتهدم الأسوار ويهجر الإنسان وفي كل غزوة تتحطم الجيوش في القدس وحول القدس.

13. قامت في القدس مساجد المسلمين جنبا إلى جنب مع كنائس المسحيين، فكان القدس الشريف نقطة التقاء بين بين العالم الإسلامي في اوج الحضارة الإسلامية والعالم الاوروبي في أوج سيطرة الكنيسة على ملوكه وامراءه وشعوبه، بل كان القدس الشريف هو اول حلقة اتصال بين المشرق و المغرب في ذلك الوقت.

23 محمد سعيد العمور، مرجع سابق

14. على الرغم من ان اليهود لا يملكون اي حق قانوني بهذا الحائط إلا أن سماحة المسلمين اذنت لهم بزيارة هذا الحائط و البكاء خلفه ومن هنا اطلقوا عليه حائط المبكى بينما اسمه الحقيق هو حائط البراق .

**- المقترحات**

1. إن القدس جديرة بأن تحظى بكل هذا الاهتمام و على العرب والمسلمين أن يولوها كل اهتمام ورعاية ودعم لتثبيت أهلها الصابرين الصامدين في وجه أكبر عملية تهويد وتغيير لمعالم المدينة، وتغليب لمظاهر أهل ديانة على الديانات الأخرى.
2. إن واجب استعادة القدس وتحريرها واجب جماعي على عموم أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمسؤولية مشتركة على الجميع.
3. ضرورة توثيق وتأصيل كل ما هو ذو قيمة في القدس، خاصة وأن التهويد يطال البشر والحجر، ولا يسلم منه حتى المقابر والشوارع.
4. ان جدار المبكى في الواقع هو حائط البراق الإسلامي، وهو قسم من الجدار الغربي لجدار الحرم الشريف، ويبلغ طوله 50 م تقريبا وارتفاعه 20 م (يعد من الاوقاف الإسلامية، لأنه جزء من الحرم الشريف، وله علاقة وطيدة بإسراء النبي صلى الله عليه وسلم ومسجد البراق ملاصق لهذا المكان، فيسمى هذا الجدار بالبراق .
5. ان ملكية الجدار الإسلامية قد ايدها تقرير هيئة عالمية شُكِّلت في زمن الانتداب البريطاني على فلسطين، وقدمت تقريرا بذلك سنة 1930، واعيد

نشر هذا التقرير بتاريخ 23 شباط (فبراير) 1968م بعد الاحتلال الاسرائيلي للقدس تحت رقم (18427 س) .

6. اذا كان أجدادنا في الماضي قد كتبوا الكثير عن القدس، وذكرو فضائلها ومحاسنها، وما ألم بها من ظروف وحوادث واحتلال فنحن اليوم أحوج ما نكون إلى تأليف العديد من الكتب عن المدينة المقدسة، لإبراز الدور الكبير والمشرف للعرب والمسلمين في القدس الشريف حتى تبقى خالدة متجددة في افئدة ابناءها وبناتها ليعملوا على تحريرها من ايدي الغاصبين الصهاينة تماما كما حررها الاجداد من ايدي الصليبيين في العصور الوسطى فالقدس اليوم لن تعود الا بالجهاد والتضحية والفداء لأن اليهود المغتصبين المتشددين لا يريدون الخروج من القدس لزعمهم انها عاصمتهم الابدية ولكنهم سيخرجون منها بعون الله بمهمة ابناءها لكن من قال فيهم عز وجل في كتابه الكريم (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا) [الاسراء-5].

7. إجابة على السؤال الذي يدور حول مكانة وأهمية القدس بالنسبة للأديان الثلاثة يمكننا القول بل الاعتراف أن القدس بل وفلسطين وبلاد الشام بالنسبة للمسلمين إنما هي ميراث ذرية إبراهيم عليه السلام، وقد أعطى الله تعالى هذه الأرض مؤقتا لبني إسرائيل عندما كانت فيهم النبوة والكتاب، ثم أصبحت ميراثا لبني إسماعيل ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

فالعقيدة الإسلامية ترى أن بني إسرائيل جزء من التاريخ الديني للمنطقة، ولكن دورهم قد انقضى وانتهى، ونرى أن الله تعالى قد حقق وعده بأن جعل هذه الأرض ميراثا لذرية إبراهيم، وكانت في نصيب بني إسماعيل لما يقارب 1300 عام، ولم تخرج إلى اليوم من يدهم – وإن كانت قد خرجت مؤقتا لأقل من مئة سنة في زمن الصليبيين– رغم الاحتلال والظروف الخاصة وإن كانت قد سقطت من يدهم سياسيا. فنظرية الإسلام نظرية متكاملة تطابق الواقع ولا تقصي أحدا، بل تعتبر اليهود جزءا من التاريخ الديني المشترك وتثبت أن وعد الله تعالى قد تحقق وما زال متحققا.

8. تتفق النظرة الإسلامية مع المسيحية بكون عيسى بن مريم هو المسيح واجتراحه عجائب وآيات، والعودة في آخر الزمان، وتعتبره نبيا من أولي العزم، وتصفه أيضا بأنه كلمة الله، ولكن العقيدة الإسلامية ترفض فكرة الثالوث، وأن عيسى هو إله متجسد، أو ابن الله أو أنه صلب أو قيامة يسوع، ويذكر القرآن أن عيسى نفسه لم يدع هذه الاشياء، وايضا يشير إلى أن عيسى سينفي ادعائه الالوهية يوم القيامة ويشدد القران ان عيسى بشر فإن مثل كل الانبياء والرسل وانه اختير لينشر رسالة الله، وتحرم النصوص الإلهية إشراك الله مع غيره، وتنص أن توحيد الله هو السبيل الوحيد للنجاة.

9. إن وجود ظاهرة التكتل الصهيوني في العالم وسيطرتهم على مراكز النفوذ في بلاد الغرب و الشرق، ومع ملاحظة توفير ألوان الدعم لإسرائيل والمؤازرة بالمال والسلاح من أمريكا وغيرها لابد من ان يكون للعرب

والمسلمين خطة مدروسة ومنهج واضح، واستراتيجية على المدى القريب والبعيد لمواجهة الأطماع والغطرسة الإسرائيلية على النحو التالي :

10. العمل ما أمكن على منع الاعتراف بإسرائيل دولة وشعبا مقيما في أرض فلسطين المغتصبة، وعلى عدم اقرار اليهود على الاحتلال الغاشم لأن صراعنا مع الصهاينة صراع وجود لا صراع حدود.

11. الاستمرار في تنبيه الحواس العربية –الإسلامية، وايقاظ المشاعر العربية الإسلامية بأن فلسطين والقدس عربية ولابد من العمل على استمرار الحق العربي –الإسلامي فيها.

12. التأكيد على بقاء الشعب الفلسطيني في القدس، ودعم الانتفاضة الفلسطينية بكل الوسائل الممكنة لإحباط الخطة الصهيونية لطرد الشعب الفلسطيني كله من أرضه.

13. ضرورة وضع خطة استراتيجية عربية وإسلامية طويلة الأمد لتحرير القدس وفلسطين كلها وتكوين جيش قوي لمجابهة اسرائيل.

## قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. محمد سعيد العمور، القدس في الشرائع السماوية، مدينة القدس، جامعة الأقصى، 2021.
3. وهبة الزحيلي، مكانة القدس في الأديان السماوية الثلاث، الطبعة الاولى، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا 2001 م 1421 هـ.
4. تميم ابو دقة، مكانة القدس وأهميتها بالنسبة للأديان الثلاثة، بساط احمدي، كتبت المقالة الاصلية بتاريخ 10 من كانون الأول 2017، وتم نلقها للقارئ الكريم لفائدتها في 15 ماي 2018- https://bisatahmadi.com/articles/ .
5. محمود حبلي، على درب الالام المسيحيون و المقدسات المسيحية في القدس، الطبعة الاولي، اصدار قسم الابحاث والمعلومات مؤسسة القدس الدولية، بيروت لبنان، 2016 م-1438 هـ.
6. وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفاء" في 2021/07/05
7. الموسوعة الفلسطينية، القدس – المباني الأثرية والتاريخية المسيحية-، في: 18 سبتمبر, 2014. https://www.palestinapedia.net/ .

# الصرة السلطانية المرسلة إلى القدس الشريف خلال العهد العثماني

- د. بوجلال قدور
- جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، الجزائر

**الملخص:**

تعني كلمة الصرة في اللغة الكيس أو الخرقة التي توضع فيها النقود أما اصطلاحا يقصد بها الهدايا المرسلة إلى مكة والمدينة بمناسبة الحج، هذا وقد استخدمت من قبل العثمانيين لتعني كيس النقود أو المساعدات المالية والعينية التي اعتادت الدولة العثمانية إرسالها إلى مكة والمدينة وبيت المقدس لإعانة القاطنين في هذه المدن المقدسة من سادة وأشراف وأعيان وفقراء بهدف نيل الثواب وكسب قلوب المؤمنين، وللإشارة فقد دخل الحجاز تحت النفوذ العثماني في أوائل القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، حيث حافَظ العثمانيون على الأوضاع السائدة في الحرمين الشريفين، ولا سيَّما الوضع الثقافي والاجتماعي والإداري، كما كان الاهتمام الكبير بالحجاز من السمات التي حافظ عليها كل السلاطين العثمانيين؛ فقد كان الحجاز وما يحويه من أماكن إسلامية مقدسة تابعا للدولة العثمانية، مما أضفى عليه مركزا دينيا مرموقا في جميع أرجاء العالم الإسلامي.

استخدم العثمانيون تعبير "المحمل النبوي" أو "الصرة السلطانية"، حيث كان السلطان يقوم في كل موسم من مواسم الحج بإرسال الهدايا والذخائر الكثيرة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة.وكانت الصرة السلطانية، وهي مخصصات مالية سنوية لأهالي الحرمين الشريفين والأعيان والمشايخ تُرسَل غالبًا مع أمين الصرة، الذي يُشرِف في الوقت نفسه على قافلة الحج الشامي بشكلٍ خاص، وفي معيَّته كثيرٌ من الهدايا القيِّمة والخلع التي تُهْدَى للمشايخ والأمراء والأعيان والأهالي في الحرمين الشريفين، بالإضافة إلى كسوة الكعبة المشرفة وكانت الصرة تُرسَل حتى عام 1126هـ من مصر، ثم بعد هذا التاريخ تحوَّل إرسالها إلى خزينة الحرمين في إستانبول.

كما أن الهدايا والأموال التي ترسل مع المحمل النبوي تنفق على حوائج مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ كتعمير الحرمين الشريفين وترميمهما، وتأمين راحة الحجاج القادمين من مختلف أرجاء العالم. كما توزع معظم الصدقات والتبرعات على فقراء المنطقة، وتقدم الهدايا إلى أمير مكة وأشرافها. فقد كان المحمل يحطّ رحاله في ستين موقعا تقريبا خلال رحلته. ومن ثم يقوم بتأمين حوائج الخانات التي يستريح فيها الحجاج خلال سفرهم إلى بيت الله الحرام، ويقدم المبالغ اللازمة لإصلاح الخانات.

كما شهدت مدينة القدس خلال العهد العثماني اهتماما وإرادة سياسية من طرف سلاطين آل عثمان خصوصا السلطان سليمان القانوني 1520-1566م الذي قام بتفعيل الحركة العمرانية ممثلة في ترميم أسوار المدينة وقبة الصخرة وجدران المسجد الأقصى وأبوابه إلى جانب تشجيعه على تأسيس المؤسسات الخيرية في فلسطين.

وسنحاول في هاته الدراسة تبيان مظاهر اهتمام سلاطين الدولة العثمانية بمدينة القدس الممثلة في تقديمهم لمساعدات مالية لأهلها وبخاصة لأصحاب الوظائف الدينية والمؤسسات الدينية خصوصا المسجد الأقصى وقبة الصخرة والتي أصبحت مساعدات منتظمة يرسلها السلاطين سنويا لأهل المدينة وهو ما عرف باسم الصرة السلطانية وفق خطة عمل هي كالآتي: أولا: مفهوم الصرة السلطانية. ثانيا: مخصصات سكان القدس من الصرة السلطانية. ثالثا: طريقة تسليم الصرة السلطانية بالقدس. رابعا: الفئات السكانية المستفيدة من السرة السلطانية.

**مقدمة:**

كان للصرة السلطانية عنصرا كبيراً في تأمين ركب الحج، بحيث عادت بفائدة على سكان بيت المقدس من سادة وأشراف، وأعيان وفقراء، كما كان لتلك المساعدات المالية والعينية دور في إعانة القاطنين بالمدن المقدسة من كل سنة، حيث كانت الصرة تسد العجز الاقتصادي الذي كان يعترض موسم الحج، ولم يكن اهتمام الدولة العثمانية بإرسال الصرر وليد فترة الضم العثمانيين للمنطقة العربية، وإنما يرجع ذلك إلى فترات مبكرة من ذلك؛ فقد كان هدف العثمانيين هو محاولة التقرب من الله تعالي، ونيل الثواب وأجر، من خلال إرسال الصرة السلطانية، فقد كانت الدولة العثمانية حاملة لراية الإسلام، واعتبرت ذلك واجبا مفروضا عليها.

انطلاق مما سلف: يجدر بنا معرفة الصرة السلطانية ؟ وهل وجدت حصة منها لأهالي مدينة القدس؟ وماهي مراسيم تحضير موكب الصرة السلطانية؟ وما هي العناصر المقدسية التي استفادت من الصرة؟.

**أولا: الصرة العثمانية.**

**1-تعريف الصرة.**

منذ أن دعا سيدنا إبراهيم الخليل دعوته الكريمة، والتي جاءت على لسانه في القرآن الكريم[1]، ومنذ تلك الدعوة الكريمة لم ينقطع اهتمام المسلمين بشؤون الحرمين الشريفين، وذلك ابتداء من عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب واستمر هذا الاهتمام في العصور اللاحقة [2].

أ- **لغة:** من صر أي شرج الدراهم والدنانير، وصرها صرا أي شدها أو ربطها، وأصل الصر الجمع والشد، [3] ويرد بها أيضا ما يصر على الشيء، وهي كلمة عربية تعني كيس النقود، واستخدم للهدية أيضا. وقد أطلقت هذه الكلمة لأول مرة في الدولة العثمانية على الهدايا والنقود، التي كانت ترسل في كل سنة مع موسم الحج، إلى مكة والمدينة المنورة، والقبائل القاطنة على طريق الحج، وذلك بسبب إرسال هذه النقود داخل الأكياس الجلدية المعمولة لهذا الغرض. [4]

(1) - في سورة إبراهيم أية:1- 37

(2)- محمد علي فهيم بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة من 923-1220هـ /1517-1805م، بحث مقدم لنيل درجة التخصص والماجستير في التاريخ والحضارة، (مصر: جامعة الأزهر، 1999م)، ص 2.

(3)-ابن منظور،، لسان العرب، [د.ط]، ( بيروت: دار الصادر، [د.س ])، مج:4، ص452.

(4)- سعد الدين اونال، دفتر المفردات للصرة الهمايونية لعام 1367هـ، ط.1، (تركيا – اسطنبول: دار الأصول العلمية، 1437هـ -2016م)، ص 15.

**ب- اصطلاحا:** لقد أطلقت على المعاملات المالية والتي قدرت بمبلغ خمسين ألف اقجة، [5] أي نصف حمل من المال، كما استخدم في المبالغ المالية التي كانت ترسل من لدن السلاطين العثمانيين، إلى مجاورين مكة المكرمة والمدينة المنورة، من الحكام والسادة والأشراف والأعيان، والفقراء. [6]

وكانت الصرة تتكون من جزأين الأول من الدولة العثمانية، والثاني ما عرف بتوابع الصرة، وهو ما يخصص من الأموال من بعض الحكام وكبار الأعيان والعلماء.[7]

**2-مسميات الصرة العثمانية:**

أطلقت عدة مسميات على الصرة السلطانية التي وردت في مختلف المصادر التاريخية فتنوعت إلى الأسماء التالية:(الصرة الرومية، المبرة الرومية، الذخيرة السلطانية، الذخيرة السنية، الصدقة الرومية، الصداقة الخنكارية).

وجميع هذه الأسماء وردت للدلالة على شيء واحد وهو الصرة العثمانية المرسلة إلى الأماكن المقدسة.[8]

---

(5) - اقجة: وتعنى لغة الضارب أو الضاربة إلى البياض، واصلها مغولية معناها نقد ابيض، وهي قطعة صغيرة من الفضة ضربت لأول مرة في عام 729هـ، في عهد السلطان أورخان، ووزنها خمسة قراريط وثلاث حبات أي = ربع مثقال وبحساب الغرامات اليوم أربعة غرامات و 118مليغراما وعيارها 90% = ثم بدأ الوزن والحجم يتناقصان تدريجيا. ينظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،[د.ط ] (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421 هـ - 2000م)، ص 20.

(6)- سهيل صابان، المرجع نفسه، ص 6.144(

(7)- أسماء جاد الله خصاونة: " الصرة السلطانية المرسلة إلى القدس الشريف دراسة وثائقية من خلال دفتر الصرة رقم 219لعام 1137هـ / 1724م"، مجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م:10، ع: 2، 3، س: 2016م، ص23.

## 3-تاريخ إرسال الصرة إلى فترة إلحاق الحجاز:

يرجع تاريخ إرسال الهبات والعطايا إلى الحرمين الشريفين (في مكة والمدينة) في موسم الحج، إلى العهد العباسي، فقد أرسلت أول صرة نقود للحرمين في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله[9] عام (311 هـ /923م)، وبلغت قيمتها آنذاك 315426 فلوريا[10] كما اهتم الفاطميون بإرسال المساعدات النقدية إلى الحرمين بهدف ربط الحجاز بهم، إذ خصصوا لهما سنويا 120 ألف دينار وفي العهد المملوكي كان الحجاز يعيش على الأوقاف [11] المصرية المحبوسة على فقراء مكة والمدينة، وعلى الحرمين الشريفين. [12]

---

(8)- لمياء أحمد عبد الله شافعي:" الصرة العثمانية الموجهة إلى مكة المكرمة ( 791- 974هـ / 1389-1566م)"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع: 54، س: محرم 1433هـ، ص 419.

(9) - المقتدر بالله:(907-932م) الخليفة الثامن عشر، من خلفاء بني العباس، وهو جعفر بن المعتضد، وكنيته أبو الفضل، أثناء خلافته برزت العديد من الصفات كان أبرزها وأخطرها إسرافه، والتي أضرت ضررا كبيرا على خزينة الدولة، تولى الحكم سنة 907م وقد قتل المقتدر بالله يوم 932م. ينظر: عبد الباقي محمد أحمد كبير، الدولة العباسية في عهد الخليفة المقتدر بالله ( 295هـ -320هـ)، الرسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، ( السودان: الجامعة أم درمان الإسلامية- كلية الأكاديمية، [د.س])، ص ص9، 12؛ ينظر: خالد عزام، موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر العباسي، (الأردن-عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، [د.ط]، 2009م)، ص ص 181، 183.

(10)- فلوريا: عملة ذهبية صكت في فلورنسا. وزنها: 3.53غ من الذهب الخالص. أول صدورها سنة 1252م .

(11)- الوقف: هو الحبس، وفي الشرع حبس الأصل وتسبيل الثمرة؛ أي حبس المال وصرف منافعه في سبيل الله، أما أنواعه هو أحيانا يكون على الأحفاد أو الأقارب، ومن بعدهم إلى الفقراء، ويسمى هذا بالوقف الأهلي، أو الذري وأحيانا يكون الوقف على أبواب الخير ابتداء ويسمى بالوقف الخيري. ينظر: السيد سابق، الفقه، ج:3، [د.ط]، (القاهرة: الفتح للإعلام العربي، [د.س])، ص 259.

(12)- محمد ماجد صلاح الدين الحزماوي: "الصرة السلطانية لعلماء القدس وفقرائها في العهد العثماني ( 1111-1317هـ) (1700-1900م )"، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م:4، ع:4، س: 2010، ص 71.

أما في العهد العثماني فقد حرص السلاطين العثمانيون، على ترتيب وإرسال الصرة الموجهة إلى الحرمين الشريفين مع المحملين الشريفين بشكل منتظم؛ بحيث قام السلطان الغازي يلديرم بايزيد الأول[13] (792هـ / 1390م)، بإرسال الصرة من العاصمة أدرنة[14] مقر السلطنة آنذاك مبلغ مالي قدر حوالي 80.000 ثمانون ألف ذهبا، لتوزيعها على أشراف مكة وساداتها وعلمائها، وخدمة الحرمين الشريفين. وفي عام (816هـ /1413م ) أمر السلطان محمد الأول[15] بإرسال أربعة عشر ألف ذهب إلى الحرمين الشريفين. وفي عهد السلطان المراد الثاني،[16] وقد خصص مال غزير(الصرة) للحرمين الشريفين 3000دينار لأشراف مكة.[17]

(13) - بايزيد الأول: هو رابع سلاطين الدولة العثمانية، والده السلطان مراد الأول، والد سنة 1360م، ارتقى العرش السلطنة 1385م، من أهم أعماله ضم الصرب إلى الدولة العثمانية وفتح بلغاريا و بوسنة وسلانيك ويني شهر وقام بالحصار لمدينة القسطنطينية ولكنه لم يستطع فتحها هزم في معركة أنقرة التي جرت بينه وبين تيمورلنك واسر ومات في الأسر كمدا وحزنا بعد سنة واحدة توفي سنة 1403م. ينظر: أورخان محمد على، روائع: من التاريخ العثماني، ط.1، (مصر: دار الكلمة للنشر والتوزيع، 1429 هـ - 2008م)، ص ص 22، 31.

(14)- محمد الأمين المكي، خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج، ط.2، (القاهرة: دار الأفاق العربية، 1426ه-2005م)، ص29.

(15)- محمد الأول: ( 1413-1421م)، تولى السلطنة بعد صراع مع أخواته، وتمكن من إزالة أثار هزيمة في معركة أنقرة، فعمل على تنظيم الإمارة ولم شملها فأصبحت الإمارة قوية واتخذ أدرنة عاصمة محل بورسة.

(16)- السلطان مراد الثاني: ولد سلطان مراد بن السلطان محمد جلبي سنة 1403م في مدينة أماسيا، اعتلى العرش سنة 1421م بعد وفاة والده بعد 41 يوما شهد الدولة العثمانية، اضطرابات بعد اعتلاءه العرش، بتمرد الأمراء بعد ثلاثة سنوات من حكمه قضي على الاضطرابات الداخلية والحفاظ على أحقيته بالحكم، وكان له دور كبير في توسيع الأراضي العثمانية ولاسيما في الروميلي والذي ساعد محمد الفاتح في فتح القسطنطينية، توفي سنة 1451م. ينظر: علي خليل أحمد: "التوسع العثماني في الروميلي في عهد السلطان مراد الثاني (1421-1451م)"، مجلة كركوك للدراسات الإنسانية: مج:7، ع: 3، س: 2012، ص ص 01، 09.

(17)- محمد بن أبي السرور البكري الصديقي، نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان، تح: سليم أبو جابر، ط.1، ([د،م،ن]: دار الهدى، 1433هـ -2012 م)، ص64.

وفي عام( 855هـ / 1451م)، أرسل السلطان أبو الفتح محمد الثاني، [18] الصرة إلى الحرمين الشريفين؛ برتيب الصرة من ماله الخاص، وإرسالها إلى الحرمين الشريفين.[19] وذلك بعد فتح القسطنطينية إذا أرسل برسول ليحمل بشرى الفتح مع رسالة إلى شريف مكة ومبلغ مالي قدر 7000قطعة ذهبية ليوزعها على أهالي مكة. [20]

أما السلطان بايزيد الثاني [21] فقد تمثلت محبته لسكان المدينتين المقدستين، في ترتيب الصر لهم في كل عام وفي تخصيص أربعة عشر ألف دينار لفقهاء مكة والمدينة.[22]

---

(18)- السلطان محمد الثاني: (1451-1481م) ولد السلطان محمد الفاتح 20 ابريل 1429م في أدرنة، تعد فترة حكمه من أهم الفترات في تاريخ العلاقات السياسية والحربية، ما بين الشرق والغرب، ولا تنحصر أهمية أعمال الفاتح في فتح القسطنطينية فحسب؛ بل في أوروبا وبخاصة في الجزء الجنوبي الشرقي، استطاع توطيد السيادة العثمانية فيها بعد أن كانت مزعزعة، وفي آسيا فقد قضى السلطان الفاتح على البقية من الإمارات والقلاع وجعها =تحت سيادة العثمانية خالصة، واشتهر محمد الفاتح بقانون نامه سي أي دستور فاتح، والذي بقيت مبادئه الأساسية المفعول في الدولة العثمانية، حتى عام ( 1839م ) توفي محمد الفاتح في 1429م، بحيث قام طبيب يهودي اسمه يعقوب باشا بتسميمه عندما كان يريد فتح ايطاليا. ينظر: سالم الرشيدي، محمد الفاتح، ط.2، (مصر: دار البشير للثقافة، 2013م)، ص 05؛ ينظر: عبد السلام عبد العزيز فهمي، السلطان محمد الفاتح: فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، ط.5، ( دمشق: دار القلم، 1413هـ - 1993م)، ص 31.

(19)- محمد الأمين المكي، المرجع السابق، ص19.29(

(20)- عماد عبد العزيز يوسف، الحجاز في العهد العثماني ( 1876-1916م )، رسالة مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، (الموصل: كلية الآداب جامعة، السنة الجامعية، 1426هـ - 2005م)، ص13.

(21)- بايزيد الثاني: هو بايزيد بن محمد الثاني، وهو ثامن سلاطين بني عثمان، ولد عام ( 851هـ-1446م )، تولى الحكم السنة ( 886هـ - 1481م )، وعمره 35 سنة، عرف بطبعه الرقيق والمسالم، توفي سنة ( 918ه - 1512م ) عن عمر يناهز 67 سنة، دامت فترة حكمه 32 سنة، ينظر: عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى ألان، ط.1، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014م)، ص ص 55، 57.

(22)- محمد هزاع الشهرى، المسجد النبوي الشريف: في العصر العثماني ( 923-1344هـ) دراسة معمارية حضارية، [د.ط]، (مصر: دار القاهرة للكتاب، 2003م)، ص 17.

## ثانيا: أنواع الصرر العثمانية المرسلة إلى القدس الشريف

لقد تعددت الصرر العثمانية المرسلة إلى أهالي مدينة القدس الشريف والحرمين الشريفين في كل سنة بمختلف المسميات و الأنواع والتي كانت على النحو الآتي:

### 1-الصرة الرومية: [23]

حرص السلاطين العثمانيون، على إرسال الصرة الرومية، إلى أهالي القدس والحرمين الشريفين قبل دخولهم مصر، وأول من خصصها من آل عثمان، هو السلطان محمد بن بايزيد الأول، ثم خلفه ابنه السلطان مراد بن محمد خان، وجاء بعد السلطان بايزيد بن محمد خان، بحيث حرص هؤلاء السلاطين، على تخصيص مبالغ مالية للحرمين الشريفين؛ بحيث كانت توزع على فقراء مكة والمدينة المنورة، ولما آل الأمر إلى السلطان سليم الأول، أرسل الصدقات الرومية، أضعاف ما أرسلها أبوه، وجعل لها دفترا فيه العطايا. [24] وقد قرر السلطان سليم الأول أن ترسل هذه الصرة من مصر، وكانت الخزينة

(23)- الرومية: سميت برومية تمييزا لها عن الصرر الأخرى، مثل الذخيرة وهي صدقة كان يرسلها المماليك الجراكسة فأبقاها السلطان سليم على حالها، وكذلك الصر الحكمي أي المتحصل من الأوقاف، التي كان يوقفها السلاطين منذ عصر المماليك، كما خصص السلطان سليم الأول، صدقة الحب لأهل الحرمين، وقد ضاعفها السلطان سليمان، وزاد فجعل وقفا على ذلك. ينظر: محمد على فهيم بيومي، المخصصات...، المرجع السابق، ص 107؛ عزة بنت عبد الرحيم بن محمد شاهين، المرجع السابق، ص 229؛ علي بن عبد القادر الطبري، الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تح: أشراف احمد الجمال، ط.1، (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، 1416 هـ - 1996م)، ص 201.

(24)- محمد على فهيم بيومي، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني (963هـ -1220هـ /1517-1805م )، [د.ط]، (مصر: دار القاهرة، 1426هـ -2006م)، ص177، 178.

تطلق فيما بعد مسمى الصرة الرومية، على جميع إيرادات أوقاف السلاطين العثمانيين، وباشوات، وأهالي مصر على الحرمين.

وهكذا شملت الصرة الرومية الأوقاف عدد كبير من أوقاف السلاطين، والباشوات، والأمراء، مثل الدشيشة الكبرى[25] والمرادية[26] والأحمدية[27] والخاصكية[28] والحرمين وغيرها. ولقد عرفت الإيرادات المحصلة من هذه الأوقاف الثلاثة، ومن وقف الدشيشة، باسم الصرة الرومية، أي التركية وذلك تمييزا لها من الصرة المرسلة من مصاريف خزينة مصرية وهي التي عرفت بالصرة الإرسالية. وتشمل الصرة الرومية الأموال النقدية والغلال المتحصلة من الأوقاف السلطانية، وتسلم إلى أمير الحاج سنويا، منفصلة عن باقي مخصصات الحرمين.

## 2-صرة دار السعادة: [29]

(25)- الدشيشة الكبرى: نسبة إلى القرى العائدة لأوقاف الحرمين الشريفين، في مصر تسمى الدشيشة، وهي في الأساس كلمة تطلق على ( الحنطة المنظفة )، وفي الحجاز يطلق على حساء المطبوخ دشيشة. ينظر: علياء بنت فياض أحمد الفياض،أوقاف المسجد الحرام بمكة المكرمة، تنظيمها وإدارتها في العهد العثماني: ( 1838-1918م)، رسالة علمية مقدمة استكمال المتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث، (جامعة الملك سعود: العربية السعودية المملكة، السنة الجامعية 1430هـ - 2009م)، ص 19.

(26)- المرادية: أوقفه السلطان مراد الثالث ( 1574-1595م)، وهو وقف ضخم ضمن مساحات في إحدى وعشرين قرية، من قرى المصرية.

(27) - وقف الأحمدية: أنشأ هذا الوقف السلطان أحمد الثاني، ولم يكن له لهذا الوقف ريع عيني من الغلال والحبوب.

(28) - الخاصكية: وهي نوعان الخاصكية الكبرى، أوقفته السيدة والدة السلطان سليم الثاني، وزوجة السلطان سليمان القانوني، وقف الخاصكية الصغرى، وقد أوقفته السيدة عائشة والدة السلطان مراد ابن احمد سنة 1626م، وعرف هذا الوقف بالخاصكية الصغرى، لصغر حجمه.

(29)- دار السعادة: أطلقت على دار الحكم، وقصد به استانبول، لأنها كانت قصرا للحكم العثماني. وقد سميت به بعض قصور السلاطين أيضا. كما أطلق كذلك على جناح الحريم في قصر طوب قابي باستانبول. ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 108.

ألزمت السلطنة العثمانية نفسها بإرسال صرة نقدية إلى أهالي الحرمين الشريفين، وأهالي القدس في كل عام، و تعرف بصرة دار السعادة، ومقدارها 60288 قطعة ذهبية، أي 5072166 بارة، [30] كانت ترسل من اسطنبول في كل عام.

غير أنه في سنة 1669م، ولدوافع أمنية تقرر أن ترسل هذه الصرة من مصر، بدلا من إرسالها من اسطنبول، على أن يقوم أمير الحج الشامي، بتوصيلها إلى الحجاز، فكان على الولاة في مصر، أن يرسلوا في 15 رمضان من كل عام موكب خاصا، تحت قيادة احد الأمراء لتوصيل هذه الصرة إلى دمشق، ولكن هذا الوضع لم يستمر، إذ ورد أمر سلطاني في عام 1687م، بأن ترسل صحبة أمير الحج المصري، وفي عام 1714م، تقرر أن ترسل تلك الصرة كل عام إلى السلطان صحبة الخزينة الإرسالية، لترسل إلى الحرمين الشريفين. وتم تقسيمها على الشكل التالي:

1578460 بارة لأهالي مكة.

3804560 بارة لأهالي المدينة.

355040 بارة لأهالي القدس.

3050 بارة مصروفات نقل الصرة. [31]

(30)- باره: بمعنى قطعة أو جزء في الفارسية، وهي عملة عثمانية، سكت للمرة الأولى في عهده السلطان مراد الرابع. ينظر: حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ط.1، (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 1425هـ - 2004م)، ص27.

(31)- عزة بنت عبد الرحيم بن محمد شاهين، المرجع السابق، ص 129.

### 3-صرة الخزينة الإرسالية: [32]

بالإضافة إلى ما سبق فإن الدولة العثمانية، ساهمت بمجموعة من الأموال لدعم الحرمين الشريفين وأهالي مدينة القدس الشريف، وكانت هذه الأموال ترسل من الخزينة المصرية.[33] بحيث كانت مصر مصدرا غنيا بالمؤن للخلافة العثمانية، فقد كانت مصر تدفع إرسالية مالية سنوية لاستانبول، عرفت باسم إرسالية الخزينة، والتي فاقت قيمتها إرساليات ولايات الأخرى.[34] وتعتبر الصرة الإرسالية الفائض من واردات مصر على مصروفاتها، وكان من المقرر إرسالها سنويا من مصر إلى استانبول، ويشار إليها باسم الخزينة الإرسالية إلى الأبواب الشريفة الخنكارية. وقد بلغت تلك الصرة في عام 1695م مبلغ 5132070 بارة، وظل هذا المبلغ في ارتفاع مستمر.

وفي أواخر القرن الثامن عشر وصل إلى 15981220 بارة، ويسلم مبلغ الصرة إلى الحرمين نقدا، إلى أمير الحج في بركة الحاج قبل رحيله إلى مكة، وتؤخذ عليه حجة بتسلمه هذه الصرة، ويوم تسليم الصرة الشريفة الإرسالية إلى أمير الحاج، يعقد للديوان العالي بخيمة أمير الحاج في بركة قبل رحيله بيومين، ويحضر هذا الاجتماع الباشا وعديد من الموظفين مثل كاتب الصرة الشريفة، وصراف المرسل إلى أهالي الحرمين الشريفين، بحيث يقوم بتوزيع

(32)- ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص21.
(33)- محمد على فهيم بيومي، المرجع السابق، ص ص 115، 116.
(34)- جين هاثواى، سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية، تر: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط.1، ( مصر: المجلس الأعلى للثقافة، 2003م)، ص 38.

الصرة فما هو مخصص الأهالي مكة، وما هو مخصص لأهالي المدينة، ويوضح أيضا الجزء المخصص لأعيان وفقراء مدينة القدس كمرتبات، ومعاشات للأشراف، ولبعض العربان، ويعلن أمير الحاج في هذا الاجتماع تسلمه مبلغ الصرة الشريفة الإرسالية، وتعهده بحمله، وصرفه، وتسليمه لمن له ولاية تسلمه، وإن عليه إحضار ما يشهد له بإنفاق المبلغ كما هو مقرر في السجلات. [35]

**4-صرة الجوالي:** [36]

ظهرت مع السلطان سليمان القانوني، كان لسكان بيت المقدس نصيب من هاته الصرة الجوالي، كما كانت على المجاورين والوافدين والنزلاء ممن شغلوا ببعض الوظائف في الحجاز، أو أعوزتهم الحاجة فيه. وبعد السلطان سليمان القانوني أضاف أهل الخير من السلاطين وغيرهم نفقات عظيمة لهذه الصرة.، وأيضا الصرف على رجال الحركة الصوفية، والأشراف.[37]

**5-صرة العربان:**

كانت الدولة العثمانية تقدم صرة مالية عرفت بصرة العربان، للعشائر البدوية التي كانت تقيم على الطريق من الشام حتى الحرمين الشريفين،

(35) - الشيخ أحمد الرشيدى، المصدر السابق، ص ص 22. 25.
(36)- الجوالي: تعبير اصطلح استخدامه في سوريا والعراق ومصر للدلالة على الجزية من أهل الذمة المقررة في كل سنة. كما كان يطلق على الرسوم التي يتم تحصيلها من الجماعات المقيمة فيها، وقيل هي جمع جالية ويقصد بها غير المسلمين. ينظر: سهيل صبان، المرجع السابق، ص ص 87، 88. ينظر:أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج:3،[د.ط]، (مصر: المطبعة الأميرية، 1332هـ- 1914م)، ص 462.
(37)-محمد علي فيهم بيومي، دور مصر ...، المرجع السابق، ص 183.

لاستمالتها وضمان ولائها وعدم تعرضها لقافلة الصرة لدى مرورها بالأراضي التي تسيطر عليها تلك العشائر، [38] ولا يستبعد أن القبائل الفلسطينية المجاورة لبيت المقدس قد استفادت من هاته الصرة، علاوة على ذلك فإن العربان كانوا يعرفون المواقع الريفية والصحراء، وأماكن الخطر ويرشدون القوافل إلى الطريق ليصل الحجاج إلى بيت الله الحرام بأمان، وبذلك كان يجد الحجاج الفرصة لمتابعة سيرهم دون مخاطر والتعاون في هذا المجال كان يتكرر كل سنة، [39] وقد بلغ مقدار الصرة المالية التي قدمت لتلك العشائر أوائل القرن الثامن عشر الميلادي 20 ألف قرش[40] سنويا [41].

**ثالثا: مراسيم الصرة السلطانية ومشاركة أبناء العائلات المقدسية فيها:**

**1-موكب الصرة السلطانية:**

تولى بعض أبناء العائلات المقدسية وظيفة أمين الصرة ونخص بالذكر الشيخ يحي الفتياني والشيخ عبد الله الداودي، حيث اعتادت الدولة العثمانية أن تبعث في شهر رجب من كل سنة وقبيل نهاية القرن 19م، في شهر شعبان، من استانبول[42] إلى الحرمين الشريفين مبلغا من المال، وكمية من الهدايا تحت

(38)- محمد صلاح الدين الحزماوي، المرجع السابق، ص ص 76- 77 .
(39)- مصطفى بلكه، دفتر الصرة العثمانية الشريفية: المخصصة لأهالي المدينة المنورة عن أوقاف المرحومة والمغفور لها صفية سلطان ام المرحوم والمغفور له السلطان محمد خان الثالث – طيب الله ثراهما – في استانبول، عن واجب سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف هجرية، دار الأصول العلمية، ط.1، (تركيا – اسطنبول،1437هـ-2016م)، ص14 .
(40)-قرش: الاسم أطلق على المسكوكات الأجنبية المستعملة، أو المتداولة في الدولة العثمانية بوجه عام. ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 178.
(41)- محمد صلاح الدين الحزماوي، المرجع السابق، ص ص 76- 77.
(42) – ينظر: حسين مجيب المصري، المرجع السابق، ص ص 24، 25.

مسمى الصرة، وأطلقت على الموظف المكلف بتوزيعها لقب[43] أمين الصرة، [44]حتى سنة (1126هـ / 1714م)، كانت الصرة ترسل من مصر، وبعد هذا التاريخ صدر أمر بإرسالها من خزينة الحرمين الشريفين في اسطنبول.[45]

خلال السنوات المعتاد إرسال الصرة فيها عن طريق البر، كانت تعد المذكرات والدعوات من طرف آغا دار السعادة[46] إلى الدفتردار، [47]ورئيس الكتاب، والنيشانجي[48] من أجل إعداد الصرة المعتاد إخراجها سنويا من استانبول في 12 من شهر رجب [49]ولما كان موكب الصرة يعبر البوسفور[50]

(43)- أوليا جلبي، الرحلة الحجازية، تر:الصفصافي أحمد المرسى، [د.ط]، (القاهرة: دار الأفاق العربية، 1999م)، ص 46.

(44)- أمين الصرة: حامل الأموال الخاصة بالحرمين الشريفين. يشترط فيه التدين، والصدق، والخلق الرفيع. ينظر: محمود عامر: "المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، مجلة دراسات، ع:117،118، س: جوان 2012، ص 364؛ ينظر : محمد ماجد صلاح الدين الحزماوي، المرجع السابق، ص 73.

(45)- إسماعيل حقي جارشلي، إشراف مكة المكرمة : وأمرائها في العهد العثماني، تر: خليل علي مراد، ط.1، (بيروت –لبنان: الدار العربية للموسوعات، 1424هـ - 2003م)، ص 73.

(46)- آغا دار السعادة: وهو أكبر موظفي القصر الهمايوني ويعرف باسم أغا البنات "قيزلر أغا سي" وكان لأغوات دار السعادة نظارة أوقاف الحرمين الشريفين، ابتداء من 1587م، وكان مشرف على خزانة أوقاف الحرمين، والمشرف على الصرر المرسلة إلى مكة والى المدينة القدس. ينظر: مصطفى بركات، المرجع السابق، ص ص 183، 184.

(47)-الدفتر دار: معناها ممسك الدفتر، المشرف على الأمور المالية في كل ولاية، ثم أطلق لقب دفتردار على وزير المالية، المركزي بالقسطنطينية وهو اكبر منصب للشؤون المالية في الدولة العثمانية. ينظر: محمد احمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية : في العصر المملوكي، ط.1، (بيروت – لبنان: دار الفكر المعاصر، 1410هـ -1990م)، ص 76؛ ينظر: سهيل صبان، المرجع السابق، ص 114.

(48)- النشنجي: نشأت وظيفة النشانجي في عهد السلطان محمد الفاتح بعد فتح القسطنطينية وتعني شارة. وكانت وظيفته الأساسية هي رسم الطغراء على الوثائق الرسمية بمختلف أنواعها. ينظر: ناهد إبراهيم دسوقي، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية واثر الغرب الأوروبي فيها (1789-1807م )، [د.ط]، (الإسكندرية، الناشر منشأة المعارف جلال حزى وشركاه، 2006م)، ص185.

(49)- أوليا جلبي، الرحلة...، المصدر السابق، ص46.

فإن مذكرة أخرى كانت ترسل إلى قائدة الأسطول قبطان باشي[51] لتهيئة سفينة لهذا الغرض. وفي يوم الموكب يحضر المدعووين إلى السراي، ويجلسون في قاعة كاتب آغا دار السعادة التي أعدت في الديوان، [52] وعقب وصول خلال هذه المدة يقوم كاتب الأغا، ومفتش الحرمين بختم دفاتر الصرة الهمايونية التي أعدت، ثم يوقعها الدفتر دار بتوقيعه، ثم يقوم النيشانجي بوضع الطغراء [53] السلطاني على الدفاتر وما أن تنتهي هذه الأعمال حتى يعود الدفتردار، ورئيس الكتاب والنيشانجى، ويسلمونها إلى آغا دار السعادة الذي يتوجه بها إلى الاندرون[54] الداخل. [55]

---

(50)- البُوسفور: مضيق يصل ما بين البحر الأسود وبحر مرمرة في تركيا. والبوسفور وهو . ويبلغ طول المضيق 30كم وبعرض يتراوح ما بين 0,8 و 3كم. ينظر :مهدي محمد الشويخات وآخرون، المرجع السابق، موسوعة الالكترونية؛ ينظر: عبد الحكيم العفيفي، موسوعة 1000مدينة إسلامية، ط.1، (بيروت-لبنان: اوراقترقية للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ-2000م)، ص137.

(51)- قبطان باشي: أعلى رتبة في الأسطول العثماني، وقد تطور هذا مصطلح بحيث كان يسمى بريس وكذلك اطلق على القادة الأجانب العاملين في خدمة الدولة العثمانية، وكان القبطان باشا عضو في الديوان السلطاني، يحضر جلسات الديوان، ما لم يكن غائبا لقيادة الأسطول في المعارك، في أيام الجمعة. ينظر :حسين مجيب المصري، المرجع السابق، ص 107.

(52)-الديوان: وهو المجلس الذي كان مخولا بأعلى السلطات في النظام الدولة العثمانية، أثناء قيامها وفي دور نهضتها، ورمزا على تفوق العثمانيين في الشئون الإدارية، وقد عرفه المسلمون منذ عهد الخليفة الراشد أيام عمر بن خطاب رضي الله عنه، واستمر تشكيله في كافة الدول الإسلامية ليقوم بمهام عديدة، كما استخدمه العثمانيون أيضا على امتداد تاريخيهم ينظر: إكمال الدين إحسان اوغلى، الدولة العثمانية : تاريخ وحضارة، تر: صالح سعدواي، ج:1،[د.ط]، (استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1999م)، .ص 170.

(53)- طغرا: توقيع السلاطين العثماني وهى كلمة التركية( توغرول)، أي الصقر وهذا التوقيع يشبه في رسمه هذا الصقر، وكان يوقع به على أنه توقيع للسلطان، على الفرمانات والبراءات والقوانين والمسكوكات، والقرارات الرسمية كلها، ويقصد بها طغراء في الفارسية نشان، وفي العربية توقيع وأول من وقع بالطغراء من العثمانيين هو اورخان بك. ينظر: حسين مجيب المصري، المرجع السابق، ص ص 84، 85.

(54)- اندرون: يعني القسم الداخلي من أبواب قصر طوب قابي، وبخاصة قسم السعادة، ويشمل غرفة العرض – الخزينة والمستودعات. ينظر: محمود عامر، المرجع السابق، ص364.

وبعد ذلك يقدم الطعام إلى الأئمة، والشيوخ المدعوين ومجموعة الحرمين كذا وأمين الصرة. وبعد الانتهاء من الطعام تذهب هيئة مراسيم الصرة، إلى الخيمة المنصوبة في ميدان المراسيم مقابل قبة ألتي في انتظار خروج السلطان. [56] وكان السلطان يخرج من باب السعادة[57] ممتطيا ظهر جواده بين تهليل جاوشية[58] الديوان الهمايوني، وينزل أمام قبة ألتي، ويجلس مكان النيشانجي[59] وخلال هذه اللحظات، يقوم كبير معلمي الأمراء بحمل الكتاب السلطاني، وأغوات الحرامين الشريفين، بحمل أكياس الصرة فتتم عملية حساب محتويات الأكياس أمام السلطان، وتسجيلها في الدفاتر التي توضع في الأظرف، وتختم بالشمع، وتوضع داخل العلب الاسطوانية المعدنية ثم يعود آغوات الحرم. [60]

في هذه الآونة يأخذ اغادار السعادة الكتاب السلطاني، الذي جلبه كبير المعلمين ويسلمه إلى السلحدار آغا[61] الواقف قرب السلطان ويقوم هذا بدوره

(55)- أوليا جلبي، الرحلة...، المصدر السابق، ص ص 46، 47.
(56)- ينظر: حسين مجيب المصري، المرجع السابق، ص 74.ينظر: مصطفى بركات، المرجع السابق، ص ص 34، 35.
(57)- باب السعادة: وهو الباب الثالث بالاندرون، وهو يفصل بين الاندرون (القسم الداخلي) والبيرون ( القسم الخارجي) ثم أصبح يعرف بباب المابين لتوسطه ما بين الباب الهمايوني مقر السلطان وباب عالي مقر الصدر الأعظم. ينظر : محمود عامر، المرجع السابق، ص 366.
(58)- جاوشية: كان للجاويش عند العثمانيين استعمالان، الأول مدني ويعني الموظفين الذين يتكون منهم العاملون في إدارات القصر السلطاني على اختلافها، والثاني عسكري ويعني عندهم العسكريين من الرتب الصغيرة. ينظر: مصطفى بركات، المرجع السابق، ص 188.
(59)- إسماعيل حقي جارشلي، المصدر السابق، ص 75.
(60)-عماد عبد العزيز يوسف، المرجع السابق، ص 15
(61)- سلاحدار: مدير موظفي الغرفة الخاصة، كان يحمل سيف السلطان على كتفه في المراسم الخاصة، ويمشي وراءه. ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 134.

بتقديمه إلى السلطان، ثم يسلم الكتاب السلطاني ثانية مع دفاتر الصرة وأكياس الصرة، إلى اغادار السعادة بعد ختمها بختم السلطان.[62]

وبينما آغا دار السعادة، وآغوات الحرم يتجهون بها نحو الخيمة الرئيسية، يستقبلهم أمين الصرة، ويكون في هذه اللحظات قد ارتدى، هو ورئيس السقاة خلعتيها فتسلم إليه الرسالة السلطانية، ويتم استعراض أكياس نقود الصرة أمام الخيمة، وخلال هذه اللحظة أيضا، يتم إلباس اثنين من المبشرين الخلع الخاص بهم.[63] بعد أن يتم كل هذا يدعى أغادار السعادة إلى حضرة السلطان، حيث يخلع عليه بلباس من الفرو. ثم يبدأ المشرف على الإسطبل الخاص بالدوران بالجمل الذي يحمل المحمل الشريف، كما يقوم رئيس الجمالين بالدوران ببقية الجمال المرافقة للموكب، [64] ويقوم بالطواف أمام الحضور مرتين بالجمل، ثم يقوم بتسليم المقود إلى أمين الصرة،[65] ويقوم بالذهب إلى الاغا السقاء ثم يتجه ناحية القبلة، ويسير بضع خطوات تجاه السلطان، ليقدم فرائض الشكر للسلطان، [66] وأثناء ذلك يقرأ المؤذنون المدائح النبوية وترفع الدعوات.[67] عقب ذلك، يتوجه آغا دار السعادة، ومعه موظفو الأوقاف، ويسيرون أمام الجمل الذي يحمل المحمل حتى يكونوا في مقدمة الموكب، ويخرجون من

(62)- إسماعيل حقي جارشلي، المصدر السابق، ص 76.
(63)- أوليا جلبي، الرحلة...، المصدر السابق، ص ص 47، 48.
(64)- إسماعيل حقي جارشلي، المصدر السابق، ص 77.
(65) - ينظر ملحق رقم 07-08.
(66)- أوليا جلبي، الرحلة...، المصدر، ص 48.
(67)- إسماعيل حقي جارشلي، المصدر السابق، ص 77.

البوابة الوسطى، ويتابعون السير مع الموكب، حتى باب الهمايون[68] وبعد الدعاء بسلامة الوصول، يعود آغوات، دار السعادة، ومعتمد السراي، ورئيس الخزينة الهمايونية[69] إلى الداخل ثم يخرجون من باب الهمايون إيذانا بالانصراف[70] وبعد انتهاء مراسيم موكب الصرة السلطانية، يتجه موكب الصرة من موقع باب الحديقة إلى اسكلة[71] كرج، و يتم عبور الموكب وسط الدعاء إلى جانب اسكودار[72] بواسطة سفينة. وعند وصول موكب الصرة إلى اسكلة، ترفع الزينة من على الجمال وتعاد الجمال إلى السراي، في حين يعبر أمين الصرة صحبة موكب إلى جانب اسكودار. ولقد كان وجود الجمل في مقدمة موكب الصرة بمثابة تذكير لارتحال النبي عليه الصلاة والسلام في سفره وتجواله على الجمل.[73]

وبعد الابتهالات، والدعوات الصالحات، تنقل المعدات المحمل، وكتيبة الموكب إلى اسكدار يمكث أمين الصرة مدة في اسكدار لاستكمال نواقصه، ثم

(68)- باب الهمايون: أحد بوابات قصر طوبي قابي الذي أنشأه السلطان محمد الفاتح، ويقع على السور السلطاني، الذي يفصل بين القصر والمدينة المواجه لاياصوفيا وكان يطلق عليه كذلك باب السلطنة، وهو آخر أقسام القصر من حيث البناء الذي تم في 1478م. ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 51.

(69)- ينظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 98.

(70)- أوليا جلبي، الرحلة ...، المصدر السابق، ص 48.

(71)- اسكلة : وهي كلمة أجنبية تعنى المرفأ .ينظر: محمد فريد بك المحامي، المرجع السابق، ص 347.

(72)-اسكدار: منطقة في الدولة العثمانية، على جناح الأسيوية ( الأناضول )، على البسفور عند منحدر على شكل مدرجات مقابل القسطنطينية. فيها مساجد جميلة، ومقبرة عثمانية كبيرة. ينظر: س. موستراس، المعجم الجغرافي : للإمبراطورية العثمانية، تر: عصام محمد الشحادات، ط.1، (بيروت – لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1423هـ - 2002م)، ص 66.

(73)- إسماعيل حقي جارشلي، المصدر السابق، ص ص 78، 80.

يستأذن بالتحرك وبعد السماح والإذن من السلطان، تتحرك القافلة من اسكدار حتى تصل إلى الشام، تلقى القافلة احتراما، ومساعدة وعونا وحفاظا على سلامتها وأمنها من سائر الوزراء والأمراء والقواد، وقادة الصناجق والقضاة والمعتمدين وقادة الانكشارية، ورجالات الولايات التي تمر بها وذلك عقب تلقيهم الأوامر، والرسائل والأحكام التي تبعث إليهم بهذا الصدد وتأمرهم بتأمين سلامة الصرة وأمينها، وقافلة الحجاج حتى تصل إلى الشام.[74]

ولأجل حماية الصرة لحين وصولها إلى الشام، كانت الدولة ترسل أوامر إلى كل الوزراء، والسنجق والقضاة ومساعدي الولاة وقادة الانكشارية وغيرهم، من ذوي العلاقة في الولايات التي يمر بها الموكب من اسكودار، إلى الشام تطلب تأمين سلامة الصرة والحجاج الذاهبين معها. [75]وينضم إلى القافلة كل الحجاج الذين يتوجهون إلى الحجاز، لإيفاء فريضة الحج، وهكذا تتحرك الصرة، والقافلة من أضنة[76] إلى حماه، [77] وتسير القافلة على هذا المنوال إلى والي الشام في دمشق وقبل أن يتحرك أمين الصرة، وقافلة الحج من الشام

(74)- أوليا جلبي، الرحلة ...، المصدر السابق، ص ص 48، 49.
(75)- إسماعيل حقي جارشلي، المصدر السابق، ص 81.
(76)- اضنة: مدينة بجنوب تركيا على ضفة اليسرى لنهر سيهان، تعتبر رابع مدينة تركيا حجما ومركز تجاري هام ازدهرت إبان الحكم الروماني والبيزنطي، احتللها القوات المصرية (1832-1840م).
(77)- حماه: مدينة في سورية، مركز اللواء الذي يحمل الاسم نفسه، في ولاية دمشق، على نهر العاصي، يسكنها حوالي 40.000 نسمة.

بيوم واحد، يشترك مؤذنو الجامع الأموي، وكل الجنود والأهالي مع القافلة، ويتوجهون جميعا وسط التكبيرات، والتهليلات.[78]

إلى حيث لواء السعادة المحفوظ بجوار مقام الصحابي أبي الدرداء، مع العلم السلطاني المحفوظ بجوار مقام أبي الدرداء في قلعة الشام، إلى مقر الحكومة سراي دمشق – المترجم، ويرسلون في اليوم التالي إلى مكة المكرمة مع قافلة الشام، التي يقودها والي الشام والذي هو أمير الحج في الوقت نفسه، وكان أمير مكة المكرمة يستقبل القافلة في مداين صالح،[79] أو المدينة المنورة أو في محل ما على الطريق ويأتي معها إلى مكة المكرمة.[80] اعتبارا من الشام كانت قافلة الحج سواء في الذهاب أو الإياب، تسير وفق نظام ونسق معين مع قواتها ومدافعها، ولا يمكن أن يسمح باي خلل من القائمين أو المنضمين إلى القافلة أو من مستقبليها.[81]

**2- مصادر الصرة السلطانية:**

حرصت الدولة العثمانية على إرسال الصرة السلطانية في كل سنة إلى أهالي القدس، والتي جمعت أموالها على الغالب من المصادر الأساسية وهي:

(78)- أوليا جلبي، الرحلة ...المصدر السابق، ينظر: موستراس، المرجع السابق، ص49.
(79)- مداين صالح : ويطلق عليها قرى صالح أو الحجر، وهي عبارة عن هضاب رملية وبيوت منحوت في الصخر على قمم الجبال. وتقع شمال غرب المملكة العربية السعودية بين المدينة المنورة وتبوك على بعد 18 كلمتر، من مدينة العلا .ينظر: أيوب صبري باشا، المرجع السابق، ص176؛ ينظر: أحمد مهدي محمد الشويخات وآخرون، الموسوعة الالكترونية.
(80)- إسماعيل حقي جارشلي، المصدر السابق، ص 82.
(81)- أوليا جلبي، الرحلة...، المصدر السابق، ص 50.

- أموال تخصص من خزينة الدولة: سواء من اسطنبول أو من خزينة مصر، وتصرف باسم مستحقات المدن المقدسة. (82)
- قسم من عطايا السلاطين العثمانيين، حيث كانت هذه العادة سارية منذ بدايات ظهور العثمانيين، على مسرح التاريخ؛ بحيث ربطتهم علاقة طيبة مع أمراء الحجاز، وقد استمر ذلك إلى أيام المماليك لأن العثمانيين، دخلوا إلى أوربا بالفتوحات وجمعوا أموالا كثيرة من البلدان الجديدة، والتي شملت الغنائم والجزية فكانوا يرسلون هذه الأموال إلى الحجاز، بقصد أن ينالوا الثواب عند الله تعالى وخدمة للمسلمين. (83)

**3- تسليم صرة القدس وتوزيعها على مستحقيها:**

تشير الدراسات أن صرة أهالي القدس كانت تأتي رفقة صرة الحرمين الشريفين مع أمين الصرة، حيث أنه لما يصل أمين الصرة إلى دمشق يرسلها صحبة أمين من طرفه أو يأتي بنفسه ويقوم بتوزيعها على مستحقيها في المحكمة الشرعية بحضور القاضي الشرعي. وكل هذا كان يجري بعد تسليم أموال الصرة إلى مستحقيها في الحرمين الشريفين بمكة والمدينة بداية شهر ذي الحجة. (84) كانت مبالغ صرة القدس توزع على قائمة تتضمن أسماء المستحقين: قائمة خاصة بفراشة قبة الصخرة. وأخرى خاصة بأصحاب مختلف الوظائف في المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وكانت القائمة تبدأ بمشايخ الحرم

(82)- لمياء احمد عبد الله شافعي، المرجع السابق، ص 434.
(83)- مصطفى بلكه، المرجع السابق، ص ص 14، 18.
(84)- خليفة حماش، المرجع السابق، ص 524.

وخطباء المسجد الأقصى وقبة الصخرة والأئمة فيهما والمفسرين والمؤذنين وقراء القرآن الكريم، وبعده بوابي الحرم الشريف وجماعة الكتاب وجماعة جباة الوقف ونساء بيت المقدس.

وكانت أسماء المستحقين تسجل في القوائم ضمن خانات متتالية، في شكل عمود واحد بعد الأخرى، ولم تكن المبالغ توزع في القوائم توزيعا متساويا، بل تراعى فيه أمور مختلفة، مثل الأحوال الاجتماعية للشخص المسجل من جهة ثم المكانة السياسية إذا كان من رجال الإدارة من جهة ثانية.[85]

**خاتمة:**

ساهمت الصرة السلطانية في دفع مرتبات الموظفين بالقدس الشريف، بالإضافة إلى مخصصات الفقراء، بالإضافة إلى توزيعها على الأيتام، والمتقاعدين، والمجاورين، والفراشين، وموظفي المساجد من المؤذنين والأئمة والعلماء وطلاب العلم في المدارس والأربطة هذا، بالإضافة إلى الصرف على التكايا، كما خصص عدد من الواقفين، إضافة إلى أموال بعض السلع العينية كالزيت والقناديل وغيرها بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة.

كما أسهمت الصرة السلطانية في الصرف على شؤون جديدة، مثل تغسيل الأموات وتكفينهم ودفنهم فضلا على ترتيب مخصصات للموظفين بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة، لرعاية مصالح الأهالي والطلاب لقاء أجر محدد من أموال الصرة الشريفة.

(85)- المرجع نفسه، ص ص 524، 526.

## قائمة المصادر والمراجع:

1. محمد علي فهيم بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة من 923-1220هـ /1517-1805م، بحث مقدم لنيل درجة التخصص والماجستير في التاريخ والحضارة، (مصر: جامعة الأزهر، 1999م).
2. ابن منظور،، لسان العرب، [د.ط]، ( بيروت: دار الصادر، [د.س ])، مج:4.
3. سعد الدين اونال، دفتر المفردات للصرة الهمايونية لعام 1367هـ، ط.1، (تركيا – اسطنبول: دار الأصول العلمية، 1437هـ -2016م).
4. سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،[د.ط]، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421 هـ – 2000م).
5. أسماء جاد الله خصاونة: " الصرة السلطانية المرسلة إلى القدس الشريف دراسة وثائقية من خلال دفتر الصرة رقم 219لعام 1137هـ / 1724م"، مجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م:10، ع: 2، 3، س: 2016م.
6. لمياء أحمد عبد الله شافعي:" الصرة العثمانية الموجهة إلى مكة المكرمة ( 791-974هـ / 1389-1566م)"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع: 54، س: محرم 1433هـ.
7. عبد الباقي محمد أحمد كبير، الدولة العباسية في عهد الخليفة المقتدر بالله (295هـ -320هـ)، الرسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، (السودان: الجامعة أم درمان الإسلامية- كلية الأكاديمية، [د.س]).
8. خالد عزام، موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر العباسي، (الأردن-عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، [د.ط]، 2009م).
9. السيد سابق، الفقه، ج:3، [د.ط]، (القاهرة: الفتح للإعلام العربي، [د.س]).

10. محمد ماجد صلاح الدين الحزماوي: " الصرة السلطانية لعلماء القدس وفقرائها في العهد العثماني ( 1111-1317هـ) (1700-1900م )"، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م:4، ع:4، س: 2010.

11. أورخان محمد على، روائع: من التاريخ العثماني، ط.1، (مصر: دار الكلمة للنشر والتوزيع، 1429 هـ - 2008م).

12. محمد الأمين المكي، خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج، ط.2، (القاهرة: دار الأفاق العربية، 1426هـ-2005م).

13. علي خليل أحمد: "التوسع العثماني في الروميلي في عهد السلطان مراد الثاني (1421-1451م)"، مجلة كركوك للدراسات الإنسانية: مج:7، ع: 3، س: 2012.

14. محمد بن أبي السرور البكري الصديقي، نصرة أهل الإيمان بدولة آل عثمان، تح: سليم أبو جابر، ط.1، ([د،م،ن]: دار الهدى، 1433هـ -2012 م).

15. سالم الرشيدي، محمد الفاتح، ط.2، (مصر: دار البشير للثقافة، 2013.

16. عبد السلام عبد العزيز فهمي، السلطان محمد الفاتح: فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، ط.5، ( دمشق: دار القلم، 1413هـ - 1993م).

17. عماد عبد العزيز يوسف، الحجاز في العهد العثماني ( 1876-1916م )، رسالة مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، (الموصل: كلية الآداب جامعة، السنة الجامعية، 1426هـ - 2005م).

18. عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى ألان، ط.1، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014م).

19. محمد هزاع الشهرى، المسجد النبوي الشريف: في العصر العثماني ( 923-1344هـ) دراسة معمارية حضارية، [د.ط]، (مصر: دار القاهرة للكتاب، 2003م).

20. علي بن عبد القادر الطبري، الأرج المسكي في التاريخ المكي وتراجم الملوك والخلفاء، تح: أشراف احمد الجمال، ط.1، (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، 1416 هـ – 1996م).

21. محمد على فهيم بيومي، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني (963هـ –1220هـ /1517–1805م)، [د.ط]، (مصر: دار القاهرة، 1426هـ –2006م).

22. علياء بنت فياض أحمد الفياض ،أوقاف المسجد الحرام بمكة المكرمة، تنظيمها وإدارتها في العهد العثماني: (1838–1918م)، رسالة علمية مقدمة استكمال المتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث، (جامعة الملك سعود: العربية السعودية المملكة، السنة الجامعية 1430هـ – 2009م).

23. حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ط.1، (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 1425هـ – 2004م).

24. –جين هاثواى، سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية، تر: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط.1، ( مصر: المجلس الأعلى للثقافة، 2003م).

25. أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج:3،[د.ط]، (مصر: المطبعة الأميرية، 1332هـ– 1914م).

26. مصطفى بلكه، دفتر الصرة العثمانية الشريفية: المخصصة لأهالي المدينة المنورة عن أوقاف المرحومة والمغفور لها صفية سلطان ام المرحوم والمغفور له السلطان محمد خان الثالث –طيب الله ثراهما – في استانبول، عن واجب سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف هجرية، دار الأصول العلمية، ط.1، (تركيا – اسطنبول،1437هـ–2016م).

27. أوليا جلبي، الرحلة الحجازية، تر :الصفصافي أحمد المرسى، [د.ط]، (القاهرة: دار الأفاق العربية، 1999م).

28. محمود عامر: "المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية"، مجلة دراسات، ع:117،118، س: جوان 2012.

29. إسماعيل حقي جارشلي، إشراف مكة المكرمة : وأمرائها في العهد العثماني، تر: خليل علي مراد، ط.1، (بيروت لبنان: الدار العربية للموسوعات، 1424هـ – 2003م).

30. محمد احمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية : في العصر المملوكي، ط.1، (بيروت – لبنان: دار الفكر المعاصر، 1410هـ –1990م).

31. ناهد إبراهيم دسوقي، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية واثر الغرب الأوروبي فيها (1789–1807م )، [د.ط]، (الإسكندرية، الناشر منشأة المعارف جلال حزى وشركاه، 2006م).

32. عبد الحكيم العفيفي، موسوعة 1000مدينة إسلامية، ط.1، (بيروت–لبنان: اوراقثرقية للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ–2000م).

33. إكمال الدين إحسان اوغلى، الدولة العثمانية : تاريخ وحضارة، تر: صالح سعدواي، ج:1،[د.ط]، (استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1999م).

34. موستراس، المعجم الجغرافي: للإمبراطورية العثمانية، تر: عصام محمد الشحادات، ط.1، (بيروت– لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1423هـ – 2002م).

# الجزائر والقدس ومشاريع تسوية القضية الفلسطينية


- د. رفيق تلي
- جامعة سعيدة، الجزائر



**الملخص:**

تعالج هذه الدراسة "الجزائر والقدس ومشاريع تسوية القضية الفلسطينية"، حيث تعد القضية الفلسطينية من أبرز القضايا التي لم يتم تسويتها إلى يومنا هذا، وإن فلسطين ذلك البلد الذي تربطه بالجزائر أواصر الأخوة الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، حيث لعب الجزائريون أدوارا مؤثرة في دعم القضية منذ اغتصاب فلسطين رسميا من طرف الصهاينة منتصف القرن الماضي، فالقضية الفلسطينية ظلت ولا تزال في وجدان كل جزائري، فتحدثنا في هذه الدراسة عن أهم مشروع تسوية للقضية وهو مشروع اتفاقية كامب دايفيد الثلاثية بين مصر وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، حيث تطرقنا إلى ظروف انعقاد هذه الاتفاقية ثم انعقادها وعقب هذه الاتفاقية مباشرة دخلت مصر في عزلة تامة عن العالم العربي، وفي الأخير تكلمنا عن موقف الجزائر منها حيث عبرت الجزائر عن رفضها القاطع لاتفاقية كامب دايفيد.



**الكلمات المفتاحية:** الجزائر؛ القدس؛ القضية الفلسطينية؛ مشاريع التسوية؛ اتفاقية كامب دايفيد.

**Abstract:** This study addresses "Algeria, Jerusalem and projects to settle the Palestinian cause." The Palestinian cause is one of the most prominent causes that have not been resolved to date. Palestine is a country with deep historical links to Algeria, where Algerians have played influential roles in supporting the cause since Palestine was officially usurped by the Zionists in the middle of the last century. The Palestinian cause has remained and continues to be in the conscience of every Algerian. In this study, we talked about the most important draft settlement of the cause, which is the Camp David tripartite Accord between Egypt, Israel and the United States of America. We discussed the circumstances behind the convening of this accord and then its convening. After this agreement, Egypt immediately entered into complete isolation from the Arab world. Finally, we talked about Algeria's position on it, in which Algeria expressed its categorical rejection of the Camp David Accord.
**Keywords:** Algeria, Jerusalem, Palestinian cause, settlement projects, Camp David Accord.

## مقدمة:

يعود الارتباط بين فلسطين والجزائر إلى مئات السنين منذ الحملات الصليبية على الأقل؛ إذ شارك الثوار الجزائريون بقيادة العالم المتصوِّف "أبو مدين الغوث" في حروب صلاح الدين الأيوبي لاسترداد القدس من أيدي الصليبيين، وقد بقي بعضهم هناك وسكنوا في محيط المسجد الأقصى، وقد أهداهم ابن صلاح الدين الأيوبي أراضي في تلك المنطقة عُرفت فيما بعد بـ"حارة المغاربة"؛ وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، عرفت البلاد موجات هجرة بين فلسطين والجزائر من بعض القبائل الجزائرية إلى فلسطين،

سواء هربًا من بطش الاحتلال وقمعه، أو نفيًا بسبب مشاركتهم في الانتفاضات الشعبية.

تعد القضية الفلسطينية من أبرز القضايا التي لم يتم تسويتها إلى يومنا هذا، إذ تنفرد بتاريخها التحرري الذي نجد له حضورا ضمن الحركة الوطنية الجزائرية ونضال رجالها، فمن بين القضايا التي لقيت اهتماما لدى السياسيين الجزائريين القضية الفلسطينية التي تم دعمها من طرف الجزائريين معنويا وماديا، وبعد إعلان الكيان الصهيوني لاغتصابه الأراضي الفلسطينية سجلت للشخصيات الوطنية الجزائرية استنكارها للوضع التي آلت إليه القضية الفلسطينية.

إن فلسطين ذلك البلد الذي تربطه بالجزائر أواصر الأخوة الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، حيث لعب الجزائريون أدوارا مؤثرة في دعم القضية منذ اغتصاب فلسطين رسميا من طرف الصهاينة منتصف القرن الماضي، فالقضية الفلسطينية ظلت ولا تزال في وجدان كل جزائري، فأرضها بالنسبة إليهم ليست كأي أرض، والقدس ليست كأي مدينة، وبيت المقدس ليس كأي مسجد، فهي قضية مصيرية تحمل كل الدلالات وليس بالمقدور نسيانها أو التخلف عن نصرتها أو خذلانها. إنّ الجزائر لحد الآن واقفة مع القضية الفلسطينية ظالمة أو مظلومة وتعمل جاهدة من أجل أن تضمن للشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره.

إن قضية فلسطين قد شغلت بال الجزائر، وأصبحت تشكل هما يوميا تؤثر في نفوس الجزائريين، باعتبارها قضية مشتركة لا تخص الفلسطينيين وحدهم بل تهم كل أبناء الأمة العربية، وقد عبّر الجزائريون عن هذا الموقف من خلال مشاركتهم في القتال ضد العدو الصهيوني في أكثر من مناسبة، شاركت الجزائر في حرب 1967م مشاركة رمزية بحُكم حداثة الدولة وخروجها للتوّ من حرب التحرير الطاحنة، كما شاركت بشكل أكثر قوّة وحضورًا في حرب 1973م، وتواصل هذا الاهتمام بالقضية الفلسطينية في سائر مراحل الصراع مع الكيان الصهيوني، وتنوعت المشاركة الجزائرية في مختلف الميادين.

وتمثل التزام الجزائر بالقضية الفلسطينية في كشف القناع عن أبعاد الكيان الصهيوني الاستيطاني، والتنديد بماهيته الاستعمارية، وإفشال حملات التشويش التي تعرضت لها، والسعي لكسب الرأي العام إلى جانبها، بل وإلى ارسال الجنود للدفاع عنها وتحريرها، وكل هذه المواقف تندرج في عقد تضامني واضح المعالم، وفي تحالف متين يجسد الشعور القومي الفياض، والقرب العاطفي الصادق رغم بعد المسافات. ونحن في هذه الدراسة ركزنا الحديث على أهم مشاريع تسوية القضية الفلسطينية وهي اتفاقية كامب دايفيد سبتمبر 1978، ومنه طرحنا الإشكاليات التالية:

1- ما هي ظروف انعقاد اتفاقية كامب دايفيد؟

2- فيما تمثلت اتفاقية كامب دايفيد وما هي انعكاساتها على القضية الفلسطينية؟

3- ما موقف الجزائر من اتفاقية كامب دافيد؟

وعليه وارتباطا بالقضايا المطروحة سلفا، كان من الضروري طرق الموضوع، وفي محاولة منّا للإجابة على التساؤلات التي طرحتها، فقد اعتمدت في معالجة مضمون هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي وكذا المنهج الوصفي الذي تفرضه متطلبات بناء الواقعة التاريخية في قالبها الأكاديمي المنهجي.

1- أهم مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية: اتفاقية كامب دايفيد 1978:

2-1- ظروف انعقاد اتفاقية كامب دايفيد:

2-1-1- زيارة السادات للقدس 19 نوفمبر 1977:

بعدما وُضعت اللبنات الأولى للتقارب المصري والكيان الصهيوني بفضل جهود كيسنجر والمستشار النمساوي كراسيكي أعلن السادات في خطاب ألقاه أمام مجلس الشعب المصري بتاريخ 09 نوفمبر 1977 [1]بحضور ياسر عرفات قائلا:" إنّني مستعد للذهاب إلى آخر الدنيا، وسيندهش الإسرائيليون حينما يسمعونني الآن أقول أنّني مستعد للذهاب إلى الكنيست ومناقشتهم" ولقد صفق جميع الحاضرين لأن لا أحد منهم حمل ذلك التصريح محمل الجد، لكنهم سرعان ما تأكدوا من جدية السادات وخطورة الفكرة وأصيب المسؤولين

1- عبد السلام كمون، اتفاقية كامب دايفيد 1978 وانعكاساتها على العلاقات الجزائرية-المصرية، مجلة رفوف، العدد11، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، جامعة أدرار، الجزائر، مارس 2017، ص238.

المصريين بخيبة آمال كبيرة لأن هذه المبادرة وحدها كفيلة بعزل مصر عن العالم العربي[2].

وفي يوم 19 نوفمبر 1977 وصل السادات إلى القدس في زيارة فاجأ بها العالم متحديا بذلك قرارات مؤتمر الخرطوم عام 1967 ولاءاته الثلاثة (لا صلح، ولا اعتراف، ولا تفاوض مع إسرائيل)[3]. وألقى السادات خطابا في الكنيست الإسرائيلي قال فيه:" إنّني لم أجئ إليكم لعقد اتفاقا منفردا بين مصر وإسرائيل...وننهي حالة الحرب في هذه المرحلة، ثم نرجئ المشكلة برمتها إلى مرحلة ثانية...لقد جئت إليكم لكي نبني السلام الدائم والعادل"[4].

وفي اليوم التالي رد مناحيم بيغن على مبادرة السلام من خلال خطابه للشعب المصري قائلا:" ينبغي أن تعلموا أننا عدنا إلى أرض أجدادنا...وأقمنا استقلالنا في أراضينا..."، وأبرز في خطابه أيضا أنه لا يمكن الانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة، ورفضه لأي سلام يقوم على أساس الانسحاب، ولم يشر إلى الفلسطينيين أو منظمة التحرير الفلسطينية، ودعا الدول العربية للتفاوض مع إسرائيل بشكل منفرد. وعندما سأل دايان وزير خارجية الإسرائيلي الرئيس السادات عن فكرة قراره بزيارة إسرائيل، أجابه "إن لإسرائيل مشاكل أمنية تختفي خلفها، وتطالب بمفاوضات تكون وجها لوجه، هذا ما جعلني أقرر أن

2- بطرس بطرس غالي وشيمون بيريز، حوارات مع أندريه فرساي، ستون عاما من الصراع في الشرق الأوسط شهادات للتاريخ، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2008، ص171.
3- عبد السلام كمون، المرجع السابق، ص239.
4- عبد الحليم مناع العدوان، عبد الحليم مناع عدوان، القضية الفلسطينية في مؤتمرات القمة العربية 1964-1990، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر، عمان، 1991، ص110.

أذهب، وأقابلهم بنفسي وحيدا" وأضاف قائلا:" إن تقرير حسن التهامي نائب رئيس الوزراء المصري حول لقائه معك في المغرب كان إيجابيا، حيث أبلغني أنّنا وأنتم يمكن أن نتوصل إلى نوع من الاتفاق قبل اجتماع جنيف بحيث لا ينتهي إلى الفشل..."[5].

لقد سببت هذه الزيارة في انقسام الدول العربية إلى ثلاث مجموعات، إحداها تضم الدول التي كانت أكثر راديكالية وشملت كل من الجزائر وليبيا وسوريا واليمن الجنوبي ومنظمة التحرير الفلسطينية، ولقد قررت هذه الدول الخمس عقد اجتماع في العاصمة الليبية طرابلس في بداية شهر ديسمبر 1977 وتكوين ما سمي بـ"الجبهة القومية للصمود والتصدي" والتي عرفت في الإعلام المصري بـ"جبهة الرفض" أي الذين يرفضون السلام، وكان موقفها متطرفا معاديا لمبادرة السادات واعتبرتها خيانة عظمى للقضية العربية، أما المجموعة الثانية فهي التي أيّدت هذه المبادرة أو بالأحرى لعبت دورا بارزا في التقارب المصري الإسرائيلي وعلى رأسها المملكة المغربية، أما المجموعة الأخيرة فكان موقفها سلبي وغامض فلا هي أيدت المبادرة ولا هي هاجمتها، وفضلت التريّث وتشمل هذه المجموعة كل من المملكة السعودية والأردنية وجميع دول الخليج باستثناء اليمن الجنوبي، حيث اعتبرت هذه الزيارة بالنسبة للجانب العربي نكسة كبيرة للأمة العربية بصفة عامة والقضية الفلسطينية بشكل

5- أحمد أبو جزر، بلدان المغرب العربي والقضية الفلسطينية 1948-1978 (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2013-2014، ص293-294.

خاص فقامت الجزائر بمعارضة هذه الزيارة كون القضية الفلسطينية لها أهميتها البالغة في السياسة الخارجية للجزائر[6].

**2-1-2- القمة الثنائية في الإسماعلية:**

كان السادات شديد الحرص على أن يبرز في كل المناسبات مدى اهتمامه بتحقيق السلام الشامل في الشرق الأوسط، لذلك كان افتتاحه لمؤتمر قمة الإسماعيلية الذي عقد يوم 25 ديسمبر 1977، حيث صرح السادات قائلا:" إن هذا اللقاء على أرض مصر هو للعمل معا على إنهاء معاناة شعبينا، وإننا نجتمع لنقول للعالم أننا نعمل من أجل السلام، حتى تحل المحبة محل الكراهية التي عشنا فيها ثلاثين عاما". وقد ردّ مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل على كلمة السادات بقوله:" إن تحقيق السلام مسؤولية مشتركة بينهما، وأنه يرجوا أن تنتهي الحروب إلى الأبد..." وأضاف قائلا:"...أنه يحمل معه مشروعين الأول خاص بالانسحاب من سيناء والحكم الذاتي للضفة الغربية وقطاع غزة..."[7].

لكن من خلال شرح بيغن لمشروعه تأكّد الوفد المصري أن هذا التحليل فيه لف ودوران، خاصة عندما أقر بيغن أن عملية الانسحاب من الأراضي المصرية تتطلب 05 سنوات في حين أن عملية الاحتلال لم تتجاوز 05 أيام[8]،

6- عبد السلام كمون، المرجع السابق، ص239.
7- طه المجدوب، حرب أكتوبر...طريق السلام، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، 1993، ص135.
8- عبد السلام كمون، المرجع السابق، ص242.

وعندها تكلم السادات والذي كان صبره قد نفذ حيث قال:" أن مصر عليها التزامات نحو العالم العربي، وهي الالتزامات التي تقررت في مؤتمر القمة بالرباط وتتضمن الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي التي احتلت عام 1967"[9].

وهكذا وبسبب الخلافات الثنائية انتهى مؤتمر الإسماعلية كما بدأ، وكان الإنجاز الوحيد الذي تحقق هو انجاز شكلي تقرّر إنشاء لجنتين إحداهما سياسية والأخرى عسكرية، ولم يفضي المؤتمر إلى نتيجة إيجابية لدفع عملية السلام[10].

في ظل هذه الظروف المعقّدة أحسّ الرئيس جيمي كارتر بأن الموقف أصبح في حاجة إلى جهد من أجل تقريب وجهات النظر بين الطرفين، لذلك رأى كارتر من الضرورة القيام بجولة واسعة ويكون محورها الرئيسي قضية الشرق الأوسط شملت مصر التي وصلها يوم 05 يناير 1978 حيث قضى ساعة واحدة مع السادات في استراحة المطار، ورغم قصر زمن الزيارة إلا أنها حققت نجاحا كبيرا في حسم بعض القضايا الحيوية المتعلقة بمشكلة الشرق الأوسط، وفي القاهرة بعد هذا الاجتماع في استراحة مطار أسوان أعلن السادات أن وجهات النظر بينه وبين الرئيس الأمريكي كارتر كانت متطابقة، كما أعلن كارتر أن عام 1978 سيكون عام السلام في الشرق الأوسط[11].

9- طه المجدوب، المصدر السابق، ص138.
10- طه المجدوب، المصدر السابق، ص140.
11- نفسه، ص ص141-142.

وأمام هذه الظروف السائدة في الشرق الأوسط عقد كارتر مؤتمر في لندن عرف بـ"قلعة ليدز" في مطلع شهر جويلية 1978، وكان هذا المؤتمر بمثابة استطلاع أمريكي لمواقف الطرفين من وضع المواجهة المباشرة بينهما وهو مفتاح الطريق إلى كامب دايفيد[12].

**2-2- اتفاقية كامب دايفيد 1978:**

بعد فشل المحادثات بين المصريين والإسرائيليين في كل من القدس والقاهرة والإسماعلية وواشنطن وفي قلعة ليدز بريطانيا لم يستسلم الأمريكيون لكل ذلك، حيث وصل وزير خارجيتهم "فانس" إلى إسرائيل في شهر أوت، ثم زار بعدها القاهرة لمحاولة كسر الجمود السياسي، واستكمال المحادثات السلمية. التقى فانس ببيغن (رئيس وزراء الكيان الصهيوني)، وأبلغه أن الرئيس كارتر يرغب في دعوته إلى مؤتمر قمة في كامب ديفيد مع الرئيس السادات، فقبل بيغن، وطلب منه أن لا ينشر ذلك قبل الأوان، فرتّب فانس مع وليم كواندت (عضو المجلس القومي) زيارته للقاهرة لاستطلاع رأي السادات في ذلك، فعاد مسرورا بموافقته على دعوة الرئيس كارتر، وكان السادات واثقا من نفسه يريد التحرك بأقصى سرعة اتجاه السلام[13].

هذه الزيارة التي قام بها فانس جاءت بعدما تبيّن للرئيس الأمريكي استحالة التقارب والتفاهم بين أنور السادات ومناحيم بيغن المتميز بالتشدّد والتعنّت في

12- عبد السلام كمون، المرجع السابق، ص242.
13- أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص296.

المواقف، ولذلك حرص كارتر شخصيّا على تولي إدارة هذه المفاوضات مع الاستعانة بالشخصيات التي كان ينتقيها بدقة من الوفدين. إن الدافع الرئيسي الذي كان وراء هذه الزيارة إلى المنطقة العربية هو شعور أمريكا وإدراكها أن فشل هذه المفاوضات قد يؤدي إلى تحرك عربي من خلال مؤتمرات القمة العربية وهو ما ينعكس سلبا على المصالح الأمريكية بالمنطقة لذلك سعت جاهدة على إبقاء الخلاف العربي قائما وهو ما صرّح به نائب وزير الخارجية الأمريكية "هارولد ساوندرز" في مؤتمر صحفي أجره في شهر أوت 1978 قائلا:" إن استراتيجية أمريكا قائمة على إيجاد تحالف بينها وبين الدول العربية المعتدلة"[14].

ولقد تم الاتفاق على عقد مؤتمر كامب ديفيد خلال زيارة فانس لإسرائيل ومصر، حيث أبدت هذه الأخيرة موافقتها[15]، على استمرار المفاوضات بغية تحقيق السلام الدائم والعادل دون المساس بالأرض أو السيادة أو انكار حقوق الشعب الفلسطيني، كما اشترطت مصر أن يكون هذا اللقاء في شهر سبتمبر 1978 أي عقب انقضاء الأعياد الإسلامية[16].

14- عبد السلام كمون، المرجع السابق، ص243.

15- يذكر محي الدين عميمور أن هذه الموافقة كانت ساداتية فقط دون استشارة جهازه الدبلوماسي ومستشاريه، والغريب في الأمر أن وزير الخارجية المصري إبراهيم كامل علم بالأمر عن طريق نظيره الأمريكي وعندما توجه للسادات للتأكد من صحة الخبر فاجأه قائلا: "ذلك ما كنت أسعى إليه منذ البداية أن تقوم أمريكا بدور الشريك الكامل سوف تدخل معي التاريخ يا كامل"، ينظر إلى: محي الدين عميمور، أربعة أيام صححت تاريخ العرب، دار هومة، الجزائر، 2010، ص302.

16- عبد السلام كمون، المرجع السابق، ص244.

ومع الإعلان عن موافقة مصر والكيان الصهيوني على الاقتراح الأمريكي بعقد مؤتمر ثلاثي يوم 05 سبتمبر 1978[17] أعلن عن هذا الاقتراح في عواصم الدول الثلاثة[18]، حيث عمل بيغن على استشارة المستشارين والخبراء التابعين له، وكثف من عقد الاجتماعات بمجلس الوزراء من أجل التحضير الجيّد من خلال دراسة ملفات لعقد الاتفاقية، في حين أن الرئيس المصري السادات لم يحضر للاتفاقية المصيرية، وعندما حاول وزير خارجيته التحدث عن هذه الاتفاقية ويحسسه بأهميتها قال له أن العمل في شهر ومضان يرهقه[19]. ويذكر طه المجدوب في مذكراته تحضرا لهذه الاتفاقية أن الخارجية المصرية قد بدأت في إعداد دراسات شاملة ووثائق سياسية، لوضع ورقة عمل تحدّد الموقف المصري في المؤتمر الذي ترى فيه مصر خطوة أخرى جديدة نحو طريق السلام[20].

ومع اقتراب انعقاد الاتفاقية الثلاثية حرص السادات في اجتماع طارئ لمجلس الأمن القومي المصري بتاريخ 30 أوت 1978 على تأكيد أن مصر ترفض أية اتفاقيات ثنائية أو حلول جزئية، وأن هدف مصر من مشاركتها في كامب دايفيد هو الحل الشامل والدائم والعادل[21].

17- طه المجدوب، المصدر السابق، ص166.
18- محمد عبد الغاني الجسمي، مذكرات الجسمي حرب أكتوبر 1973، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص562.
19- محي الدين عميمور، أربعة أيام صححت تاريخ العرب، المصدر السابق، ص303.
20- طه المجدوب، المصدر السابق، ص166.
21- طه المجدوب، المصدر السابق، ص168.

تم افتتاح مؤتمر كامب دايفيد في 05 سبتمبر 1978، إذ أرسل كل بلد وفدا يتألف من 09 أعضاء يرأسهما بيغن والسادات، من الجانب المصري حضر كل من: السادات ومستشاره حسن التهامي ووزير خارجيته محمد كامل ونائب وزير الخارجية أسامة الباز ووزير الدولة للشؤون الخارجية المصرية بطرس بطرس غالي، وحضر من جانب الكيان الصهيوني مناحيم بيغن ووزير الخارجية موشيه دايان ووزير الدفاع عيزار وايزمان والمدعي العام الإسرائيلي أهارون باراك، ومن الطرف المضيف جيمي كارتر ووزير خارجيته سيروس فانس ومستشاره للأمن القومي زبيجنيو بريجنسكيو هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الأمريكية[22]، واستمر مؤتمر كامب دايفيد ثلاثة عشر يوما، وقد ثبت أنه المرحلة الأكثر صعوبة في المفاوضات السلمية بين مصر وإسرائيل، وكانت المداولات بين الإسرائيليين والمصريين قد شهدت جدلا حادا ومريرا حتى مع الأمريكيين[23]، حيث مرّت الأيام الأولى التي التقى فيها الطرفين وجها لوجه بصعوبات كبيرة لعدم تقديم أي تنازلات من الجانبين، ولم تقتصر الاختلافات على القضية الفلسطينية فحسب، بل هناك مسائل كثيرة وقع حولها الاختلاف كالمسائل العلمية والتجارية والدبلوماسية، وتطور الخلاف بينهما وابتعدت مواقفهما عن بعضها البعض إلى درجة أن السادات أصبح لم يعر أي اهتمام باستمرار المفاوضات وأعلن مغادرة وفده[24].

22- بطرس بطرس غالي وشيمون بيريز، المصدر السابق، ص196.
23- أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص296.
24- بطرس بطرس غالي وشيمون بيريز، المصدر السابق، ص196.

كرس اللقاء الأول حول مناقشة مقترحات السادات لحل الصراع حملت عنوان: إطار تسوية شاملة لمشكلة الشرق الأوسط، وقد تضمّنت الوثيقة ثماني فقرات، وبندا افتتاحيا، وهو أن الطرفين يعتزمان البحث في تسوية الصراع في الشرق الأوسط على أساس قراري مجلس الأمن رقم 242 و338[25].

وبعد قراءة هذه الوثيقة من طرف الوفد الإسرائيلي قال بيغن لأعضاء وفده: "يجب رفض المقترح المصري فورا"، وفي ظهيرة اليوم التالي اجتمع الثلاثة الكبار للاستماع إلى الطرح الإسرائيلي، وجواب السادات عليه، فأوضح بيغن أسباب رفضه للمقترحات المصرية، فقد رفض بيغن الإشارة إلى إنشاء الدولة الفلسطينية، وكذلك كارتر، فرد السادات عليهما بأن الدولة الفلسطينية ستكون مجردة من السلاح، ولن تكون مستقلة بل مرتبطة مع الأردن، وأخبرهما السادات أن الإجابة على هذا الاعتراض يجب أن يتم من خلال استفتاء الفلسطينيين، كذلك كان الاختلاف بين الطرفين حول الترتيبات الأمنية في سيناء، ومستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة، وتواجد القوات الإسرائيلية في المستوطنات، والسيادة العربية على القدس الشرقية، فكانت الردود الإسرائيلية بالنسبة لسيناء هي استعدادهم للانسحاب إلى الحدود الدولية مع بقاء المستوطنات والمطارات شمال شرق، وجنوب شرق سيناء تحت سيطرتهم، وبالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة أكدوا على حقيقة أنهم غير مجبرين على

25- أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص297.

الانسحاب من هذه المناطق، ورأوا مصدر الخطر يكمن في الرجوع إلى القرار الدولي 242[26].

وخلال مجريات المفاوضات بين الطرفين وفي خضم النقاشات الحادة قدم محمد كامل وزير خارجية مصر استقالته فاستغلها السادات في الضغط على كارتر للتدخل حين قال له السادات:" أنت ترى جيّدا أن التشدّد الإسرائيلي قد أحبط أعضاء وفدي"، حينها أدرك كارتر أن ساعة التوصّل إلى حل وسط حاسم قد حانت فقرر طيلة هذه الأيام المتبقية من عمر المفاوضات أن لا يجمع الطرفين بعضهما البعض وأن يلعب بينهما دور الوسيط[27].

وفي صبيحة اليوم الأخير، أي مساء الأحد في 17 سبتمبر 1978 وقع كل من كارتر والسادات وبيغن على إطار عمل للسلام في الشرق الأوسط، لم يكن اتفاقية سلام، وإنما اتفاقية عمل على أسس ومبادئ للمفاوضات من أجل التوصل لاتفاقية سلام مع مصر، وعلى الحكم الذاتي لعرب في الضفة والقطاع[28].

في 17 سبتمبر أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عن توصل مصر وإسرائيل إلى صيغة اتفاق بينهما لوضع حد نهائي للنزاع العربي الإسرائيلي، وإحلال سلام دائم في الشرق الأوسط، وتمثل الاتفاق الذي ختم سلسلة

26- موشي دايان، أنا وكامب دايفيد، ترجمة غازي السعيد، دار الجليل للنشر، عمان، 1987.
27- عبد السلام كمون، المرجع السابق، ص246-247.
28- أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص297.

اجتماعات دامت 13 يوما، وضمت الرئيس الأمريكي كارتر، والمصري أنور السادات، والإسرائيلي مناحيم بيغن في وثيقتين منفصلتين:

- الوثيقة الأولى: تحدّد من جهة أسس علاقات السلام بين إسرائيل والدول العربية، وتدعو الأردن وسوريا ولبنان إلى الموافقة عليها واعتمادها، ومن جهة أخرى إقامة حكم ذاتي لسكان الضفة الغربية لمدة 05 سنوات دون تحديد موعد البدء بها، أو سيخلفها بعد انقضاء الأعوام الخمسة.
- الوثيقة الثانية: ترسم معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل على أن تنجز وتبرم في فترة لا تتعدى ثلاثة أشهر من تاريخ انتهاء الاجتماع الثلاثي في كاب دايفيد. تم توقيع اتفاقية إطار بين السادات وبيغن عرفتا باتفاقيتي كامب دايفيد، وتضمن:
- **الجزء الأول**: المبادئ التي يجب أن تحكم المفاوضات المفضية إلى عقد معاهدة سلام بين الدولتين المصرية والإسرائيلية، وكانت هذه الوثيقة في حد ذاتها واضحة نسبيا وصريحة، فوافقت إسرائيل على الانسحاب من جميع الأراضي المصرية على مراحل، وزوال قواعدها العسكرية، ومستوطناتها المدنية، وفي المقابل وافقت مصر على الاعتراف بإسرائيل، وتبادل السفراء معها، وقبلت نشر القوات في سيناء، وبحث إمكانية تطبيع العلاقات في مجالي التجارة والسياحة.
- **الجزء الآخر** من الاتفاقيتين، فإنه مختلف في روحه ومحتواه، فكانت الصورة لمعالجة المسألة الفلسطينية معقّدة من الناحية الإجرائية بالإضافة إلى

خلوها من أي محتوى من الناحية الجوهرية، وقد أعلنت مصر وإسرائيل تأييدهما إلى فكرة المرحلة الانتقالية المتعلقة بالضفة والقطاع لفترة لا تتجاوز 05 سنوات، ودعي الأردن للانضمام إلى المفاوضات، وذلك لوضع تفصيلات الترتيبات الانتقالية[29].

لعب الرئيس الأمريكي جيمي كارتر دور الوسيط في إنجاح هذه الاتفاقية، في حين أن السادات لعب دورا وفضلا كبيرا في التوقيع على اتفاقية كامب دايفيد، هذا الأخير الذي قدم تنازلات أدت إلى آثار وسلبيات على بلاده مصر خاصة وعلى الدول العربية، وهذا كله يتحمل مسؤوليته السادات، وهو الذي أدى بكل وزراء الخارجية المصرية الذين تم تعيينهم من طرف السادات استقالوا من مناصبهم منذ زياته للقدس إلى التوقيع على كامب دايفيد[30].

**3- موقف الجزائر من اتفاقية كامب دايفيد 1978:**

لقد عبّر الرئيس الشاذلي بن جديد عن رفضه القاطع لكامب دايفيد من خلال تصريحه قائلا:"...إن الجزائر ضد سياسة الانهزام والحلول الجزئية..."، كما حذّر النظام المصري الذي حاول من أجل كسب ود الولايات المتحدة الأمريكية، أن يلعب دور الوصي على القضية الفلسطينية[31].

29- أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص298.
30- شامل أباظة، الوجه الآخر لاتفاق كامب دايفيد، مركز الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010، ص07.
31- جمال فرحات، السياسة الأمريكية في الجزائر التحولات الكبرى 1962-1989، ج2، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، 2008، ص95. وأنظر أيضا: أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص298.

وإعلاميا نجد أن وسائل الإعلام الجزائرية هاجمت بشدّة في المقالات المنشورة عبر الصحف زيارة السادات القدس، فجريدة المجاهد كتبت على واجهة الصحيفة (الشعب العربي يقول: لا للخيانة الكبرى) وكتبت كذلك (لن يفلت المجرمون من حكم الشعب)، كما شهدت شوارع الجزائر العاصمة مظاهرات احتجاجية[32].

وخلال انعقاد القمة الثانية التي عقدت بالجزائر يومي 02 و03 فبراير 1978، عزمت الجزائر على إحباط جميع المناورات الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية، والتأكيد في نفس الوقت على أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني[33].

وفي نفس السياق وعقب اتفاقية كامب دايفيد نجد أن الجزائر احتضنت السكرتير جمال عبد الناصر والسيد عبد المجيد فريد، كما استقبلت الجزائر بطل حرب أكتوبر الفريق سعد الدين الشاذلي الذي عارض سياسة السادات وتخلى عن منصبه كسفير في البرتغال واستقر في الجزائر منذ سنة 1978[34].

كما نجد الرئيس الشاذلي بن جديد عندما قامت الثورة الإيرانية باركها وأيدها وهذا يجسد موقف الجزائر المتضامن مع القضية الفلسطينية حين يقول:"

32- المجاهد، العدد 902، بتاريخ: 25 نوفمبر 1977.
33- أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري، ج3، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص267.
34- محي الدين عميمور، لله وللوطن المجموعة السادسة، موفم للنشر، الجزائر، 2015، ص216.

يكفينا شرفا أن الثورة الإيرانية طردت سفارة إسرائيل وأعطت مقرها لسفارة فلسطين"[35].

وتجدر الإشارة إلى أن الجزائر شاركت في مؤتمر القمة الثالث للصمود والتصدي في دمشق بين 20 و23 سبتمبر 1978 برئيسها الهواري بومدين، انطلاقا من المبادئ التي أقرها المؤتمر الأول بطرابلس، والثاني بالجزائر، والتزاما بالمسؤوليات القومية، وقد قرّر الرؤساء ما يلي:

- قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع النظام المصري.
- دعم نضال الشعب المصري ممثلا بقواه الوطنية والديمقراطية.
- العمل على نقل الجامعة العربية ومنظماتها المختلفة من القاهرة.
- توجيه مذكرة جماعية باسم جبهة الصمود والتصدي إلى مجموعة عدم الانحياز، وإلى الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ومنظمة الوحدة الإفريقية لشرح الموقف.
- مطالبة الأمين العام للأمم المتحدة بعدم جواز تشميل المنظمة الدولية برعايتها لأية وثيقة أو اتفاقية تتعارض وقراراتها.
- تكليف الرئيس السوري حافظ الأسد بالقيام بجولة في الأقطار العربية من أجل عرض قرارات المؤتمر، وكذلك بزيارة إلى الاتحاد السوفياتي لبحث إمكانية تطوير العلاقات معه.

35- نفسه، ص216.

- مطالبة الأمين العام للأمم المتحدة بعدم جواز تشميل المنظمة الدولية برعايتها لأية وثيقة أو اتفاقية تتعارض وقراراتها.
- دعوة لجنة الأمم المتحدة الخاصة بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني[36].

كما شاركت الجزائر في مؤتمر القمة العربي في بغداد التي كانت أهم رد فعل عربي على كامب دايفيد في نوفمبر 1978، حيث تجسّد الشعور العربي المضاد لهذه الاتفاقية التي وقعها السادات مع إسرائيل، ومثّل الجزائر في هذه القمة وزير الخارجية أنذاك السيد عبد العزيز بوتفليقة[37]. وتقرر ما يلي:

- التأكيد على القرارات السابقة فيما يخص القضية الفلسطينية، حيث أنّها قضية عربية، وهي جوهر الصراع العربي الإسرائيلي، وإن العرب المعنيون وملزمون بالنضال من أجلها، وإن استعادة الحقوق العربية في فلسطين مسؤولية قومية.
- ضرورة توحيد الجهود العربية كافة من أجل معالجة الخلل الاستراتيجي الذي نجم عن خروج مصر من المعركة، والذي حدّد المؤتمر من أجله كيفية تقديم المساعدة المادية لمدة 10 سنوات، حيث حدد المؤتمر حصة كل دولة من الدول المساندة فتعهدت الجزائر بدفع 250 مليون دولار، وذلك

36- مجلة الجيش، العدد175، بتاريخ: أكتوبر 1978، ص ص 24-25.
37- عبد الحليم مناع العدوان، المرجع السابق، 188.

لدعم دول المواجهة العربية في الجبهتين الشمالية والشرقية ومنظمة التحرير الفلسطينية، ودعم صمود الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة[38].

- عدم الموافقة على اتفاقيات كامب دايفيد، ورفض كل ما يترتب عليها من آثار سياسية أو اقتصادية أو قانونية.
- دعوة الحكومة المصرية إلى العودة عن قرارها في توقيع الاتفاقيات، وعدم توقيع اتفاقية صلح مع إسرائيل، حيث في حال توقيع ذلك يتقرر عقد اجتماع لوزراء الخارجية والاقتصاد العرب من أجل أخذ الترتيبات اللازمة لنقل مقر الجامعة العربية، وتطبيق قوانين المقاطعة على أي جبهة مصرية تتعامل مع العدو الصهيوني[39].

ولكن وبعد التوقيع على اتفاقية الصلح بين مصر وإسرائيل في 26 مارس 1979، عقد وزراء الخارجية العرب تنفيذا للقرارات التي اتخذها مؤتمر القمة العربي التاسع في بغداد في الفترة الممتدّة من 27-31 مارس 1979، تقرر ما يلي:

- نقل مقر الجامعة العربية إلى تونس.
- سحب السفراء العرب فورا من مصر.
- تعليق عضوية مصر في الجامعة العربية
- قطع العلاقات السياسة والدبلوماسية مع مصر.

38- أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص304.
39- عبد الحليم مناع العدوان، المرجع السابق، 188.

وبناء على ذلك فقد تعهدت الجزائر بدفع 500 مليون دولار سنويا ولمدة 10 سنوات، ولدعم المواجهة العربية في الجبهتين الشمالية والشرقية، ومنظمة التحرير الفلسطينية.

لقد أزعجت مواقف الرئيس الهواري بومدين التاريخية المجسدة في حربي 1967 و1973، واستعمال سلاح النفط سنة 1973 الغرب المتصهين، فاستطاع الهواري بومدين إفشال مخطط اليهودي كيسنجر وزير خارجية الأمريكي في سياسته الخطوة–الخطوة لحل قضية الشرق الأوسط، الأمر الذي أفضى إلى اتهام كيسنجر بأنه كان وراء خطة اغتيال الرئيس بومدين[40].

وإثر وفاة بومدين بعثت اللجنة المركزية لحركة فتح برقية تعزية إلى رئيس دولة الجزائر المؤقت، وأعضاء مجلس الثورة جاء فيها:"...لقد كان للفقيد طوال سنوات نشاطه دور عظيم وبناء في ربط أواصر الأخوة بين الأقطار العربية، وفي رأب صدع به علاقاتها، فلم يوفر جهدا إلا بذله من أجل تعبئة وتجميع الصفوف العربية في مواجهة أعدائها من المستعمرين والصهاينة...وسيظل شعبنا الفلسطيني يذكر للرئيس الفقيد أن القرارات الأولى التي صدرت عن القمة العربية في الجزائر 1973 هي التي فتحت الباب أما الاعتراف العربي والدولي بالشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة، وبأنّ منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني".

40- أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص305.

وقال سفير فلسطين بالجزائر في كلمته التأبينية للفقيد بومدين:" إن الكلمات لا تفي لبومدين حقه فيما عمله، وضحى من أجله في سبيل الجزائر وفلسطين، والأمة العربية، وحركات التحرر المناضلة ضد الامبريالية والصهيونية... إن أجيالنا العربية ستذكر بومدين بكل اعتزاز وافتخار، وستذكر للجزائر بكل مناضليها ومجاهديها مواقفهم الشجاعة تجاه قضايا الأمة العربية عامة، والقضية الفلسطينية خاصة..."[41].

احتضنت الجزائر ندوة لوزراء جبهة الصمود في الجزائر يوم 24 ماي 1982، في نفس الوقت شهدت الضفة الغربية وغزة انتفاضة شعبية حيث عرفت المقاومة مرحلة جديدة فقامت الجزائر بتقديم السلاح والمال للبنانيين والفلسطينيين الذين طالبوا بمساعدات عسكرية[42]

ولم تتوقف الجزائر عن موقفها المتضامن والداعم للقضية الفلسطينية، حيث احتضنت الدورة التاسعة عشر للمجلس الوطني الفلسطيني في 15 نوفمبر 1988 برئاسة ياسر عرفات والذي أعلن فيه قيام دولة فلسطين[43].

**خاتمة:**

وفي الأخير وبعد دراستنا لموضوع "الجزائر والقدس ومشاريع تسوية القضية الفلسطينية" توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

41- جريدة الشعب، بتاريخ 28 ديسمبر 1978، ص ص06-07.
42- طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ص268.
43-محي الدين عميمور، أربعة أيام صححت تاريخ العرب، المصدر السابق، ص408.

1. لا بدّ من الإشادة بدور الجزائر الرائد إزاء مواقفها من القضية الفلسطينية: إذ فتحت أول مكتب لفلسطين عام 1963 سهل على قيادة فتح الاتصال بزعماء حركات التحرر في العالم والحصول على دعمهم، وأول من قام بتدريب المقاتلين الفلسطينيين على أراضيها ومدهم بالسلاح والمال، وكانت أقوى المدافعين عن الموقف الفلسطيني في المحافل الدولية كالجامعة العربية وحركة عدم الانحياز والجمعية العامة للأمم المتحدة، وهي الأكثر اشتراكا بالمال والسلاح والرجال في حربي 1967 و1973.
2. إن اتفاقية كامب دايفيد في سبتمبر 1978 والسياسة الأمريكية الإسرائيلية أدت إلى انسحاب مصر أكبر دولة عربية عسكريا وسياسيا وبشريا أن تعزل مصر عن العالم العربي، ثم توقيع معاهدة الصلح المنفردة في مارس 1979 نشأ حلف بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية أصبح بمثابة أداة قمع وتهديد للدول العربية، حيث نجد أن الرئيس الأمريكي كارتر يقول:"... لن يكون بمقدور أحد في المنطقة أن يرفع رأسه".
3. كانت الجزائر أول من اعترفت بالدولة الفلسطينية التي أعلن عن قيامها في عام 1988، وأول من وقعت اتفاقية ثقافية علمية وتقنية مع منظمة التحرير الفلسطينية في عام 1991 ساوت فيها بين الجزائري والفلسطيني، وطبعا لا زالت الجزائر واقفة ثابتة على هذا الموقف الإيجابي من أجل حق فلسطين والشعب الفلسطيني في تقرير مصيره مثله مثل كل الشعوب العربية المسلمة.

## قائمة المصادر والمراجع:


- **المصادر:**

1. غالي بطرس بطرس وبيريز شيمون، حوارات مع أندريه فرساي، ستون عاما من الصراع في الشرق الأوسط شهادات للتاريخ، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2008.
2. المجدوب طه، حرب أكتوبر...طريق السلام، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، 1993.
3. دايان موشي، أنا وكامب دايفيد، ترجمة غازي السعيد، دار الجليل للنشر، عمان، 1987.
4. الجسمي محمد عبد الغاني، مذكرات الجسمي حرب أكتوبر 1973، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.
5. الإبراهيمي أحمد طالب، مذكرات جزائري، ج3، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
6. عميمور محي الدين، لله وللوطن المجموعة السادسة، موفم للنشر، الجزائر، 2015.
7. عميمور محي الدين، أربعة أيام صححت تاريخ العرب، دار هومة، الجزائر، 2010.

- **المراجع:**

**-الكتب:**

1. أباظة شامل، الوجه الآخر لاتفاق كامب دايفيد، مركز الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.

2. فرحات جمال، السياسة الأمريكية في الجزائر التحولات الكبرى 1962-1989، ج2، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، 2008.

- **المقالات:**

1. كمون عبد السلام، اتفاقية كامب دايفيد 1978 وانعكاساتها على العلاقات الجزائرية-المصرية، مجلة رفوف، العدد11، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، جامعة أدرار، الجزائر، مارس 2017.
2. مجلة الجيش، العدد175، بتاريخ: أكتوبر 1978.

- **الرسائل والأطروحات الجامعية:**

1. أبو جزر أحمد، بلدان المغرب العربي والقضية الفلسطينية 1948-1978 (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2013-2014.
2. عدوان عبد الحليم مناع، القضية الفلسطينية في مؤتمرات القمة العربية 1964-1990، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر، عمان، 1991.

- **الجرائد:**

1. جريدة المجاهد، العدد 902، بتاريخ: 25 نوفمبر 1977.
2. جريدة الشعب، بتاريخ 28 ديسمبر 1978.

# الأوضاع الاقتصادية في القدس: التطورات والمسارات


- د. سالي محمد فريد
- جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية



**الملخص:**

سعت هذه الدراسة إلى تحليل الأوضاع الاقتصادية في القدس، والتعرف على هيكل الاقتصاد، وتحليل الأداء الاقتصادي لأهم القطاعات والأنشطة في القدس، وذلك من خلال التعرف على أهم المؤشرات الاقتصادية في مختلف القطاعات، من أجل الوقوف على مدى تنمية اقتصاد القدس.


**أولا: نظرة عامة على الأداء الاقتصادي الفلسطيني**

تُعتبر القيود الاقتصادية الأكثر تأثيرًا بعدما كان الاقتصاد حجر الأساس في النظام القائم في الضفة الغربية. فقد تسببت أزمة كورونا بالتراجع الاقتصادي الأكثر حدة في فلسطين (ولا سيما في الضفة الغربية) في ما يقرب من عقدين من الزمن. وتتجلى هذه الأزمة من خلال عدد من الظواهر المقلقة:

بحسب الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني لعام 2019، توقفت حوالي 100 ألف منشأة بشكل شبه كامل عن العمل من أصل 142 ألف منشأة عاملة في الأراضي الفلسطينية من المؤسسات الصغيرة والمتوسطة

الحجم، مما تسبّب بتفاقم مشكلة البطالة في أوساط الشباب بشكل خاص. وفي الضفة الغربية، تضاعف معدل البطالة وارتفع من 17 إلى 35 %؛ كما سجل زيادة ملحوظة في غزة، ليرتفع من نسبة 45 % العالية أساسًا إلى نسبة أسوأ حتى بلغت 52 %[1].

هذه الإحصائيات تعني أنه من أصل نحو مليون فلسطيني ضمن القوى العاملة، انضم نحو 300 ألف إلى العاطلين عن العمل، منهم 200 ألف من القطاع الخاص الفلسطيني و100 ألف كانوا يعملون في إسرائيل. وحتمًا تسبب هذا الأمر بازدياد رقعة الفقر؛ فمنذ بداية أزمة فيروس كورونا، باتت 120 ألف عائلة إضافية تعيش تحت خط الفقر الرسمي. وما يزيد الوضع سوءًا هو أن المؤسسات الإنسانية معرّضة للخطر بدورها – ويعزى ذلك جزئيًا إلى الضغوط الإسرائيلية على المصارف الفلسطينية لإغلاق الحسابات التي تحوّل الأموال إلى السجناء الإرهابيين الفلسطينيين وعائلاتهم. هذا ويتزامن التراجع الاقتصادي مع قيود مدمرة سياسية وأخرى تتعلق بعملية السلام، تشكّل جزءًا لا يتجزّأ من التزام السلطة الفلسطينية بالتقيد باتفاقاتها المبرمة مع إسرائيل[2].

يُعاني 70% من سكّان قطاع غزة المُحاصَر من انعدام الأمن الغذائي، كما أن 33.8% منهم يعيشون تحت خط الفقر المدقع، وعدد كبير من سكان قطاع غزة يضطرون لشراء الأغذية ومياه الشرب عن طريق

1 الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي 2019، فلسطين.
2 المرجع السابق مباشرة.

الاستدانة بسبب ضعف التمويل الغذائي للأسر الفقيرة وعدم توفر مياه صالحة للشرب[3]. لقد شهد عام 2019 تراجعاً في معدلات النمو الاقتصادي نتيجة الحصار والانقسام الفلسطيني. فقد كانت معدلات النمو السالبة هي الأساس والسائدة خلال عام 2019. فقد بلغ معدل النمو الاقتصادي في قطاع غزة – 8، في حين تراجعت في الضفة الغربية إلى حوالي 2%. وتراجع نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في النصف الأول من عام 2019 في الأراضي الفلسطينية بنسبة 3.2% حيث بلغ نصيب الفرد حوالي 745 دولارًا. كما تراجع معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي في قطاع غزة 4% مقارنة بالنصف الأخير من عام 2018، وبلغ نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي بغزة 350 دولارًا، وتراجع في الضفة الغربية بنسبة 1.3%[4].

وتتمثل الأسباب التي أدت لهذا التراجع في: الحصار على قطاع غزة، والإجراءات الإسرائيلية في الضفة الغربية، وعدم تطبيق الاتفاقيات الموقعة بين السلطة وإسرائيل. وقد تراجع مؤشر دورة الأعمال الفلسطينية الذي يقيس حجم المبيعات والمشتريات في الأراضي الفلسطينية تراجعًا ملحوظًا في الضفة الغربية ليصل إلى السالب لأول مرة في تاريخه، في حين يصل في قطاع غزة لـ –27. هذا بالإضافة إلى زيادة نسبة البطالة في الأراضي الفلسطينية بشكل

3 وزارة التربية والتعليم العالي، الكتاب الإحصائي السنوي للتعليم في محافظات غزة، للعام الدراسي 2020/2019، فلسطين.
4 المرجع السابق مباشرة.

ملحوظ، حيث بلغت نسبتها في قطاع غزة حوالي 46% في الربع الثالث من عام 2019، في حين بلغت في الضفة الغربية نسبة 18%. ووصلت نسبة الفقر في قطاع غزة إلى 70% وهي نسبة مرتفعة[5].

إن مساهمة القطاعات الإنتاجية باتت في حالة تراجع، حيث ساهم القطاع الزراعي في قطاع الزراعة بغزة بـ 4% في حين وصلت في الضفة الغربية لـ 3%، أما الصناعة فبلغت مساهمتها 6% بغزة و9% بالضفة الغربية. إن المؤشرات الأساسية للاقتصاد الفلسطيني لم تتطور وإنما تراجعت سلبيًّا أكثر عام 2019[6].

أما فيما يتعلق بأداء الاقتصاد الفلسطيني عام 2020 فأنه متعلق بالظروف السياسية والأمنية المحيطة بالنشاط الاقتصادي للسلطة الفلسطينية، حيث أن الانقسام له دور سلبي للغاية على الاقتصاد الفلسطيني وخصوصاً في قطاع غزة، وأي حالة اندماج للاقتصاد في غزة والضفة الغربية سيكون لها آثارا إيجابية. في حين أن من الصعب تحليل الوضع الاقتصادي في عالم لا يزال يعاني من تفشي الجائحة، لكن، مما لا شك فيه أن وقع الجائحة سيمتد بعد عام 2021. فإن فهم طرق تعامل البلدان العربية مع آثار الجائحة الاقتصادية هو أمر في غاية الأهمية. وتحذر التقارير الاقتصادية من أنّه رغم توقع معدلات نمو إيجابية في كلا السيناريوهين، فإن هذا غير كافٍ لخلق ما يلزم

5 معهد القدس لبحث السياسات، الكتاب الإحصائي لأورشليم القدس 2019، فلسطين..
6 المرجع السابق مباشرة.

من فرص عمل لائقة. فالبطالة في المنطقة العربية مرجّحة للارتفاع إلى 12.5% عام 2021، وستبلغ أعلى معدلاتها في فلسطين (31%) وليبيا (22%). دمرت الحروب العدوانية الإسرائيلية مساحات واسعة من الأراضي الزراعية في القطاع، إذ تضرر ما يقارب 13723 من المحاصيل الزراعية عام 2018. وانخفض عدد الصيادين المسجلين في قطاع غزة من 10 آلاف في العام 2000 إلى 3700 صياد عام 2019، وذلك بسبب القيود والاعتداءات الإسرائيلية المستمرة على الصيادين، ويعيش نحو 95% من صيادي غزة تحت خط الفقر[7]. تضمنت إجراءات الطوارئ للوقاية من كورونا، في مارس 2020، قيودًا على الحركة والنشاط الاقتصادي في قطاع غزة، أدت إلى تفاقم الأوضاع الاقتصادية المتفاقمة أصلًا قبل الجائحة. وأظهرت بيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أن الناتج المحلي الإجمالي الفلسطيني انكمش بنسبة 4.95% خلال الربع الأول من العام 2020، بواقع 4.6% في الضفة و6.1% في القطاع، كما تراجع نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في غزة إلى 331 دولار، بنسبة 7%. وتراجع عدد منشآت القطاع الخاص العاملة في قطاع غزة من 34.302 إلى 13.103، تمثل 28% من إجمالي المنشآت، وتشغل نحو 25.6% فقط من إجمالي العاملين فيها[8].

7 معهد القدس لبحث السياسات، الكتاب الإحصائي لأورشليم القدس 2020، فلسطين.
8 الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي 2020، فلسطين.

توقّع البنك الدولي أن ينكمش الاقتصاد الفلسطيني بنسبة 7.6% على الأقل، إذا عادت الأوضاع الطبيعية تدريجيًا بعد احتواء الفيروس، وقد تصل النسبة إلى 11% إذا كان الانتعاش أبطأ، أو فرضت قيود إضافية، بينما يتوقع الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أن تصل النسبة إلى 14% في العام 2020. وجاءت الآثار المترتبة على انتشار كوفيد 19 على النحو التالي:-

1- توقف العمل في القطاع السياحي بنسبة 100% نتيجة لإغلاق الفنادق والمطاعم وشركات السياحة والسفر وغيرها، ويقدر عدد العاملين في الأنشطة ذات العلاقة بالقطاع السياحي بحوالي 8700 عامل.
2- توقفت شركات المقاولات عن العمل، باستثناء المشاريع الطارئة، إذ تعطّلت 200 شركة مقاولات يعمل فيها حوالي 10 آلاف عامل بالقطاع.
3- توقفت المنشآت الصناعية في قطاع غزة عن العمل بشكل شبه كامل، مما أدى إلى خسائر فادحة، وفقدان حوالي 10 آلاف عامل لوظائفهم.
4- تراجع القطاع التجاري بنسبة تراوحت بين 60%-70%، وذلك بسبب انخفاض القدرة الشرائية للمواطنين، وتوجههم نحو السلع الغذائية والصحية الضرورية.
5- تراجعت إنتاجية قطاع التكنولوجيا بشكل حادّ، وتضرر ما يزيد على 3 آلاف عامل يعملون في شركات الحاسب والبرمجيات والصيانة وخدمات التدريب والاستشارات.

6- تضرر قطاع النقل والمواصلات في قطاع غزة بنسبة 80% تقريبًا، بسبب توقف الجامعات والمدارس وإغلاق المؤسسات الحكومية. ويبلغ عدد العاملين في هذا القطاع حوالي 3 آلاف عامل.

7- أغلقت كافة منشآت رياض الأطفال البالغ عددها 700 منشأة، إضافة إلى 53 مدرسة خاصة و363 مركزًا تعليميًا، تشغّل نحو 5 آلاف عامل.

8- بلغ عدد العاطلين عن العمل في قطاع غزة، خلال الربع الأول من عام 2020، حوالي 211 ألفًا، بنسبة 46% من المشاركين في القوى العاملة. وانخفض عدد العاملين في السوق المحلي بمقدار 121 ألف عامل، في الربع الثاني من عام 2020، بنسبة 17% في القطاع و8% في الضفة.

9- وصل معدل الفقر وفقًا لأنماط الاستهلاك، خلال الربع الأول من عام 2020، حوالي 53%، والفقر المدقع حوالي 34%، فيما بلغت نسبة انعدام الأمن الغذائي لدى الأسر 68%، أي حوالي 1.3 مليون نسمة. ويتوقع البنك الدولي أن تصل نسبة الفقر في غزة إلى 64% في حال استمرار إجراءات الطوارئ.

10- دخل قطاع غزة مرحلة حرجة بعد اكتشاف مصابين بفيروس كورونا خارج مراكز الحجر الصحي، في أغسطس 2020، وفرضت إجراءات مشددة، تضمنت إعلان حظر التجوال، وفصل مناطق بشكل كامل، مما أدى لتفاقم الوضع الاقتصادي[9].

9 المرجع السابق مباشرة.

## ثانيا: تحليل الهيكل الاقتصادي في القدس

أ- **عداد السكان:** يقدر عدد سكان القدس في منتصف عام 2019 بحوالي 451584 نسمة. ويمثل عدد سكان القدس 9.1٪ من إجمالي السكان في فلسطين و15.1٪ من إجمالي السكان في الضفة الغربية. في عام 2018، بلغ التوزيع النسبي للسكان في محافظة القدس 107.6 ذكر لكل 100 أنثى[10].

ب- **الكثافة السكانية:** تبلغ المساحة الإجمالية للقدس 345 كم 2. وبلغت الكثافة السكانية في محافظة القدس 1293 (فرد / كم 2) في منتصف عام 2019[11]

شكل رقم (1)

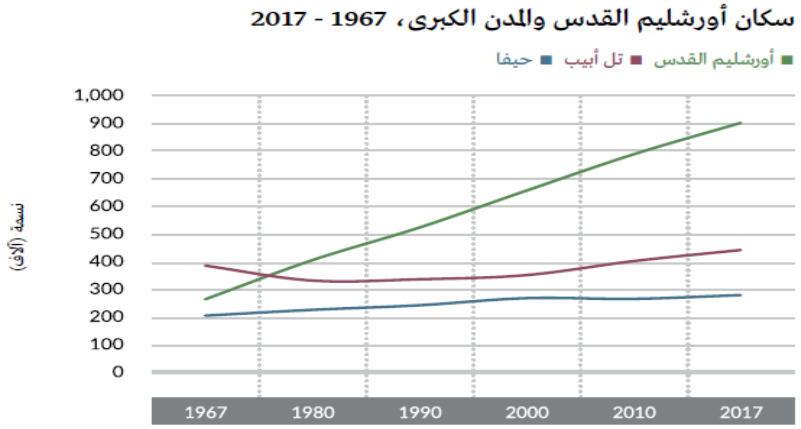


10 Palestinian Central Bureau of Statistics, Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020, Palestine.
11 Ibid.

Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

شكل رقم (2)

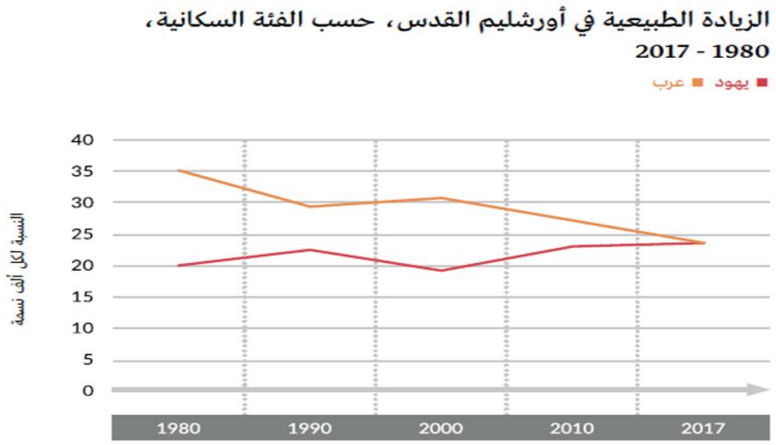


Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

بلغت نسبة المشاركة في القوى العاملة للأفراد (15 سنة فأكثر) في محافظة القدس 35.8٪ في عام 2019 (60.4٪ للذكور و 12.2٪ للإناث). بلغ معدل البطالة في القدس للأفراد (15 سنة فأكثر) 6.8٪ في عام 2019. وبلغ معدل العمالة في القدس للأفراد (15 سنة فأكثر) 93.2٪ في عام 2019.

شكل رقم (3)

توزيع المشتغلين في القدس حسب الحالة العملية 2019 %

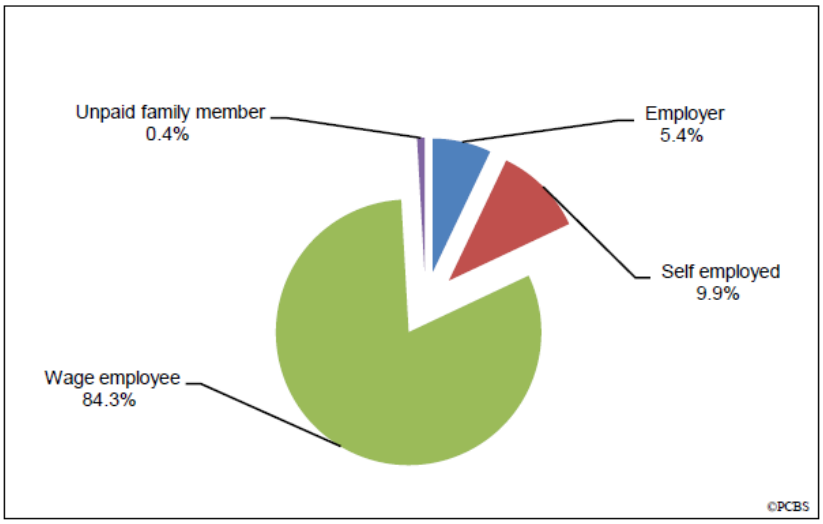


Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

يتضح من الشكل السابق أن توزيع المشتغلون في محافظة القدس حسب الحالة الوظيفية لعام 2019 كان على النحو التالي: 5.4٪ صاحب عمل، 9.9٪ يعملون لحسابهم الخاص، 84.3٪ مستخدمين بأجر، و 0.4٪ أفراد أسرة غير مدفوعي الأجر.

شكل رقم (4)

العاملون الذين يعملون في أورشليم القدس، حسب المهنة (المهن الرئيسية) والجنس، 2017

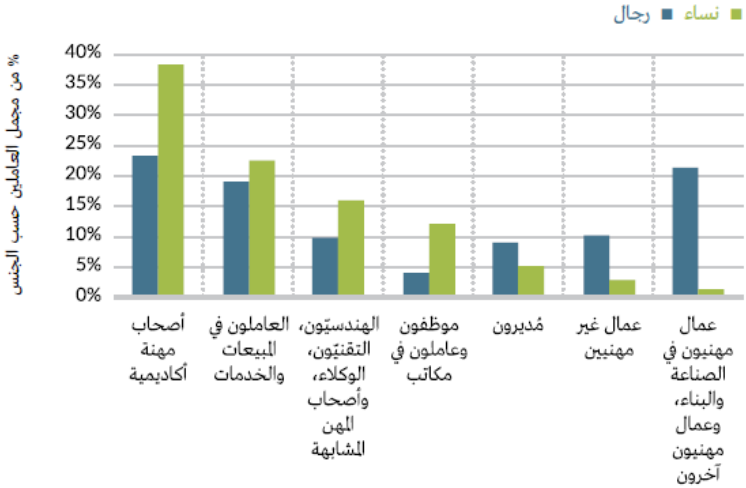


Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

## ج- مستويات المعيشة

يعتبر الدخل من الأجور المكتسبة من العمل في إسرائيل المصدر الرئيسي لدخل الأسرة بالنسبة لـ 41.6٪ من الأسر في القدس في عام 2018، وشكل الدخل من القطاع الخاص 21.4٪، حيث كان الدخل من مخصصات التأمين الوطني المصدر الرئيسي لدخل الأسرة بنسبة 17.2 %. وتمثل الأجور من القطاع الحكومي 4.5٪ من الأسر في محافظة القدس[12].

12 معهد القدس لبحث السياسات، الكتاب الإحصائي لأورشليم القدس 2020، مرجع سبق ذكره.

شكل رقم (5)

توزيع الأسر الفلسطينية في محافظة القدس حسب المستوى المعيشي من وجهة نظر الأسرة 2018 (٪)

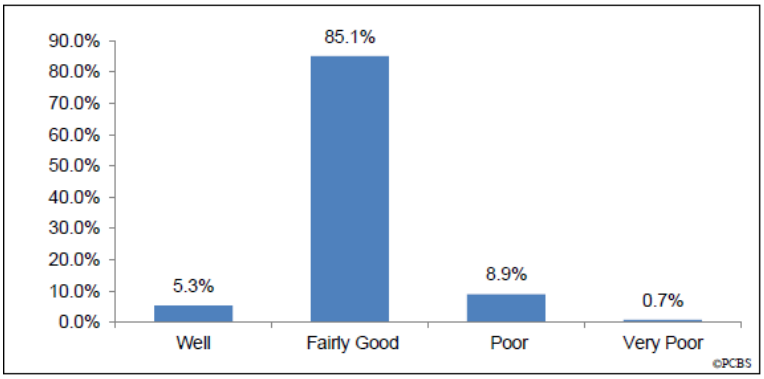


Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

أوضح الشكل السابق أنه تم وصف حوالي 5.3٪ من الأسر الفلسطينية في محافظة القدس من وجهة نظر الأسرة مستوى معيشتهم أنه جيد، ووصف 85.1٪ المستوى المعيشي بأنه "جيد إلى حد ما" و 8.9٪ فقير و 0.7٪ فقير جدًا في عام 2018.

شكل رقم (6)

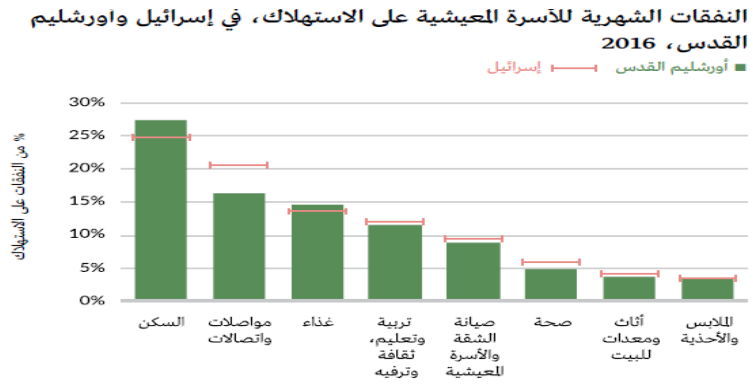


Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

شكل رقم (7)

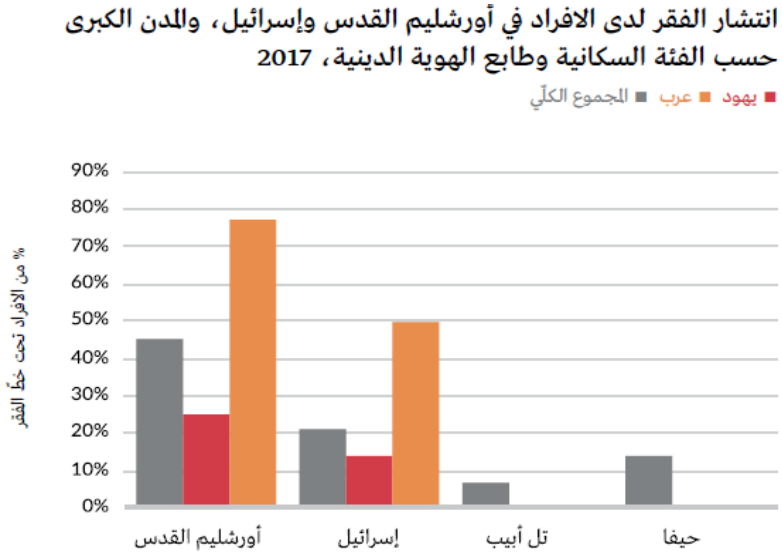


Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures**

**Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

**د- الحسابات القومية**

شكل رقم (8)

توزيع القيمة المضافة في القدس حسب النشاط الاقتصادي %

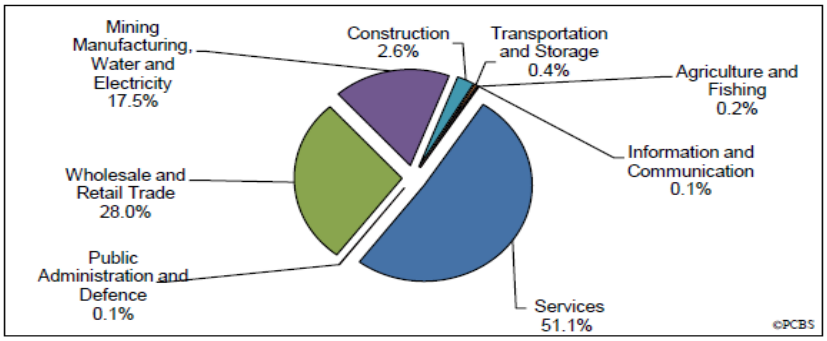


Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures**

**Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

بلغ إجمالي القيمة المضافة بالأسعار الجارية 1321.6 مليون دولار أمريكي لعام 2018 في القدس J1 مقابل 1316.2 مليون دولار أمريكي في عام 2017. وارتفع الرقم القياسي لأسعار المستهلك في القدس بنسبة 1.37٪ عام 2019 مقارنة بعام 2018، وبنسبة 1.04٪ عام 2018 مقارنة بعام 2017.[13]

13 Palestinian Central Bureau of Statistics, op.cit.

## هـ- التعليم

**1- المدارس:** في العام الدراسي 2020/2019، كان هناك 265 مدرسة، وبلغ عدد طلاب المدارس 73887 طالب وطالبة منهم 35990 ذكر و 37897 أنثى[14].

شكل رقم (9)

**التلاميذ في جهاز التربية والتعليم في أورشليم القدس، بحسب الوسط، 2017/18**

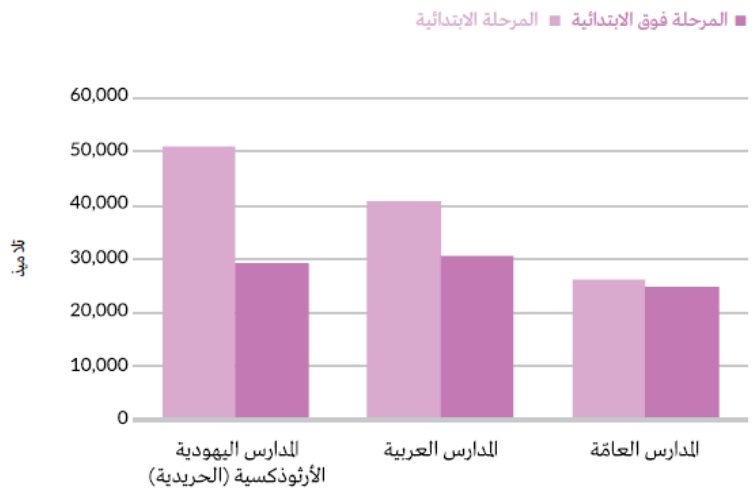


Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

بلغ متوسط عدد الطلاب لكل معلم 15.8 في المدارس الحكومية، و 22.5 في مدارس الأونروا، و 15.6 في المدارس الخاصة[15].

14 وزارة التربية والتعليم العالي، الكتاب الإحصائي السنوي للتعليم في القدس 2020، فلسطين.

شكل رقم (10)

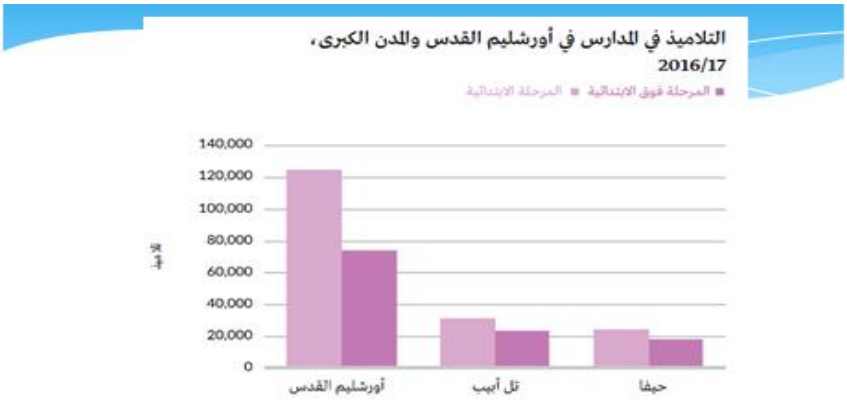


Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

بلغ متوسط عدد الطلاب في الصف الواحد 21.8 في المدارس الحكومية، و 30.1 في مدارس الأونروا، و 23.5 في المدارس الخاصة[16]..

**2- التعليم العالي** : في العام الدراسي 2019/2018، بلغ عدد الطلاب الجامعيين 12.446 منهم 4857 ذكور و 7589 إناث. وبلغ عدد الطلاب الجامعيين 259 طالبًا منهم 29 طالبًا و 230 إناثًا. وهناك 2805 خريجين جامعيين منهم 1148 ذكور و 1657 إناث.

15 المرجع السابق مباشرة.
16 نفس المرجع السابق.

شكل رقم (11)

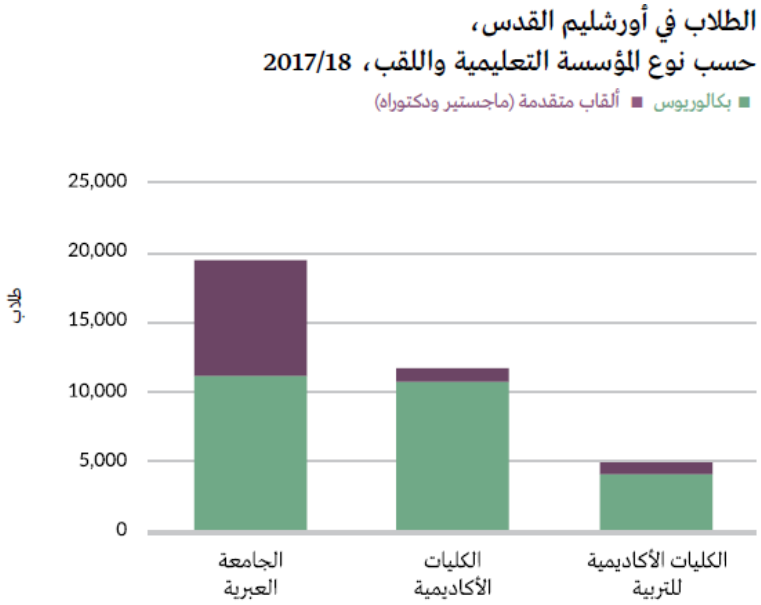


Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

و- **الصحة:** يوجد 7 مستشفيات في محافظة القدس بسعة 716 سريرا في عام 2018. وبلغ العدد الإجمالي لحالات الخروج من مستشفيات القدس 80478 في عام 2018. وفي عام 2017، أفاد حوالي 79.7٪ من الأفراد في محافظة القدس (J2) أن لديهم تأمينًا صحيًا. وبلغت نسبة السكان الفلسطينيين ذوي الإعاقة في محافظة القدس (J2) حوالي 1.8٪ في عام 2017[17].

17 Palestinian Central Bureau of Statistics, op.cit.

## ز- البنية التحتية

**1- الكهرباء:** بلغ عدد الوحدات السكنية في محافظة القدس (J2) التي تم تزويدها بالكهرباء عبر شبكة كهرباء عامة خلال عام 2017 حوالي 22974 وحدة سكنية، و 315 وحدة سكنية من خلال مولد خاص، و 22 وحدة سكنية بدون كهرباء، و 9031 وحدة سكنية ذات مصدر غير معلن للكهرباء[18].

**2- المياه:** تم تزويد 22476 أسرة في القدس (J2) بمياه الشرب من خلال شبكة المياه العامة، وتم تزويد 466 أسرة بمياه الشرب من خلال المياه المعبأة في زجاجات، واستخدمت 136 أسرة مياه الأمطار لتوفير المياه خلال عام 2017[19].

**3- المنشآت:** بلغ عدد المنشآت العاملة في القطاع الخاص والمنظمات غير الحكومية والشركات الحكومية في القدس 9704 منشاة في عام 2017. هذه المؤسسات توظف 34786 عاملاً، منهم 15604 في (J2) و 19182 في (J1)[20].

18 الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي 2020، مرجع سبق ذكره.

19 المرجع السابق مباشرة

20 Palestinian Central Bureau of Statistics, op.cit.

شكل رقم (12)

المنشآت العاملة والعاملين في القطاع الخاص والقطاع الأهلي والشركات الحكومية في القدس 2017

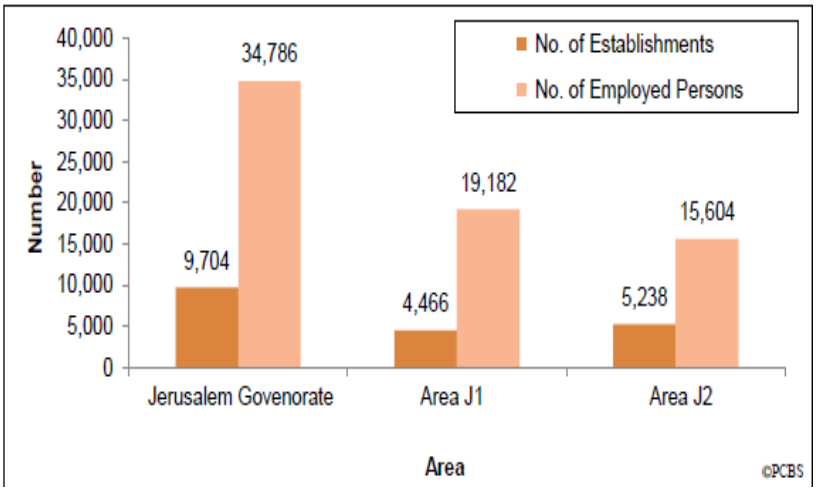


Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

وحسب النشاط الاقتصادي الرئيسي يوجد 5326 منشأة في تجارة الجملة والتجزئة، 2693 منشأة لإصلاح المركبات ذات المحركات والدراجات النارية؛ 1239 منشأة في التصنيع ؛ و 969 منشأة في الأنشطة الخدمية الأخرى.

**ح- قطاع النقل**

بلغت قيمة إنتاج هذه المركبات 5.7 مليون دولار عام 2019، وبلغت القيمة المضافة التي حققتها وسائل النقل خارج المؤسسات 3.3 مليون دولار عام 2019[21]. في النقل والتخزين: كان هناك 189 منشأة عاملة في القدس عام 2018، وبلغ عدد العاملين في هذا القطاع في القدس 712 عاملاً عام 2018. وبلغت قيمة الإنتاج في القدس 8.5 مليون دولار. كما بلغت القيمة المضافة التي حققتها النقل والتخزين 5.0 مليون دولار عام 2018[22].

**ط- الزراعة واستخدام الأراضي:**

حوالي 8.6٪ من الأسر في القدس كان لديها حديقة اعتبارًا من 2015. وحوالي 98.2٪ من الأسر التي لديها حديقة في القدس استخدمتها في الأنشطة الزراعية خلال العام الزراعي 2014/2013. وحوالي 3.5٪ من الأسر في القدس تقوم بتربية المواشي (المنزلية) [23].

**ك- البناء:**

صدرت 23 رخصة لأغراض غير سكنية في القدس (J2 بمساحة 19.4 ألف م 2 في عام 2019. وبلغت قيمة الإنتاج في أنشطة البناء بالقدس 20.9

21 Idem.
22 Idem cit.
23 الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي 2019، مرجع سبق ذكره.

مليون دولار عام 2018. وبلغت القيمة المضافة التي حققتها أنشطة البناء 16.8 مليون دولار في عام 2018.

**ل- القطاع الصناعي :**

بلغت قيمة إنتاج تلك الشركات 518.7 مليون دولار، وفي عام 2018 بلغت القيمة المضافة التي حققها القطاع الصناعي 343.3 مليون دولار[24].

شكل رقم (13)

المؤشرات الاقتصادية للأنشطة الصناعية في القدس عام 2018 بالألف دولار

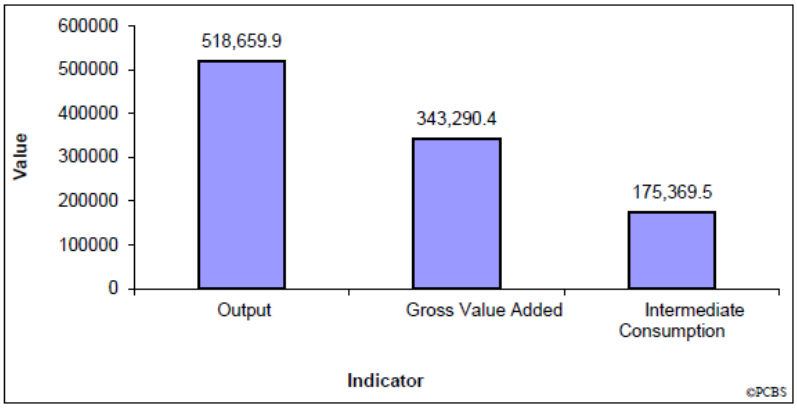


Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

**م- معاصر الزيتون**

24 المرجع السابق مباشرة.

هناك ثلاث معاصر زيتون عاملة في القدس يعمل بها 16 عاملاً في عام 2019. وبلغت قيمة إنتاج هذه المعاصر 260.7 ألف دولار. وبلغت القيمة المضافة التي حققها قطاع معاصر الزيتون 205.2 ألف دولار[25].

## ن- قطاع الاتصالات والمعلومات

بلغ عدد المنشآت العاملة في القدس 44 منشأة عام 2018، وبلغ عدد العاملين في هذا القطاع 58 عاملاً. وبلغت قيمة الإنتاج في القدس 2.1 مليون دولار عام 2018. كما بلغت القيمة المضافة التي حققتها أنشطة المعلومات والاتصالات 1.7 مليون دولار عام 2018. وهذا يتضح من الشكل البياني التالي:

شكل رقم (14) أهم المؤشرات الاقتصادية لأنشطة المعلومات والاتصالات بالقدس 2018 (القيمة بآلف دولار)

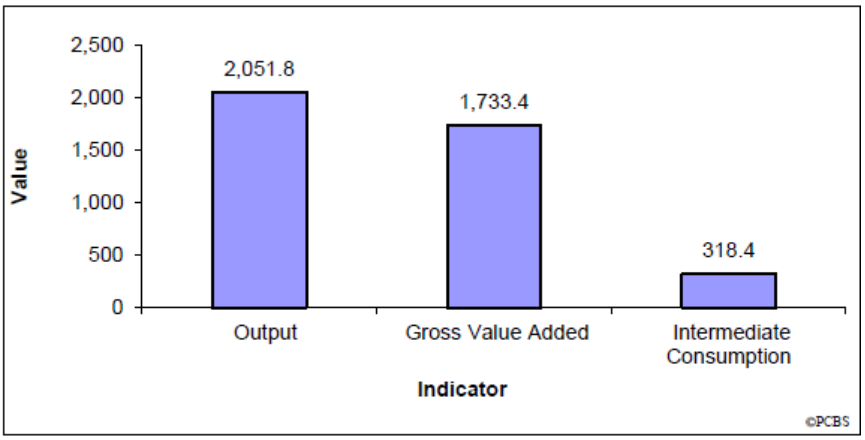


25 Palestinian Central Bureau of Statistics, op.cit..

Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

**ي-قطاع الخدمات**

بلغ عدد المنشآت العاملة في قطاع الخدمات بالقدس 3053 عام 2018، وبلغ عدد العاملين في هذا القطاع 16343 عاملا. وبلغت قيمة الإنتاج في القدس 654.5 مليون دولار عام 2018. كما بلغت القيمة المضافة التي حققها قطاع الخدمات 492.6 مليون دولار عام 2018[26].

1- **التجارة الداخلية:** بلغ عدد المنشآت العاملة في القدس 4345 منشأة عام 2018، وبلغ عدد العاملين في هذا النشاط في القدس 10081 عاملاً في عام 2018، وبلغت قيمة الإنتاج في القدس 581.2 مليون دولار. كما بلغت القيمة المضافة التي حققتها أنشطة التجارة الداخلية 457.7 مليون دولار في عام 2018.

2- **التجارة الخارجية:** ارتفعت القيمة الإجمالية للواردات السلعية المسجلة إلى القدس في عام 2018 بنسبة 9٪ مقارنة بعام 2017 وبلغت 399.1 مليون دولار. وانخفضت القيمة الإجمالية للصادرات المسجلة من سلع القدس بشكل طفيف في عام 2018 بنسبة 0.9 % مقارنة بعام 2017 وبلغت 92 مليون دولار.

26 Ibid.

3-**السياحة:** بلغ عدد الفنادق العاملة 19 فندقا نهاية عام 2019 بواقع 987 غرفة و 2199 سريرا في القدس، وتراجع عدد الفنادق من 33 فندقاً في عام 1967 إلى 29 فندقاً في عام 2015.

شكل رقم (15)

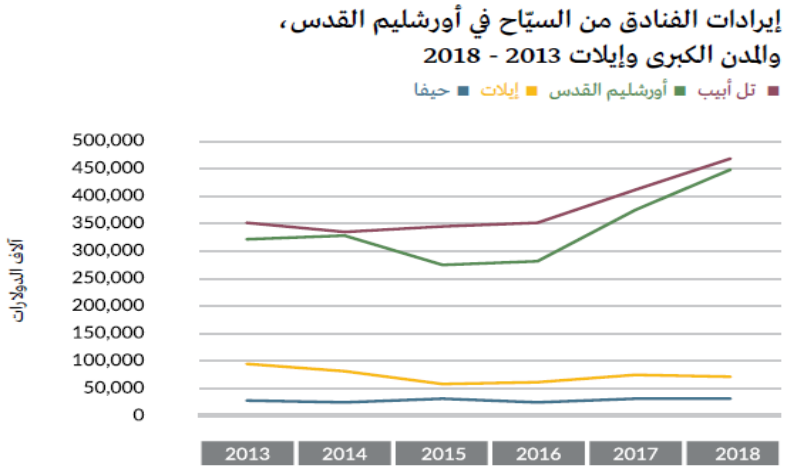


Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

شكل رقم (16)

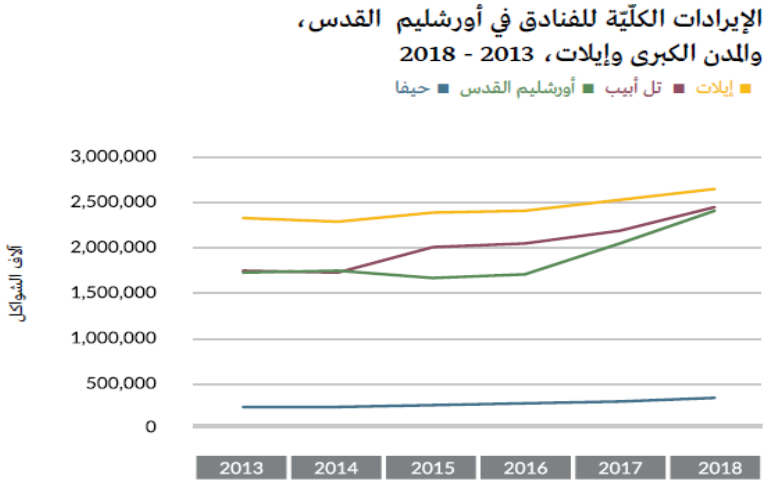


Source: Palestinian Central Bureau of Statistics, **Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020,** Palestine.

بلغ متوسط عدد العاملين في فنادق القدس 652 عاملا عام 2019.

وقد سجلت المهن والمنتجات الحرفية في القدس تراجعاً كبيراً وملموساً منذ الاحتلال الإسرائيلي ولم تعد تنتج سوى 17 % من احتياجات السائحين والباقي يتم استيراده من الخارج، وبخاصة من الصين بنسبة (18 %) والهند (13 %) من اجمالي انتاج المهن والمنتجات الحرفية[27].

27 Idem.

## ثالثا: العقبات التي حالت دون تنمية القدس

تتمثل أهم هذه العقبات في الانتهاكات الإسرائيلية، حيث أقامت 26 مستوطنة، 16 منها أقيمت على أراض مصادرة في القدس عام 2018. وبلغ عدد المستوطنين في مستوطنات القدس 311462 مستوطنًا، كما هدمت سلطات الاحتلال الإسرائيلي 2146 منزلا في القدس خلال الفترة (1967-2019).

لذا يمكن القول أن أولى هذه العقبات هي، سياسة التهويد والإلحاق والضم ومصادرة العقارات والأراضي وتهجير المقدسيين ومصادرة هوياتهم، وفصلها عن محيطها الفلسطيني، وتغيير معالمها العربية، وتعطيل الاستثمار والتنمية فيها، وبناء جدار الفصل العنصري حولها لخنقها.

والثانية، عدم جدية منظمة التحرير الفلسطينية وتراخيها هي والسلطة الوطنية وإهمالهما الملموس، وبخاصة منذ التوقيع على اتفاقية أوسلو 13 سبتمبر 1993، في دعم وتثبيت الوجود الفلسطيني في القدس وتنشيط أوضاعها الاقتصادية.

والثالثة، تردد وعزوف القطاع الخاص الفلسطيني عن الاستثمار في المدينة لأسباب مختلفة، لعل أهمها الخشية من تحقيق خسائر بسبب عدم وجود ضمانات أو حوافز من قبل السلطة الفلسطينية، إضافة إلى عدم رغبته في

الاستثمار، وضعف إحاطته وجهله بقواعد وشروط الاستثمار في القدس، والقدرة على التعامل مع القوانين والتشريعات والإجراءات الإسرائيلية ذات العلاقة، وعدم وجود حوافز مباشرة وغير مباشرة لتعويض القطاع الخاص.

ويظل الأمل في تحقيق تنمية اقتصادية فاعلة في القدس تزيل ما أفسده الاستعمار.....

## قائمة المصادر والمراجع

1. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، كتاب فلسطين الإحصائي السنوي 2019، 2020 فلسطين.
2. وزارة التربية والتعليم العالي، الكتاب الإحصائي السنوي للتعليم في محافظات غزة، للعام الدراسي 2020/2019، فلسطين.
3. معهد القدس لبحث السياسات، الكتاب الإحصائي لأورشليم القدس 2019، 2020 فلسطين.
4. Palestinian Central Bureau of Statistics, Facts & Figures Jerusalem Statistical Yearbook 2020, Palestine.

# التطورات السياسية بالقدس الشريف ما بين 1938-1950:دراسة من خلال صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

- د لهلالي سلوى، جامعة سطيف2، الجزائر
- أ.د. لهلالي إسعد، جامعة سطيف2، الجزائر

## الملخص

دخلت فلسطين العربية في حلقة حضارية مغلقة منذ التغلغل الصهيوني الذي تحول إلى احتلال رسمي في 1948، وقد كانت منطقة القدس الشريف جزءا من تاريخ فلسطين حيث طالها الاضطهاد الصهيوني من خلال المشاهد الأليمة التي احتفظ التاريخ بها، خاصة وأنها عاصمة فلسطين ورمز الأمة الإسلامية من خلال المقدسات الدينية، ولهذا كان تركيز مخطط الاحتلال الصهيوني عليها لهذا عمل على تهويدها بالقوة، ونتيجة لهذه الوضعية التاريخية عرفت القضية تحركات سياسية من الطرفين وزخما سياسيا إما من أجل ايجاد الحلول أو تحرير فلسطين، غير أن التواطؤ الدولي وخضوع بعض الدول العربية والإسلامية للاستعمار جعل هذا مستحيلا .

ورغم كون الجزائر إحدى هذه الدول المستعمرة إلا أنها وقفت بإخلاص مع فلسطين ماديا من خلال لجان إعانة فلسطين وحتى معنويا، إلى جانب مشاركة شخصيات جزائرية في مؤتمرات القضية الفلسطينية كمشاركة الشيخ إبراهيم أطفيش

في مؤتمر القدس 1931، وهو ما سنحاول إبرازه من خلال هذه الورقة البحثية، والموسومة بالتطورات السياسية بالقدس ما بين 1938–1950 من خلال جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي عاصرت أحداث القدس في تلك الفترة، وحررت حولها مقالات عديدة خاصة في البصائر والشهاب من خلال سرد كل الأخبار والمستجدات بخصوص القدس في السياسة العالمية وتحركات الصهاينة عسكريا من خلال إبراز جرائمهم ودسائسهم السياسية وهذا طبعا انطلاقا من أحداث تلك الفترة .

**المقدمة**

تعتبر القضية الفلسطينية من أبرز قضايا الأمة العربية والإسلامية منذ اغتصابها من طرف اليهود وإعلان دولتهم الوهمية والمشؤومة سنة 1948، ورغم أن التخطيط لمشروع دولة يهودية كان منذ نهاية القرن التاسع عشر ثم التوقيع على وعد بلفور المشؤوم في نوفمبر 1917، لتبدأ مرحلة التهويد بعد الحرب العالمية الأولى وتقسيم سنة 1937 ثم تقسيم سن 1947 فاعلان قيام الكيان الصهيوني سنة 1948.

وإذا عدنا إلى الأوضاع العامة في الدول العربية في بداية القرن العشرين فقد كانت سيئة خاصة مع السيطرة الأجنبية على مختلف الدول، ولم تكن لها القوة اللازمة لمواجهة المخطط اليهودي المدعم من الانجليز ثم الولايات المتحدة الأمريكية.

ورغم أنّ الجزائر كانت تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي إلا أن ذلك لم يمنع من دعم القضية الفلسطينية، ولقيت رفضا قاطعا لدى الاتجاهات الوطنية خاصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بزعامة الإمام عبد الحميد بن باديس التي دافعت عن القضية الفلسطينية خاصة في صحافتها ومن بينها البصائر التي كتبت عشرات المقالات حول فلسطين، وذلك بدعم من الشيخ عبد الحميد بن باديس ثم الشيخ البشير الإبراهيمي خاصة بعد إعلان قيام الكيان الصهيوني سنة 1948.

وسنستعرض في ورقتنا البحثية هذه أوضاع فلسطين وأهم الأحداث السياسية في الفترة المشار إليها في العنوان إلى جانب مختلف التحركات السياسية والشعبية من الطرف العربي والعالمي والصهيوني، وسنحلل هذه المقالات وأحداث المرحلة التي عاصرها الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي، وعليه موضوعنا يطرح إشكالية تاريخية تتمحور حولم المشهد السياسي في فلسطين من خلال أهم الأحداث التي طغت على المرحلة وتأثيرها على تطورات القضية من خلال صحافة جمعية العلماء المعاصرة لتلك الأحداث.

**أولا- نبذة عن صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:**

لقد اهتمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها في 5 ماي 1931 بمجالات عديدة، واهتمت من خلالها بواقع الشعب الجزائري من خلال صحافتها فكانت هذه الأخيرة بداية لتجسيد فكرة الصحافة الوطنية العربية

ويمكن القول بأنّ الجمعية دخلت الصحافة من بابها الواسع، حيث أنشأت العديد من الصحف والجرائد الخاصة بها بداية المنتقد سنة 1925ثم السنة النبوية التي تأسست سنة 1933 باسم الجمعية وقد صدرت تحت إشراف الشيخ ابن باديس[1]، كل يوم إثنين من كل أسبوع وأول عدد لها كان في 1 مارس 1933 في قسنطينة وتأسست هذه الصحيفة لهدف أساسي وهو نشر السيرة النبوية والدعوة إلى إتّباع مبادئ القرآن[2]وبعد صدور قرار تعطيلها في جويلية 1933، خلفتها جريدة الشريعة النبوية المحمدية، في 17 جويلية، وكانت حينذاك لسان حال الجمعية إلاّ أنّها صودرت بعد مدة قصيرة وآخر عدد لها كان في 28 أوت 1933وخلفتها صحيفة أخرى عرفت بالصراط السوي التي[3] ظهر عددها الأول في 11 سبتمبر 1933 كانت امتدادا لسابقتيها في كل الأمور وقد عطلت هي الأخرى بقرار من وزارة الداخلية الفرنسية بعد صدور 17 عددا منها، وبعد تعطيل هذه الصحف الثلاث، لم[4] تتمكن الجمعية من اصدار صحيفة أخرى إلاّ بعد سنتين، حيث أصدرت جريدة البصائر والتي تعد من أهمّ صحفها نظرا لأهميتها لما تركته من أثر عميق في الحياة الوطنية وقد

1 سليمان الصيد : نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، ط1، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد الجزائر : 1994ص 162

2 عبد الحميد بن باديس :" بواعثنا، عملنا، خطتنا، غايتنا " جريدة السنة النبوية المحمدية ،العدد 01 سنة 1933، ص 1

3 عمار الطالبي : آثار الامام عبد الحميد بن باديس، ج1، دار اليقظة العربية دمشق 1968، ص 87

4 محمد خير الدين : مذكرات الشيخ خير الدين، ج2، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر : 2002، ص 92 .

صدر عددها الأول يوم[5] الجمعة 27 ديسمبر 1935 واستمر صدورها حتى قيام الحرب العالمية الثانية (1939-1945) حيث أوقفت الجمعية صحفها واجتماعاتها إلى ما بعد الحرب ثم السلسلة الثانية من 1947 الى 1956، وبالإضافة إلى هذه الصحف الأربعة التابعة لجمعية العلماء، كانت الشهاب تمارس نشاطا كبيرا في التعبير عن مبادئ وأهداف الجمعية والتعريف بها.

كانت صحافة الجمعية تحمل راية البيان العربي وتكافح من أجل إحياء اللغة العربية وإرجاع الإسلام إلى حظيرته ونشر فكرة الإصلاح الديني كما عملت على محاربة الطرق الصوفية والإدارة[6] الاستعمارية وإحياء الشخصية الوطنية الجزائرية، وربطها بالوطن العربي والإسلامي ومحاربة السياسة الاستعمارية الرامية[7] إلى إدماج المجتمع الجزائري.

لقد كانت مقالات البصائر تمتاز بأساليب راقية و لغة سليمة وهذا ليس غريبا ما دام كتّاب هذه الجمعية اغلبهم من خرّيجي جامع الأزهر، و الزيتونة، و قاموا بنشر عدة مقالات في البصائر سواء، وكانت مميزة في مواضيعها

5 محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847-1939، الشركة الوطنية، الجزائر :1980، ص 181 .

6 Lieutenant – colonel betbeder : le réformisme algérien et l'' association des oulémas d'Algérie , revue l'Afrique et l' asie ,1 er trimestre année 1948 , p p40- 41

7 عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى(1931-1945)دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر : 1996، ص 105 .

الهادفة ولغتها الراقية رغم أن الجزائر كانت تئن تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، كما أن القضية الفلسطينية كانت حاضرة وهناك عشرات المواضيع حولها .

**ثانيا–فلسطين في صحافة جمعية العلماء من 1938 الى 1939 :**

إن الباحث في صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يجد أنها تابعت وساندت القضية الفلسطينية، فشيوخ الجمعية كانوا يرون أنها قضية العرب والمسلمين جميعا، ومنذ تقسيم سن 1937 المشؤوم وبمباركة انجليزية ومنذ وعد بلفور سنة 1917 الذي كان الراعي الرسمي لتأسيس وطن لليهود بفلسطين، فكتبت البصائر :" نكبت فلسطين العربية (من دون سائر بلاد الله) باستعمارين صهيوني وانجليزي فقاوم أبناؤها مقاومة شريفة ممتازة دلت على حيويتهم ونهوضهم وسجلها لهم التاريخ بمداد الفخر والإكبار، واستهانوا بأرواحهم وأموالهم وكل عزيز عليهم في سبيل إيقاف فضائع الاستعمار الانكليزي والصهيوني عند حده "[8]

وفي عدد آخر كتبت البصائر:"...تأسست لجنة... وكان أول عمل قامت به هو سحب تلغراف إلى وزير خارجية الحكومة بباريس يتضمن الاحتجاج على مشروع تقسيم فلسطين واستنكار عمل (لجنة بيل) الانجليزية، وقررت الجنة إرسال نسخة منه طي كتاب واحتجاج آخر إلى حضرة صاحب السماحة (محمد أمين الحسيني) رئيس اللجنة العليا في القدس "، كما نقلت صحيفة البصائر شقيقتها جريدة الزهراء التونسية ما يلي :"لا أدري بما تجازي انقلترا

8 جريدة البصائر، السلسلة الأولى، العدد : 78، بتاريخ 13 أوت 1937، ص 226.

اليوم لجنتها الملكية التي قررت تقسيم فلسطين وأثارت على السياسة الانقليزية هذه العاطفة العاتية من الغضب والاحتجاج في الشرق العربي والعالم الإسلامي وهدمت في يوم ما بنته تلك السياسة في سنوات، قالت تلك اللجنة كلمتها وقررت خطتها فاهتز لها المسلمون في كل قطر امتعاضا واستنكارا وهذا العالم الإسلامي يرسل صرخته الداوية من المحيط الهندي إلى المحيط الاطلانتيكي وأنها لقضية العرب والاسلام وللعروبة والإسلام ..."[9]

لم تكن جمعية العلماء وصحافتها منشغلة بأوضاع الجزائر فقط بل دافعت عن فلسطين فكتب رئيسها إلى وزير الخارجية الفرنسي، وبلهجة شديدة احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على تقسيم فلسطين سنة 1937 ومما جاء:" وزير الخارجية الفرنسية : باسم الأمة الجزائرية أرفع احتجاجي الشديد ضد مشروع تقسيم فلسطين ذلك القطر العربي الذي ضمت له العهود والمواثيق الدولية حفظ كيانه واستقلاله، واعتبر هذا المشروع قاضية على حياة شعب ضعيف دافع طيلة سنين عديدة دفاع الأبطال على شرفه وحريته واعتداء شنيعا على جميع الشعوب العربية وانتهاكا لحرمه الأماكن المقدسة عند سائر المسلمين، ولي الأمل في تدخل الحكومة الفرنسية بكل سرعة لمنع هذا التقسيم"[10]

9 جريدة البصائر، السلسلة الأولى، العدد : 78، بتاريخ 13 أوت 1937، ص 230
10 جريدة البصائر، السلسلة الأولى، العدد : 78، بتاريخ 20 أوت 1937، ص 234

ويؤكد الشيخ محمد الهادئ الحسني أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم ينسيها همّ وطنها وهمّ فلسطين، لأن فلسطين بالنسبة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ليست رقعة جغرافية عربية فقط وليست مكانة تاريخية فقط بل هي إضافة إلى ذلك " قضية دينية" وجمعية العلماء كانت معبرة عن حقيقة الشعب الجزائري وجوهره النبيل ومعدنه الأصيل حاملة القضية الفلسطينية[11]

لقد كان قرار التقسيم الاول سنة 137 صادما للعرب والمسلمين وبيّن مكر الانجليز واتفاقهم مع اليهود لإقامة دولتهم في أرض فلسطين الطاهرة، وهنا استمرت صحيفة البصائر في تتبع الأوضاع بفلسطين بل نقلت مساندة المغرب الأقصى للقضية الفلسطينية فكتبت:" لقد كان لدعوة الجنة الوطنية لمناصرة فلسطين والبلاد المقدسة الأمة المغربية لمشاركتها الأمة الإسلامية في الاحتجاج على مشروع تقسيم فلسطين ...حيث تجلى ذلك في المظاهرة المنوه عنها في البلاغ الأول التي كانت بمسجد القرويين يوم الجمعة 7 أغسطس، وفي نفس ذلك اليوم كانت جموع المسلمين تتسابق بمختلف المدن المغربية، كالدار البيضاء والرباط وسلا وغيرها من المدن للمساجد إذ اجتمعت هناك وتلت ما تيسر من القرآن مبتهلة لله تعالى الجبار أن يفرج كربات المسلمين بفلسطين، ثم وجهوا احتجاجهم إلى سعادة قنصل انكلترا العام بالرباط معلنين

11 محمد الهادي الحسني: فلسطين في كتابات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين www.echouroukonline.com

تأييدهم لإخوانهم العرب بفلسطين، ورفضهم مشروع تقسيم البلاد المقدسة ..." [12]. وحتى الشاعر محمد العيد آل خليفة كتب أبياتا منافحا فيها عن فلسطين فكتب:

يا قسمة القدس بنت ضيري  لم يدل القاسمون فيك
مضوا على الحيف لم يبالوا  بما جرى من دم سفيك
القدس لعرب من زمان  لن يقبلوا فيه من شريك
قد سامه الأجنبي خسفا  وهد من ركنه السميك
إخال شعب اليهود سرا  سباك بالمسجد السبيك
أهكذا تفصل القضايا  بكمها لجنة المليك؟
قد دل طغيان انكلترا [13]  على فناء لها وشيك

لم يتوقف دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين داخل الجزائر فقط بل وجهت خطابات عبر صحيفتها البصائر إلى العالمين العربي والإسلامي للذود عن خوانهم في فلسطين وإغاثتهم، وأشارت إلى الأعمال القاسية والمظالم إلي خلفت وراءها عددا عظيما من النساء والأطفال والعائلات التي استشهد أو جرح أو حبس أو اعتقل أربابها، وتضيف أن اللجنة المركزية لإغاثة منكوبي فلسطين توحد نداءها إلى أبناء العروبة والإسلام طلبا للمساعدة والمعونة والمالية المستعجلة، على أن ترسل التبرعات في بغداد إلى السيد ناجي باشا

12 جريدة البصائر، السلسلة الأولى، العدد:79،بتاريخ 20أوت 1937، ص 235.
13 جريدة البصائر، السلسلة الأولى، العدد: 79، بتاريخ 20أوت 1937، ص 233.

السويدي رئيس لجنة الدفاع عن فلسطين وفي مصر إلى سعادة الدكتور عبد الحميد بك الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين ورئيس اللجنة العليا لمساعدة منكوبي فلسطين بواسطة بنك مصر، وفي دمشق إلى فضيلة الشيخ محمد أفندي خير دياب رئيس الغرفة التجارية بها بواسطة بنك مصر – سوريا.[14] والحق أن التطورات السياسية بفلسطين تتبعتها صحيفة البصائر ونقلت ما كان يرتكبه الانجليز، وبالموازاة حضور أمراء العرب في حفلة تتويج ملك انجلترا، وعدم الاحتجاج على التنكيل بالمسجد الأقصى.[15]

ونقلت البصائر عن اجتماعات رجال فلسطين حسب ما كتبه القبس في 13 أكتوبر 1938 ما يلي:" كثرت اجتماعات رجال فلسطين الموجودين في دمشق في هذين اليومين لبحث الحلول والمقترحات التي قدمت في لندن، وفي المؤتمر البرلماني في القاهرة لحل القضية الفلسطينية وقد اشترك في هذه الاجتماعات بعض رجالات دمشق ويرجح أن يذهب يوم غد وفد من كبار الفلسطينيين غلى لبنان لمقابلة سماحة مفتي الديار الفلسطينية الحاج أمين الحسيني والبحث معه بشأن هذه المقترحات والحلول. كما فضحت فضائع الانجليز في فلسطين حيث ذكرت أن السلطة البريطانية تقوم بالتفتيش في جميع المدن والقرى من خلال دخول البيوت وتكسير أبوابها ونوافذها واتلاف المؤن وضرب الرجال وترويع النساء والأطفال، والاعتداء عليهم وفتح المخازن

14 جريدة البصائر، السلسلة الأولى، العدد: 106، بتاريخ 2 أفريل 1938، ص 140.
15 جريدة البصائر، السلسلة الأولى، العدد: 129، بتاريخ 2 سبتمبر1938، ص 388.

والمحال التجارية ونهب ما فيها من نقود وغيره، وإطلاق النار جزافا على السكان وقتل بعضهم وجرح آخرين، واعتقال المئات منهم[1]، فمثلا مدينة يافا طوقها أربعة آلاف وخمسمائة جندي وتم اقتحامها واعتقال خمسة عشر ألف من سكانها، وأطلق الرصاص الطائش، وتم اعتقال ستمائة شخص وقتل بعضهم وجرح البعض الآخر .[16]

لم تكن أحوال القدس عادية لأن المسجد الأقصى وفي سنة 1939 لا زال تحت حصار الجند الانجليزي، وقد عطلت فيه الصلاة والآذان، وكل الشعائر الدينية، وقد عرضت السلطة على منكوبي طبرية إعانات مالية، فرفضوها مؤثرين مشاركة المجاهدين في صبرهم ولو قضى عليهم الجوع، وتضيف البصائر أن التقتيل والتدمير والتنكيل وتعطيل شعائر الدين لا زالت في فلسطين، وعليه وجب على انجلترا الاستجابة لمطالب العرب الذين يعلقون آملا كبيرة على الموقف الانجليزي .[17]

وأكدت البصائر أهمية القضية الفلسطينية عند العرب فكتبت ما يلي :" لا تزال نار الثورة مندلعة وحركة الجهاد ناشطة، وقد أخذ العرب على أنفسهم أن يقوموا في وجه الصهيونية الانجليزية حماية [18]للمقدسات التي هي وديعة العرب والإسلام عندهم، وأن لا يكفوا حتى يستأصلوا أو يستقلوا..."

16 جريدة البصائر، السلسلة الأولى، العدد: 137، 28 أكتوبر 1938، ص 388
17 جريدة البصائر، السلسلة الأولى، العدد: 154، 24فيفري 1939، ص 115.
18 جريدة البصائر، السلسلة الأولى، العدد: 179، 18 أوت 1939، ص 311.

يمكن القول أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت حريصة على تتبع التطورات السياسية بفلسطين، ودعمها من خلال إبراز مواقفها ودور العرب والمسلمين في مساندة إخوانهم بفلسطين والدعوة إلى ضرورة نصرة فلسطين لأنه أمر لا نقاش فيه إضافة إلى غلق المنافذ أمام اليهود واستعمال جميع الطرق للدفاع عن فلسطين .

**ثالثا- التطورات السياسية بفلسطين من 1947 الى 1950.**

لقد عانت فلسطين كباقي الدول من ويلات الحرب العالمية الثانية التي أتت على الأخضر واليابس وخلفت ملايين القتلى، وخسائر مادية معتبرة نظرا لضراوة الاقتتال بين دول الحلفاء والمحور والتي انتهت لصالح دول الحلفاء بما فيها انجلترا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من حليفاتها، لكن القضية الفلسطينية عرفت تطورات خطيرة بسبب تدخل الطرف الأمريكي الذي كان مدافعا عن اليهود ورغم ظهور هيئة الأمم المتحدة إلا أن التقسم الثاني سنة 1947 طبق على فلسطين وبعد عام وفي شهر ماي المشؤوم من سنة 1948 تم إعلان قيام الكيان اليهودي الغاصب بدعم أمريكي وانجليزي.

والحق أن التطورات السياسية كانت سلبية حيال الفلسطينيين حيث نشرت في مدينة جنيف لجنة هيئة الأمم المتحدة تقريرها المشؤوم من توصياته، أولا : قسمة فلسطين إلى ستة مناطق في الشمال كمنطقة اليهود ومنطقة العرب، وفي الوسط منطقة لليهود ومنطقة للعرب، وفي الجنوب مثل ذلك، والملاحظ هو أن أغلب الجهات الساحلية لليهود وكذا أخصب وأغنى الجهات الداخلية.

ثانيا: تتألف من مجموع الجهات المخصصة لليهود دولة يهودية مستقلة ذات سيادة لغتها العبرية ولها علم يرفرف عليها، كما تتألف دولة عربية من الجهات المحددة، على أن ينشأ اتحاد نقدي وجمركي بين الدولتين، وتكون كل واحدة منهما ذات دستور ومجلس نيابي ديمقراطي، ثالثا :تفتح أبواب الهجرة اليهودية للأرض المقدسة على مصراعيها، رابعا: بيت المقدس لا تكون ضمن الدولة العربية، ولا ضمن الدولة اليهودية بل تكون ذات نظام خاص بها مستقلة ضمن الاتحاد الفلسطيني ويتولاها حاكم من قبل الأمم المتحدة، خامسا: عندما يتم تنفيذ هذا البرنامج تصبح فلسطين اتحادية دولة مستقلة وتقبل عضوا ضمن هيئة الأمم المتحدة.[19]

الملاحظ أن كل محطة كان مخطط لها بين الانجليز والأمريكان لتوطين اليهود وحمايتهم، والأدهى أنها كانت تحت غطاء الأمم المتحدة بمعنى تطبيق قراراتها لأنها دولية .و حسب أحد الباحثين فقد أشار الشيخ الإبراهيمي وأكد على ضرورة إعانة فلسطين فكتبت البصائر:" إعانة فلسطين فريضة مؤكدة على كل عربي وعلى كل مسلم، فمن قام به أدى ما عليه من حق لعروبته ولإسلامه ومن لم يؤده دين في ذمته لا يبرأ منه إلا بأدائه ومن سبق فله فضيلة

19 جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد: 6، بتاريخ 12 سبتمبر 1947، ص48.

السبق ومن تأخر شفعت له المعاذير القائمة حتى تزول، فإذا زالت تعلق الطلب ووجب البدار" [20]

ويضيف نفس الكاتب أن الإبراهيمي كان يعي جيدا دور وسائل الإعلام في إدارة الصراع في القضية الفلسطينية، فأقحم جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء لمسلمين الجزائريين في خضم الصراع فقال:" كانت هذه الجريدة كتبت فصولا متتابعة في قضية فلسطين فشرحت فيه كثيرا من الخبايا وقامت عن الجزائر ( أي مثلتها) بالحق الأدبي لفلسطين كاملا، وحق لهذه الصحيفة أن تفتخر بأنها شاركت أخواتها العربيات في الشرق بجهد لا يقل عن جهودهن وجهاد قلمي لا يقصر عن جهادهن"[21]

لقد أشارت البصائر إلى الخطر الذي يحدق بفلسطين حيث دخلت القضية دورا مهما من الخطورة لا يستطيع أن ينكره أحد، بل إنها دخلت في طور الإنجاز وقد انجلى صبح المذاكرات ضمن هيئة الأمم المتحدة عن وقوف الغربيين كافة ضد فكرة العرب والمسلمين، وتضيف أن المسلمين العرب رأو أنه لا نصير لهم في محنتهم إلا أنفسهم، وأن الدعاية الصهيونية الهائلة قد سدت عليهم كل منفذ وأن دعاة اليهودية الذين استولوا بكل مهارة واقتدار على دواليب المال والأعمال في الدنيا، وسخروا لإرادتهم عشرات الآلاف من الصحف

20 بولمعالي النذير : فلسطين وشمولية المكان في خطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (خطاب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أنموذجا، مجلة التواصلية، المجلد 2، العدد 1، مخبر اللغة وفن التواصل، جامعة يحي فارس المدية، الجزائر :1 جانفي 2016)، ص 36

21 بولمعالي النذير، ص37.

ومئات الإذاعات، وملكوا زمام مختلف الأحزاب السياسية في شتى بلاد العالم، قد نجحوا في تدبير الأمر وأحكموا وضع الخطة فهم يجنون اليوم ثمرات ذلك الصنع المحكم .

وتتساءل البصائر عن مصير فلسطين إذا سحبت انكلترا جندها فالمؤكد أن العصابات الصهيونية المسلحة مستعدة لبسط سلطانها على البلاد بحكم القوة والإرهاب، ولن تستطيع عرب فلسطين وحدهم مقاومة ذلك التيار أو العرض له، لأن الانكليز عملوا على نزع السلاح منهم منذ عشرات السنين، وتركوهم عزلا لا يملكون للدفاع عن أنفسهم أي وسيلة .[22]

قامت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتأسيس الهيئة العليا لإعانة فلسطين، وكان ذلك بعد إعلان قيام الكيان الصهيوني بأيام وأفصح عن ذلك رئيس مؤتمر شعب جمعية العلماء بوهران يوم 28 ماي 1948،وتم تأسيسها حسب الإبراهيمي لإعانة فلسطين وهي امتداد لنشاط لجنة إغاثة فلسطين التي أستها جمعية العلماء شهر أوت 1937، وقد بذلت مجهودات معتبرة حيث قامت بتأليف لجنة تنفيذية بالعاصمة من رجال العلم والثقافة ورجال الأعمال والاقتصاد وشباب العمل، وإرسال برقية تأييد لسعادة عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية وبرقيات احتجاج واستنكار للحكومات المسؤولة وللسيدين رئيس الحكومة ووزير الخارجية الفرنسين ثم هيئة الأمم المتحدة، مع طبع الوصولات بإمضاء أمين الهيئة الشيخ الطيب العقبي ثم

22 جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد :11، بتاريخ 20 أكتوبر 1947، ص 88.

توزيعها على بقية اللجان الفرعية على مستوى الوطن لجمع المال، وهذا ما أكده الإبراهيمي حيث تم مع عدة ملايين من الفرنكات، وتم إرسالها الى فلسطين، كما أرسلت الهيئة برقيات الى الجرائد المغربية والتونسية لتعلن تضامن الجزائر العربية المسلمة مع رئيس جمعية العمل من أجل إنقاذ فلسطين .[23]

استمرت البصائر في شحذ الهمم عن فلسطين لأنها كانت ترى أن فلسطين العربية، أصبحت اليوم قضية القضايا العالمية، ومشكلة المشاكل السياسية التي شغلت أفكار السياسة في الشرق والغرب فكتبت البصائر :"إن الحل الذي ارتضاه أعضاء لجنة مجلس الأمن وأقره المجلس أخيرا لم يكن حلا عادلا ولا مقبولا لأنه لم يكن صادرا عن حسن نية ولا مبنيا على قواعد عادلة وأسس معقولة بل كان كله في مصالح اليهود واشبع رغباتهم الممقوتة[24] "، وتضيف " انتهت الحرب العالمية الثانية منذ ما يقرب من ثلاث سنوات ووقف أمام أعضاء مجلس الأمن الدولي أكداس من القضايا والمشاكل ووقفوا أمامها حائرين مشدوهين ولم يتوفقوا إلى حل مشكل واحد منها ولم يتفقوا على رأي في كل ما عرض لهم من المشاكل الأممية إلا قضية فلسطين العربية فإن أغلب أعضاء مجلس الأمن خيّل إليهم أنهم اهتدوا إلى الحل فيها وأصدروا حكمهم الجائر الذي تأباه العدالة ...هذا الحكم السريع الصادر عن مجلس الأمن إن دل على شيء فإنما يدل على أن الذهب اليهودي لعب دورا خطيرا ويدل في

23 جريدة البصائر، السلسلة الثالثة، العدد: 1046، بتاريخ 11 جانفي 2021.
24 جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد : 17، بتاريخ 29 ديسمبر 1947، ص 137

نفس الوقت على ما تنطوي عليه معظم الحكومات الأوروبية[25] والأمريكية من أحقاد عل العرب والمسلمين...."

وفي سنة 1948 كتب الشيخ البشير الإبراهيمي مقالا حزينا عن فلسطين بمناسبة عيد الأضحى :" النفوس حزينة واليوم يوم الزينة فماذا نصنع؟، إخواننا مشردون، ...وتتقاضانا فلسطين أن نحزن لمحنتها ...ويتقاضانا إخواننا المشردون في الفيافي، أبدانهم للسوافي، وأشلاؤهم للعوافي، أن لا نعم حتى ينعموا، وأن لا نطعم حتى يطعموا...أيها العرب : لا عيد حتى تنفذوا في صهيون الوعيد، وتنجزوا لفلسطين المواعيد، ولا نحر حتى تقذفوا بصهيون في البحر ...أيها العرب : حرام أن تنعموا وإخوانكم بؤساء وحرام أن تطعموا وإخوانكم جياع، وحرام أن تطمئن بكم المضاجع وإخوانكم يفترشون الغبراء.." [26]

والحق أن الابراهيمي كان متمسكا ومتألما جدا لحال الفلسطينيين فالعبارات التي استعملها تدل على عمق تعاطفه ومساندته للقضية الفلسطينية رغم أن المناسبة هي عيد الأضحى .ولم تغفل البصائر عن جرائم اليهود من عصابتي أرقون وهجانا على المسلمين، خاصة مأساة دير ياسين، واحتلال مدينتي حيفا وطبريا، ومهاجمة مدينة يافا، ثم إعلان حكومة اليهود في 15 ماي 1948، لكن جنود الجامعة العربية المؤلفة من الفرق السورية واللبنانية والعراقية والأردنية والسعودية والمصرية، كانت جاهزة لنصرة الفلسطينيين، لكن

25 جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد : 17، بتاريخ 29 ديسمبر 1947، ص 137.
26 جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد : 53، بتاريخ 18 أكتوبر 1948.

انهزام العرب بعد دعم الانجليز والولايات المتحدة الأمريكية لليهود أدى إلى تثبيت الكيان الصهيوني بفلسطين، وفي سنة 1949 كتبت البصائر:" فمسألة فلسطين الشهيدة البائسة لا تزال على حالها ... وقد تمكنت دولة إسرائيل رغم أنوفنا وبواسطة خلافاتنا الداخلية وحزازات نفوسنا من الاستقرار في أكبر رقعة من بلاد فلسطين وأغناها، ... وقد اعترفت الدول كلها بهذه الدولة الناشئة وقبلتها عضوا ضمن هيئة الامم المتحدة، ولم يبق إلا تعيين حدودها بصفة رسمية، بعد ما تعينت تلك الحدود بصفة عملية كما أرادها الأمريكيون..." [27]

وتواصل البصائر تتبع التطورات السياسية بفلسطين حيث تحدثت عن القدس على أساس أن هيئة الأمم المتحدة سوف تنجح لاختيار الموقف العملي الذي لا يكلفها الكثير من العناء، والذي يجعل قرارها نافذا منذ الساعة الأولى وذلك بأن تصادق على ما ارتآه مؤتمر لوزان من ترك القسم العربي من القدس تحت إدارة العرب والقسم اليهودي تحت إدارة إسرائيل، وتنتصب على القسمين هيأة مراقبة أممية تسهر على حرية الأماكن المقدسة وتمنع عدوان فريق على فريق، وكان العرب يرون أن التدويل يصون القدس كله ويجعله تحت حماية الأمم خارج منطقة المستمرة بين العرب واليهود إلى أن يتقرر نهائيا مصير فلسطين. [28]

27 جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد : 91، بتاريخ 26 سبتمبر 1949، ص 9.
28 جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد : 99، بتاريخ 19 ديسمبر 1949، ص 83.

وفي مقال آخر سنة 1950 وبلغة حزينة كتبت البصائر عن خسارة العرب لمعركة فلسطين الأولى، ولكن هناك أمل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وتنظيم صفوفهم بحد السلاح، لأنّ العرب لن يقبلوا بوجود دولة أجنبية دخيلة تقع فوق ترابهم والمسألة بين العرب واليهود في فلسطين هي مسألة حياة أو موت وأشارت إلى قضية القدس، ودور مجلس الوصاية المكلف من قبل هيأة الأمم بتنفيذ قرار الجمعية [29]العامة المتعلق بتدويل مدينة القدس، وأكدت على الأهداف الدنيئة لليهود وكل المتحالفين معهم.

والحق أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين استمرت في تتبع تطورات القضية الفلسطينية وشحذ الهمم، والتذكير بواجب العرب والمسلمين حيال إخوانهم في فلسطين بالإضافة إلى نشر كل الأحداث السياسية خاصة بعد إعلان قيام دولة إسرائيل وانقسام العرب حول القضية، رغم وجود جامعة الدول العبرية وهيأة الأمم المتحدة فهناك دعم سياسي كبير ليهود من طرف الولايات المتحدة الأمريكية وكذا انكلترا لتوطيد ركائز هذا الكيان المشؤوم، الذي استفاد كثيرا من هذا الدعم في استمراره مع مرور السنوات رغم قرارات الأمم المتحدة وحتى الحروب التي ستندلع بين العرب واليهود.

**الخاتمة**

إن الباحث في تاريخ القضية الفلسطينية لابد أن يتعمق جيدا في تفاصيل الأحداث نظرا لأهمية الموضوع ليس كبحث فقط، وإنما من باب ترسيخ فكرة

29 جريدة البصائر، السلسلة الثانية، العدد : 112، بتاريخ 20 مارس 1950، ص 186.

فلسطين للفلسطينيين لأن التطورات السياسية خاصة في النصف الأول من القرن العشرين بينت دعم القوى الكبيرة لليهود وتواطأت معها من أجل تطبيق وعد بلفور المشؤوم.

والحق أن تناولنا للموضوع من زاوية صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو إبراز لمدى مساندة ودعم الجزائريين لفلسطين رغم الاحتلال الفرنسي، فقلوب الجزائريين كانت مع فلسطين من خلال تتبع أخبارهم، ودور العرب والمسلمين بشكل عام في مواجهة الكيان الصهيوني المشؤوم الذي استعمل كل الطرق لزرع كيانهم في أرض طاهرة لها أهلها وتاريخها.

لقد كتبت البصائر عشرات المقالات وبرز شيوخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بداية بالإمام عبد الحميد بن باديس ثم الشيخ البشير الإبراهيمي، حيث كانت كتابتهم سهاما قوية أيقظت الضمير العربي كيف لا والإبراهيمي كان معروفا في البلاد العربية والإسلامية، كما ركزوا على أهمية اليقظة من مشاريع انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية حيث كان هدفهما إنجاح المشروع اليهودي وللأسف هو ما وقع، فقد دبّ الخلاف بين العرب نتيجة نفوذ الانجليز في قراراتهم، كما أن جامعة الدول العربية كانت ضعيفة لأنها لم تكن تملك القوة المالية والبشرية وحتى السياسية خاصة مع وجود هيئة الأمم المتحدة التي كانت صاحبة القرار والتي تبنت تقسيم سنة 1947 بمباركة أمريكية، ليليها إعلان قيام دولة إسرائيل في شهر ماي 1948.

لقد كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تدرك خطر اليهود منذ البداية، وهذا ما كتبته صحافتها وتتبعت تطوراتها السياسية، وحاولت تنبيه العرب والمسلمين من خطر اليهود فكل المواضيع التي نشرتها كانت في صميم الأحداث، ولكنها من جهة أخرى كانت محفزة داعية إلى مساندة الفلسطينيين في محنتهم خاصة التقسيم الأول سنة 1937 ثم التقسيم الثاني سنة 1947 فهي مخططات يهودية برعاية انجليزية وأمريكية وتحت غطاء هيأة الأمم المتحدة.

في نهاية دراستنا نؤكد على نقطة مهمة وهي أن البحث في تاريخ القضية الفلسطينية يجب أن يستمر وكشف مخططات اليهود والدول الداعمة لها، كي تبقى الأجيال مدركة لخطورة ما وقع ويزيدها إيمانا للدفاع عن القضية التي هي قضية كل العرب والمسلمين، فرفض هذا الكيان المشؤوم سيبقى ساري المفعول لأن الأحداث التي تلت إعلان قيام الكيان اليهودي بيّنت رفضهم من خلال الحروب بين الطرفين والانتفاضات الفلسطينية المتتالية، والنشاط السياسي المحلي والإقليمي والدولي المتواصل دفاعا عن الأرض واسترجاع حقهم المغتصب لأن فلسطين للفلسطينيين.

## قائمة المصادر والمراجع

1. سليمان الصيد : نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، ط1، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد الجزائر : 1994ص 162.
2. عبد الحميد بن باديس:" بواعثنا، عملنا، خطتنا، غايتنا "جريدة السنة النبوية المحمدية، العدد 01 سنة 1933، ص 1.
3. عمار الطالبي: آثار الامام عبد الحميد بن باديس، ج1، دار اليقظة العربية دمشق 1968، ص 87 .
4. محمد خير الدين: مذكرات الشيخ خير الدين، ج2، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر : 2002، ص 92.
5. محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847–1939، الشركة الوطنية، الجزائر :1980، ص 181.
6. عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931–1945) دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر: 1996، ص 105.
7. جريدة البصائر، السلسلة الأولى، العدد: 78، 13 أوت 1937، ص 226.
8. محمد الهادي الحسني : فلسطين في كتابات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين www.echouroukonline.com
9. بولمعالي النذير : فلسطين وشمولية المكان في خطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خطاب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أنموذجا، مجلة التواصلية، المجلد 2، العدد 1، مخبر اللغة وفن التواصل، جامعة يحي فارس المدية، الجزائر :1 جانفي 2016، ص 36.
10. ieutenant – colonel betbeder :le réformisme algérien et l" association des oulémas d'Algérie , revue l'Afrique et l' asie ,1 er trimestre année 1948 , p p40- 41.

# دير السلطان ودلالات التعايش والسلام في بيت المقدس زمن الحروب الصليبية

- د. محمد جاب الله على
- جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية

**الملخص:**

تمثل قضية التعايش السلام في مدينة بيت المقدس، ولا سيما في فترة الحروب الصليبية قضية مهمة للغاية؛ إذ توقفنا على الفترات التي شهدت ذلك التعايش، وكيف حدث؟ ومن الذي ساعد في إحداثه؟ وما هي دلالاته؟ وكل هذا إنما ينبع من أهمية المدينة ذاتها.

**مقدمة:**

تمثل مدينة القدس أهمية كبيرة وقدسية معتبرة عند اليهود، والنصارى، والمسلمين على السواء، فهي بالنسبة لليهود أورشليم زهاف أو أورشليم معلاة وتعني القدس الذهبية أو قدس السماء[1]، وهي بالنسبة للنصارى مدينة المسيح والأرض المقدسة التي شهدت ميلاد المسيح ووفاته على حد قولهم، فيها صلب

(1) عصام نصار، رؤية مغايرة لمركزية القدس: دروس من تاريخ المدينة، مجلة دراسات فلسطينية، قطاع غزة، صيف 2016، ع107، ص147.

المسيح وقرب الذبيح[2]، وأما بالنسبة للمسلمين، فالمدينة هي أولي القبلتين وثالث الحرمين، ومسجدها من المساجد التي يشد إليها الرحال[3]. بل هي وما جاورها مقدسة عند المسلمين بنص القرآن الكريم حيث قال المولى جل وعلا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء:1].

وعليه فالمسجد وما حوله مقدس عند المسلمين، ولأن الدين الإسلامي هو الدين الخاتم فقد أكد على قدسية المدينة، لا عند المسلمين فحسب، وإنما عند أصحاب جميع الديانات، وظهر ذلك جليًا في أول خطبة للمسلمين في المسجد الأقصى بعد استرداد المدينة من أيدي الصليبيين، فقد أشار خطيبها محيي الدين بن زكي[4] الذي أكد أن هذا البيت عظمته الملوك ومدحته الرسل، وعلى أرضه تليت الكتب الأربعة المنزلة من الله عز وجل[5] وقد أشار الأصفهاني المتوفى عام(597هـ/1201م) إلى قدسيته عند الجميع، فالقدس مقام جميع الأنبياء، ولأرضه فتحت السماء[6]، وهو ما أكده الناصر صلاح الدين(569-589هـ/1174-1193م) لرسل الفرنج الذين عرضوا الصلح في مقابل أن

(2) الأصفهاني، الفتح القُسّيّ في الفتح القُدسي، دار المنار، د. ت، ص67-68؛ أبو المكارم سعد الله بن جرجس، تاريخ أبوالمكارم عن الكنائس والأديرة في القرن الثاني عشر، إعداد: الأنبا صموئيل، النعام للطباعة، القاهرة، 2000، ج3، ص20.
(3) عصام نصار، المرجع السابق، ص147.
(4) هو محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن يحيي الملقب محيي الدين والمعروف بابن زكي الدين الدمشقي الفقيه الشافعي. أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1971، ج4، ص229.
(5) أبو شامه، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ج3، ص251.
(6) الأصفهاني، مصدر سابق، ص69

يتنازل لهم عن القدس، فقال لهم: " القدس لنا كما هو لكم، وهو عندنا أعظم مما عندكم"[7].

ويدل ذلك على أهمية مدينة بيت المقدس وقدسيتها لدي أصحاب الديانات السماوية؛ أذ ضمت كثيرًا من مقدساتهم[8]، وفي الوقت ذاته خضعت المدينة لأنصار تلك الديانات في فترات مختلفة من التاريخ، فمتى شهدت المدينة حياة التعايش السلمي بين سكانها والوافدين عليها من مختلف أرجاء المعمورة؟ هذا هو السؤال المحوري لهذه الورقة.

أما عن دير السلطان وهو الرمز الذي عبّر عن التعايش والسلام في مدينة بيت المقدس لغير المسلمين، فيقع على سطح كنيسة القديسة هيلانة وكنيسة الملاك، وهو بذلك يقع في نطاق المنطقة المسيحية المقدسة في بيت المقدس، ولهذا الدير أهمية خاصة لدي النصارى؛ فهو الطريق المباشر الذي يربط كنيسة القيامة ودير القديس أنطونيوس حيث يوجد مقر بطريركية النصارى الأرثوذكس. كما أن الساحة الوسطي في الدير تمثل سطح مغارة الصليب التي هي جزء من كنيسة القيامة بالأساس، مما زاد من قيمة الدير وأهميته لدي النصارى[9].

(7) بهاء الدين بن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخاجي، القاهرة، ط2، 1994، ص290.

(8) محمد صابر عرب، التسامح الديني في ظل الإدارة الإسلامية للقدس، الندوة الدولية: القدس والمستقبل 29-30 أكتوبر 1996، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط، 1997، ص309-310.

(9) أنتوني سوريال عبد السيد، مشكلة دير السلطان: دراسة وثائقية للصراع التاريخي بين الأقباط والإثيوبيين على الدير، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص10-11.

ولا تمدنا المصادر بمعلومات وافية عن النشأة الأولى لهذا الدير وما أدخل عليه من تجديدات، ولكن المتفحص لحركة انتشار الرهبانية والديرية في العالم المسيحي لا يمكن أن ينكر قِدم نشأة الدير على أكتاف أولئك الرهبان القادمين من مصر المهد الأول لحركة الرهبانية في العالم(10)، فقد تتلمذ طلائع الرهبان في الأراضي المقدسة على أباء الرهبانية المصريين، ولما عادوا إلى الأراضي المقدسة شيدوا عددًا من الأديرة لا يستبعد أن يكون هذا الدير الذي عرف فيما بعد بدير السلطان واحدًا منها، كما أطلق عليه أسم دير الحَبَش؛ إذ خصص جزءًا من الدير لإقامة الرهبان الأحباش الذين استقروا في مدينة بيت المقدس بعد طردهم كغيرهم على أيدي الفرنج من أماكن إقامتهم في بيت المقدس(11)، وتسليمهم لما تبقى بأيديهم للروم(12).

وتحاول هذه الورقة أن تبحث في تاريخ دير السلطان في زمن الحروب الصليبية؛ كرمزية ودلالة على التعايش والسلام الذي لقيه النصارى في الأراضي المقدسة؛ إذا كان الدير موضع تجديد في زمن الفاطميين، الذين شهدت المدينة في عهدهم على حد تعبير ناصر خسروا قدرًا كبيرًا من التسامح دفع الحجاج والزوار على اختلاف معتقدهم يتوافدون عليها من كل حدب

(10) مكاري أرمانيوس سرور، مقادس الأقباط وحقوقهم المشروعة في دير السلطان بالقدس الشريف، الندوة الدولية القدس: التاريخ والمستقبل 29-30 أكتوبر 1996، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط، 1996، ص543.

(11) ديمتري رزق، قصة الأقباط في الأرض المقدسة، رابطة القدس للأقباط الأرثوذكس، القاهرة، 1967، ص20.

(12) جرجس فلوثاويس عوض، أملاك القبط في القدس الشريف، المطبعة المصرية الأهلية، القاهرة، 1924، ص2.

وصوب[13]. كما شمله الناصر صلاح الدين وغيره من دور عبادة النصارى واليهود برعايته حتى نسب له وفقًا لبعض الآراء فعرف بدير السلطان. ويعد هذا هو أبلغ تعبير عن التعايش السلمي في بيت المقدس بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى. ولأن الصور لا تتضح إلا بضدها، فإن مدينة بيت المقدس عاشت صورتان متباينتان في تلك الحقبة التاريخية التي شهدت حربًا ضروس بين المشرق الإسلامي والغرب الأوروبي، ونحاول في هذه الورقة أن نعرض لهاتين الصورتين وما بينهما من تباين شديد.

**مدينة بيت المقدس بين اليهود والنصارى والمسلمين**

كان الأمر الإلهي لليهود أن يدخلوا بيت المقدس على لسان موسى عليه السلام﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأرض الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِين﴾ [المائدة:21]، عنوانًا على الاصطفاء، وأن تكون المدينة المقدسة في أيدي من يحفظها ويرعى أهلها، فكيف كانت استجابتهم؟ ما استجاب لهذا الأمر إلا رجلان على خوف[14]، ولما نجحوا وسيطروا على المنطقة، وأسسوا فيها مملكة لم تستمر سيطرتهم سوى سبعين عامًا، ثم خرجت من أيديهم إلى غيرهم، فعادوا إليها، وعاثوا فيها فسادًا، فأحرقوها ودمروها ومكروا بأهلها، ولم يعرفوا لها قداسة، والمحصلة أن المدينة وسكانها لم يعرفوا

(13) سفر نامة، ترجمة: يحيي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993، ص66-67.
(14) أبو شامه، مصدر سابق، ج3، ص251.

التعايش ولا السلام عندما سيطر اليهود على المدينة[15]، وهذا هو دأبهم وحالهم حتي اليوم.

وأما المسيحيين، فقد سيطروا على المدينة لفترات زمنية طويلة، ولطول تلك الفترات سنقصر الحديث على فترة الحروف الصليبية. هب الفرنج في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي في سلسلة من الحملات على المشرق الإسلامي عرفت بالحرب المقدسة، كان هدفها على حد زعمهم استخلاص مدينة بيت المقدس من أيدي المسلمين[16].

ولقد صادفت الحملة الصليبية الأولى 490هـ/1096م نجاحًا ملحوظ، إذ نجح الفرنج في استقطاع أجزاء من بلاد الشام من بينها بيت المقدس أقاموا فيها الممالك الصليبية في المشرق، وساموا المسلمين فيها سوء العذاب، لا في بيت المقدس وحدها وإنما في جميع البلاد التي وقعت في أيديهم[17]. استمرت سيادة الفرنج على بيت المقدس لنحو قرن إلا قليل حين نهض لمناجزتهم عماد الدين زنكي، ثم ولده نور الدين محمود، وظلت الحرب بين الطرفين سجالًا حتى استعاد السلطان الناصر صلاح الدين بيت المقدس من أيديهم عام 583هـ/1187م[18].ومنذ ذلك التاريخ شهدت المدينة صورة أخري من الحياة،

(15) فوزي رضوان العربي، بيت المقدس تحليل تاريخي، في محمد إبراهيم منصور(محرر)، الندوة الدولية القدس: التاريخ والمستقبل 29-30 أكتوبر 1996، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط، 1996، ص149.

(16) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص7-10.

(17) أبو شامة، مصدر سابق، ج1، ص117.

(18) فوزي رضوان العربي، مرجع سابق، ص145-146.

فعومل أهلها معاملة كريمة، وأصلح المسلمون ما أفسدته الحرب لهم ولغيرهم من اليهود والنصارى[19].

هكذا كانت أوضاع المدينة بين اليهود والنصارى والمسلمين، ولنبدأ في بحثنا عن صورة الحياة في المدينة والتي أسلفنا أنها صورتين متباينتين أشد التباين منذ بدأت كل صورة منهما في التشكل، ونؤكد أولاً على دور الرموز الدينية قبل ولاة الأمر في رسمهما. فقد افتتح الصليبيون حركتهم بخُطبة ألقاها البابا أوربان الثاني(481-493هـ/1088-1099م) رأس كنيسة روما في مدينة كليرمون بفرنسا في ذو القعدة 488هـ/السادس والعشرين من نوفمبر 1095م أوضح فيها دوافع تلك الحرب، وجزاء من سيشارك فيها[20].

ولا ريب أن قراءة تلك الخُطبة وتحليل ما جاء فيها سيعطي لنا فكرة واضحة عن الصورة التي جسدتها تلك الحركة في مدينة بيت المقدس وغيرها من المدن التي سيطر عليها الصليبيون، فالخُطبة مليئة بألفاظ الحقد والكراهية ضد المسلمين، فنعتهم البابا بالجنس البغيض أبناء الجارية المصرية –يقصد هاجر– كما أكد على أن المدينة صارت في أيدي اللصوص الخوارج المدنسين،

(19) نفس المرجع، ص146-147. وهذا أمر معتاد بالنسبة للمسلمين فعلوه وبشهاده المؤرخون النصارى أنفسهم من قبل يوم أن دخلوا المدينة لأول مرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، فأمنوا سكانها وسمحوا لهم بترميم كنائسهم وأداء شعائر دينهم بحرية كاملة. انظر: وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991، ج1، ص65-67.

(20) شوقي خليل، الحروب الصليبية أسبابها، أحداثها، نهايتها، دار الفكر، دمشق، 2009، ص22.

وغيرها من الألفاظ التي تحض على الكراهية كالكفار والآثمين والجهلة والوثنيين[21].

ولم تنته خُطبته عند هذا الحد، بل وصف للحاضرين ما ارتكبه المسلمون في حق إخوانهم في بيت المقدس، وكيف يعانون الظلم والقتل، ووصف كذلك ما تعرضت له مقدساتهم من تخريب، فأضحت حظائر للبهائم، وما تعرض له رجال الدين من قتل وما تعرضن له العذارى من انتهاك[22].

ولم يكتف البابا في خُطبته عند ما يحدث في المشرق على حد زعمه، فالرجل الذي طاف في أوروبا تنقل بين إمارتها أضحى يعلم علم اليقين كيف آلت الأمور فيها من تحلل العقيدة وفسادها، وكيف عمت الرذائل، وفوق هذا كله شاع الصراع بين الأمراء، فألتفت لتلك الأمور لإثارة الحماسة في نفوس مستمعيه، فوصف المشاركون في تلك الحرب بالصادقين، وأعلن إلغاء كل عقاب فرض عليهم بسبب آثامهم، وفوق كل ذلك وعدهم بمغفرة خطاياهم وحصولهم على النعمة الأبدية. وأما الأمراء فحثهم على توجيه فوتهم إلى المشرق بدلاً من محاربة بعضهم البعض، ووعدهم بحفظ أموالهم وأولادهم في أوروبا فلا يقربها لص[23].

(21) وليم الصوري، مرجع سابق، ج1، ص101-103.
(22) Munro, Dana C.: "The popes and the crusades." *Proceedings of the American Philosophical Society* 55.5, 1916, 348.
(23) وليم الصوري، مرجع سابق، ص104-105.

ورغم تلك الصبغة الدينية التي اصطبغت بها الحركة الصليبية بفضل خُطبة البابا أوربان الثاني، إلا أن وليم الصوري يعترف بأن الدافع الديني لم يكن وحده محركًا لتلك الحرب، فقد خرج البعض حتى لا يتهم بالتكاسل، والبعض هربًا من الديون، وآخرين طمعًا في الثراء، وإلى غير ذلك من الأسباب[24]. وعلى ذات الموقف الذي وقفه البابا أوربان من تلك الحرب كان موقف الباباوات من بعده، فاعتبروا تلك الحرب مقدسة، وأنها تدخل في نطاق مهمتهم الدينية، وأنها ما قامت إلا بفضل حماستهم وإلهامهم[25].

وفي مقابل ذلك الخطاب الذي يدفع باتجاه الحقد والكراهية والتحريض على القتل وسفك الدماء، واستباحت الأرض في بلاد المشرق الإسلامي على اعتبار أنها أرض لا صاحب له، بل هم أصحابها والمنوط بهم حمايتها والسيطرة عليها نجد خطابًا متوازنًا يشع بمعاني المحبة والسلام، فبرغم النصر الكبير الذي حققه المسلمون، والذي تكلل باسترداد بيت المقدس بعد سنوات من الكفاح في هذا السبيل. خطب فيهم القاضي محي الدين بن زكي الدين خُطبة أول جمعة لهم في بيت المقدس بعد إحدى وتسعين عامًا، فأوضح أن هذا النصر الكبير الذي تحقق إنما هو فضل من الله تفضل به على المسلمين، حتى لا يغتر الفاتحون بفتحهم[26].

(24) الحروب الصليبية، ج1، ص107.
(25) Munro, Dana C.: Op, Cit., Pp. 348-356.
(26) أبوشامة، مصدر سابق، ج3، ص248.

وتأتي الخطبة على نقطة مهمة تدعوا للتعايش السلمي في مدينة بيت المقدس؛ إذ بدأ يعدد في مآثرها وفضلها، ولم يجعل ذلك قصرًا على المسلمين، فذكر أن البيت شهد نزول الكتب الأربعة المنزلة من الله، وأن البيت موطن إبراهيم عليه السلام، وأنه قد شهد آيات ومعجزات كميلاد المسيح عيسى كلمة الله التي ألقاها إلى مريم، وهو البيت الذي حبس الله الشمس لأجله على يوشع بن نون حتى دخله بصحبة بني إسرائيل[27]. والخطبة مليئة بنصائح كثير للفاتحين بعدم اتباع الهوي، وألا يغتروا بنصرهم فيقترفوا الكبائر أو يأتوا الآثام أو يسيروا في طريق الطغيان، كما حثهم على مواصلة الجهاد وتطهير الأرض من آثار الشرك[28].

هكذا كان الخطابان، والبون بينهما كبير، فالأول يقصر الحق على نفسه، ولا يرى لغيره حق في تلك الأرض، ليس هذا فحسب، بل نجده يحرض ضد الأخر بقصص في أغلبها مفتعل وليس حقيقيًا، وعلى النقيض تمامًا جاء الخطاب الثاني الذي بيّن فضل المدينة ليس بالنسبة للمسلمين فحسب، وإنما لهم ولغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، كما أوصى الفاتحين بمواصلة الجهاد، ولكن عليهم إلا يغتروا فيقترفوا المعاصي والآثام.

وأما على صعيد ولاة الأمر والمقاتلين على الأرض، فقد كان بين استيلاء الصليبيون على بيت المقدس، ونهضة المشرق من جديد إلى استرجاع صلاح

(27) أبو شامة، مصدر سابق، ج3، ص250-251
(28) أبو شامة، مصدر سابق، ج3، ص248، 251.

الدين لبيت المقدس مفارقات كبيرة انعكس صداها على سكان المدينة والحجاج الذين يتقاطرون عليها كل عام، فهناك صورتان. الأولى صورة يتجسد فيها التعصب والكراهية، وهي صورة الغزاة من الفرنج، تلك الصورة التي نقلها لنا وليم الصوري مؤرخ تلك الحرب، ويظهر منها مدى العنف الذي مارسه الفرنج ضد أهل بيت المقدس عندما حاصرها[29]، فلما دخلوا المدينة المقدسة 492هـ/1099م ارتكبوا فيها فظائع، لم يرحموا صغيرًا ولا كبيرًا ولم يفرقوا بين رجل وامرأة بل قتلوا الجميع، ويصف الصوري تلك الصورة بدقة متناهية فيقول: "....، فكان بكل ناحية مذبحة مروعة، وفي كل ركن أكوام من الرؤوس المقطوعة"[30].

ونال المدينة ما نال أصحابها من البطش، فهدم الفرنج المشاهد الإسلامية وقبر الخليل عليه السلام[31]، وهذا أيضا بشهادة مؤرخهم الذي أفصح قائلاً: "... ونهج نهجهم جمع من الناس الظامئين إلى دماء العدو، الذين لا قصد لهم سوى التدمير"، كما وصف انتشارهم في كافة أرجاء المدينة، وأنهم لا هم لهم سوى بث الدمار وسفك الدماء حتى في قلب المسجد الأقصى[32].

(29) الحروب الصليبية، ج2، ص113-119. أنظر أيضًا: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد رفعت الدقاق، دار الكتب العمية، بيروت، ط4، 2003، ج9، ص19.
(30) وليم الصوري، مرجع سابق، ص125.
(31) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1983، ص222.
(32) وليم الصورى، المرجع السابق، ص125-128

ولم يسلم من أذيتهم السكان غير المسلمين فقتلوا أعدادًا من اليهود وأحرقوا دور عبادتهم، كما فرضوا سيادتهم كما أسلفنا على كافة المقدسات التي تخص النصارى في المدينة، طردوا منها أصحابها[33]، وكان من بين ما احتلوا دير السلطان[34].

وتقف الصورة الأخرى على النقيض من تلك الصورة، فلما نهض عماد الدين وولده نور الدين حاربوهم في عقر حصونهم حتى كفوا أذيتهم للمسلمين، وأزالوا ما نشروه من مفاسد في البقاع التي استردوها حتى سأل الغزاة الصلح صالحوهم ووفوا لهم، ولم يبداؤهم بالحرب التزامًا بالصلح، غير أنهما أوقدا شعلة الجهاد في نفوس المسلمين[35].

ولما اتجه صلاح الدين لاسترداد بيت المقدس بعد انتصاره في موقعة حطين 583هـ/1187م حاصر المدينة حصارًا شديدًا وقذف أسوارها بالمجانيق، وضيق على من فيها، وقد التجأ إليها جمع غفير من الصليبيين خرجوا من المناطق التي استردها المسلمون، فكانت مشحونة بالمقاتلين دون

(33) ديمتري رزق، مرجع سابق، ص20-21.
(34) ابن القلانسي، المصدر السابق، ص222. وهذا الأمر دأب عليه حكام المدينة منذ أن كانت بأيدي البيزنطيين، بسبب كثرة شكوي السكان المسيحيين -الذي لم يسلموا هم أيضا من اضطهاد أباطرة بيزنطة- في حق اليهود. انظر: عبد المنعم عبد الحميد سلطان، علاقات القوى الدينية والسياسية بمدينة بيت المقدس: دراسة وثائقية من خلال أحداث الفح الإسلامي للمدينة، الندوة الدولية: القدس والمستقبل 29-30 أكتوبر 1996، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط، 1997، ص246-248.
(35) أبو شامة، مصدر سابق، ج1، ص119،

السكان[36]. ورغم كثرتهم هالهم جيش المسلمين حتي يأسوا من انتصارهم أو انفراج همهم وقد انقطعت عنهم كل معونة أو مساندة[37].

وفي خضم ذلك تستمر الصورة السلبية التي رسمها الصليبيون منذ قدومهم إلى المشرق في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فهددوا وتوعدوا بقتل أسرى المسلمين، وإفساد كل ما في المدينة من أمول ومبان بالهدم والإحراق[38].

وتشير كل تلك المعطيات إلى أن صلاح الدين بعد انتصاره الكبير قد عقد العزم على أخذ المدينة عنوة، وأن يفعل بالصليبيين فيها ما فعلوه بالمسلمين عندما دخلوا المدينة سنة 492هـ/1099م[39]، غير أن واقع الأحداث يؤكد عكس ذلك تمامًا، فما أن استسلم الصليبيون وطلبوا الصلح، وكان ملكهم وجملة من الأمراء قد وقعوا في الاسر أمنهم السلطان وطمئنهم، إلا واحدًا منهم هو أرناط الذي غدر بالمسلمين في وقت الصلح، وبلغ من سماحته أن أعطى ملكهم الصليب المعظم عندهم[40]. كما سمح لملكة بيت المقدس وكافة الأميرات بالخروج من المدينة سالمين يحملون أموالهم وخدمهم[41]، وقبل شفاعة

(36) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج3، ص330-331.
(37) الأصفهاني، مصدر سابق، ص67.
(38) أبو شامة، المصدر السابق، ج3، ص348.
(39) حسين أحمد آمين، الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1983، ص175.
(40) مجير الدين الحنبلي العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد، مكتبة دنديس، الخليل، 1999، ج1، ص465-466.
(41) الأصفهاني، المصدر نفسه، ص72، 113.

بعض الأمراء في الأرمن فأطلق نحو ألف وخمسمائة نفس قيل أنهم من الزهاد[42].

ولم يقف عطف السلطان ورعايته عند حد الملك والأمراء، وإنما شمل كذلك أهل المدينة وسكانها من النصارى برعايته، وأما الأسرى من الجنود فعالج الجرحى منهم، وأطلق نحو أربعة آلاف أسير، ليس هذا فحسب، بل أعطى كل واحد منهم نفقة تبلغه أهله[43]، كما عوض الأرامل من حر ماله، وسمح للحجاج النصارى بزيارة المدينة متى ما أحبوا، بل وأكرمهم أيما إكرام[44].

ولما حل وقت خروج النصارى من بيت المقدس طلب بعضهم من صلاح الدين البقاء في بيت المقدس والحوا في طلبهم هذا حتي أذن لهم في البقاء مع التزامهم بما قرر عليهم من الجزية، بل بلغ من سماحة الإسلام في معاملتهم أنهم أدمجوا في الدولة واستخدموا فيها[45].

ويقف مجير الدين الحنبلي على لمحة أخري من سماحة الإسلام التي تجسدت في الناصر صلاح الدين، فقد جمع الفرنجة أموال عظيمة من الكنائس وقبر المسيح عليه السلام، بلغ مقدارها نحو مائتي ألف دينار جمعها الأمراء

(42) الأضفهاني، الفتح القُسّيّ، ص73؛ سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979، ص312؛ مجير الدين الحنبلي العليمي، المصدر السابق، ج1، ص474.
(43) حسين أحمد آمين، مرجع سابق، ص144-145.
(44) فوزي رضوان العربي، مرجع سابق، ص146-147.
(45) المنهاجي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق أحمد رمضان أحمد، ق1، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982، ص261.

ورجال الدين، فأشير على السلطان ألا يدع لهم تلك الأموال، فقد أمنوا على أموالهم ولا تحق لهم أموال الكنائس، فرفض أن يأخذ منهم شيئًا خشية أن يقال غدر المسلمون بعد إعطاء الأمان(46).

وتجلت سماحة الإسلام في أمر العبادة، فكان البعض قد أشار على صلاح الدين أن يهدم كنيسة القيامة ويطمس موقعها فتنقطع عنها طوائف الزوار من النصارى، غير أنه لم يأخذ بهذا الرأي، فأمر بإغلاق كنيسة القيامة، وعين لطوائف النصارى ببيت المقدس أماكن للإقامة وأداء الشعائر، بل وأوقف عليهم بعض الأوقاف(47). رد السلطان كذلك الحقوق إلى أصحابها، فأعاد مقدسات النصارى التي كانت بأيدي اللاتين إليهم مرة أخري(48)، وكان من بينها دير الرهبان المصريين الذي شمله صلاح الدين برعايته، فعرف من يومها بدير السلطان(49). كما سمح لليهود الذين تعرضوا للاضطهاد من قبل الصليبيين بالعودة إلى بيت المقدس(50)، وأصلح جميع ما أفسدته الحرب من المنشآت دونما تفريق بين ما للمسلمين وما للنصارى أو لغيرهم من منشآت(51).

(46) الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل، ج1، ص475.
(47) الأصفهاني، الفتح القُسّيّ، ص82.
(48) مكاري أرمانيوس سرور، مرجع سابق، ص544.
(49) سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكى في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1990م، ص239.
(50) يذكر أحد الحجاج اليهود زار بيت المقدس عام 1170م فلم يجد لافي بيت المقدس ولا في المناطق المجاورة له سوى ألف وأربعمائة وأربعين يهوديًا؛ إذ أقدم الصليبيون على اضطهادهم وطردهم سنة 1099م، أي بعد دخولهم بيت المقدس بثلاث سنوات فقط. انظر: فوزي رضوان العربي، مرجع سابق، ص163، هامش8.
(51) فوزي رضوان العربي، مرجع سابق، ص146-147.

ورغم هذه الصورة الحسنة التي رسمها المسلمون للتعايش والسلام في مدينة بيت المقدس استمر الفرنج في رسم صورة معاكسة لذلك، فهب من خرج منهم من بيت المقدس إلى أوروبا يستعدون ملوكها ضد الإسلام والمسلمين، فجسدوا صورة للمسيح عليه السلام وصورة للنبي صلي الله عليه وسلم وبيده عصا يقصد بها المسيح ليضربه، والمسيح منهزم يفر أمامه[52]. وترتب على تلك الصورة التي أشاعها أولئك المنهزمون في كافة أنحاء أوروبا أن خرجت حملة جديدة قادها كبار ملوك أوروبا يقودهم ملكا فرنسا وإنجلترا[53]، فضلًا عن ملك الألمان الذي سلك طريقه منفردًا، وعرفت تلك الحملة بالحملة الصليبية الثالثة(585هـ/1189م)[54]،غير أن حملتهم قد انتهت بالهزيمة حتي اضطروا إلى طلب الصلح من السلطان الناصر صلاح الدين[55].

ورغم هزيمة الفرنج ينقل لنا صاحب الأنس الجليل صورة من أروع صور الحرص على التعايش السلمي نسجها المسلمون؛ إذ قبلوا عقد الصلح رغم تفوقهم، بل قِبل الأمير العادل الأيوبي أن يتزوج من أخت ملك الإنجليز، وأن يكون مستقرها في بيت المقدس ومعها القساوسة والرهبان، وقِبل المسلمون أيضا اعطاء بعض المدن للفرنج لكن دون حصونها[56]، وأشار ابن شداد إلى أن

(52) مجير الدين الحنبلي العليمي، مصدر سابق، ج1، ص475.
(53) بهاء الدين بن شداد، مصدر سابق، ص237-238.
(54) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، (د. ن)، الإسكندرية، 1957، ج2، ص317، 318.
(55) المصدر نفسه، ج2، ص390-391.
(56) مجير الدين الحنبلي العليمي، المصدر السابق، ج1، ص527.

ملك الإنجليز أقر أن يتنازل عما بيده من بلاد الساحل لأخته، على أن يتنازل السلطان عما بيده من البلاد لأخيه العادل، وقِبل السلطان ذلك. ولم يُفسد تلك الصورة سوى بعض القساوسة الذين عنفوا الأميرة لموافقتها على الزواج من مسلم، وهنا اشترطت الأميرة لإتمام الزواج أن يوافقها العادل على دينها، فرفض العادل وفشل الاتفاق[57].

ولما فشل الاتفاق تجدد القتال بين الطرفان، ولكن ظلت المراسلات قائمة بينهما في أمر الصلح، ويمكننا من خلال تلك المراسلات أن نستشف على لسان الفرنج أنفسهم مدي التسامح والسلام الذي عاشه سكان مدينة بيت المقدس منذ أن أعادها الله إلى دولة الإسلام، فها هو ملك الإنجليز نفسه يطلب من السلطان صلاح الدين أن يعطيه كنيسة القيامة، ويذكره أنه قد أنعم على الرهبان النصارى ببعض الكنائس يتعبدون فيها –كان من بينها دير السلطان–، فلا يبخل عليه بكنيسة القيامة. كما تؤكد تلك المراسلات على أن من سكن القدس من الرهبان لا يتعرض لهم أحد بسوء، وكذلك أُعفي زوار بيت المقدس من النصارى والفرنج وغيرهما من طوائف المسيحيين من دفع أية نفقات. فكانت تلك المعاملة الحسنة سببًا في خروج مدينة بيت المقدس من حديث الصلح بين الطرفين[58].

(57) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص293؛ ابن الأثير، مصدر سابق، ج10، ص210.
(58) ابن واصل، مصدر سابق، ج2، ص390-393.

ومن العجيب أن هذا المشهد الرائع للتعايش على أرض القدس بين الفرنج والمسلمين بعد عقد الصلح عام 588هـ/1192[59]، لم يحظ بقبول عند ملك الإنجليز، فأرسل إلى صلاح الدين بألا يأذن لأحد من الفرنج في الزيارة حتي يأتيه كتاب من الملك، ولكنَّ السلطان لم يقبل هذا الأمر، بل زاد في إكرامه للزوار الفرنج الذين قصدوا المدينة للحج، فقدم لهم الطعام وتواصل معهم ويسر لهم سبل الزيارة والحج[60].

ولم تقف تلك الصور الرائعة التي نسجها المسلمون للتعايش والسلام عند هذا الحد، وإنما استمر السلطان الناصر صلاح الدين في إقرار التعايش السلمي بين سكان المدينة وزوارها من الفرنج الذين تزايدت أعدادهم بعد عقد الصلح للزيارة والحج، فما كان من السلطان إلا أن فتح لهم أبواب المدينة على مصرعيها، بل وعين لهم من الجند من يحرسهم ويحفظ أمنهم حتى يخرجوا من المدينة[61]. واستمر أمر المدينة منذ استرجعها الناصر صلاح الدين على هذا الحال من العدل والتعايش والسلام بين سكانها والوافدين عليها من غير المسلمين، في عهد خلفاؤه الذين أتبعوا نفس النهج الذي سار عليه السلطان، ففتحت مدينة بيت المقدس أما الحجاج المسيحيين من كافة الأقاليم والبلاد[62]، وزادت تلك الصورة بهاءً عندما فتح السلطان العادل الأيوبي(596-

(59) ابن الأثير، مصدر سابق، ج10، ص218.
(60) بهاء الدين بن شداد، المصدر السابق، ص350.
(61) ابن واصل، نفس المصدر والجزء، ص406.
(62) أبو المكارم سعد الله بن جرجس، مرجع سابق، ص16

614هـ/1200-1218م) كنيسة القيامة عام 604هـ/1207-1208 أمام الزوار المسيحيين، فتوافدت أعداد كبيرة منهم نحو بيت المقدس، ولا سيما أن السلطان أعفاهم من دفع أية نفقات[63].

وبرزت الصورة الأكثر تعبيرًا عن حالة التعايش السلمي في مدينة بيت المقدس -رغم صعوبتها على المسلمين- في عهد السلطان الكامل الأيوبي(614-635هـ/1218-1238) الذي توثقت عرى المودة والصداقة بينه وبين الإمبراطور فريدريك الثاني(617-648م/1220-1250م)، فانتهت المفاوضات بينهما بتنازل الأول على حد تعبير المصادر الإسلامية للأخير عن المدينة[64]، وذلك بشرط إلا يحدث فيه حصونًا ولا قلاعًا، وأن يبقى للمسلمين في بيت المقدس المسجد الأقصى على ألا يحملوا فيه سلاحًا، وزاد السلطان على ذلك أن أقطع الفرنج بعض الضياع في طريق بيت المقدس[65]، فتحقق السلام والتعايش في بيت المقدس على مدار عشر سنين[66].

وحتي بعد انقضاء تلك المدة ظلت مدينة بيت المقدس طالما هي بأيدي المسلمين تمثل نموذجًا للتعايش السلمي بين سكانها والوافدين عليها بغض النظر عن جنسهم أو عقيدتهم، ظل هذا هو دأب الملوك والسلاطين المسلمين الذي فرضوا حمايتهم على المدينة المقدسة.

(63) نفس المرجع، ص15؛ جرجس فيلوثاوس عوض، مرجع سابق، ص6.
(64) ابن الأثير، مصدر سابق، ج10، ص481.
(65) ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص475.
(66) فوزي رضوان العربي، مرجع سابق، ص 148، 162.

## أوضاع النصارى في بيت المقدس نهاية الهجمة الصليبية

كنا قد أشرنا سلفًا إلى رمزية دير السلطان في إشارة إلى الرعاية التي أولاها ولاة الأمر المسلمين برعاياهم من النصارى أو غيرهم، ولأن التسامح والسلام ليسا مرتبطًا بشخص الحاكم المسلم بقدر ارتباطهما بدين الإسلام، فقد استمرت تلك الرعاية والعناية بالنصارى في بيت المقدس وفي غيره من بلاد المسلمين.

ولأننا قد اختصصنا دير السلطان بالحديث فلننظر كيف تعامل سلاطين مصر وهم المعنيون برعاية الأراضي المقدسة آنذاك مع رهبان ذلك الدير لا من المصريين، بل ومن غيرهم، فالدير خصص فيه قسم للرهبان الأحباش الذين شاركوا الرهبان المصريين حتي في بعض الأديرة على أرض مصر يتعلمون فيها أسس الرهبانية من منابعها الرئيسة وغيرها من علوم اللاهوت فضلا عن نسخ المخطوطات الدينية[67].

كانت العلاقات بين مصر والحبشة قد ازدهرت خلال العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517)، وتبادل سلاطين مصر وملوك الحبشة العديد من الرسائل والسفارات، وفي كثير من تلك الرسائل التي أرسلت من جانب

(67) ساويرس بن المقفع، تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة، تحقيق عبد العزيز جمال، مكتبة مدبولى، القاهرة، 2006م، ج1، ص982-983؛ عمر طوسون، وادى النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط2، 1996م، ص170-172. راجع أيضًا:

O'Mahony, A.: Between Islam and Christendom: the Ethiopian Community in Jerusalem before 1517, *Medieval Encounters*, *2*(2), 1996, Pp. 140-154.

ملوك الحبشة إلى سلاطين المماليك ويوصي ملوك الحبشة بالنصارى في الأراضي المقدسة، ويوصون كذلك بركب الأحباش القادم إلى مصر لزيارة بيت المقدس[68]. وفي بيت المقدس يكفي أن نشير إلى شهادة النصارى أنفسهم؛ إذ يشير مكاري أرمانيوس إلى وضعهم في عهد المماليك فيقول أنهم كانوا في عز ورفعة شأن[69].

وحيال ذلك تبرز صورة التعايش والسلام التي رسمها سلاطين المماليك حين تواصوا بنصاري الحبشة خيرًا، وكان يوم قدوم ذلك الركب يومًا مشهودًا في شوارع القاهرة، يتزاحم فيه الناس لمشاهدة الأحباش، ولذا فقد خصص لهم سلاطين المماليك موظف موكل بهم يحفظ أمنهم ويلبي احتياجاتهم. ليس هذا فحسب وإنما خصص لهم مكانًا ينزلون فيه عرف باسمهم لا يزاحمهم فيه أحد حتى يخرجوا من مصر إلى بيت المقدس[70]، وهناك في بيت المقدس استقر الأحباش إلى جانب المصريين في دير السلطان ومارسوا شعائر عبادتهم بحرية كبيرة لم يعرفوها أيام أن كان بيت المقدس تحت سيادة إخوانهم في العقيدة، لدرجة أن اشتهر الدير باسم دير الأحباش أو دير الحَبش[71].

(68) ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م، ج5، ص112؛ زاهر رياض، تاريخ إثيوبيا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1966م، ص81. انظر أيضًا:
Budge, W. E.: A history of Ethiopia, Nubian &Abyssinia, London, 1928, p. 286.

(69) مقادس الأقباط وحقوقهم المشروعة في دير السلطان، مرجع سابق، ص550.

(70) ابن إياس، نفس المصدر، ج5، ص10-12.

(71) فتحي غيث، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص119.

وهناك أكثر من دليل على ذلك في العصر المملوكي يخص في المقام الأول الرهبان والحجاج الأحباش؛ إذ فرض على هؤلاء الأحباش أن يدفعوا ضريبة الخفر وهى الضريبة التي يدفعها المسيحيون أثناء مرورهم في البلاد الإسلامية مقابل حراسة أرواحهم وأموالهم، غير أن صلاح الدين الأيوبي أستن سنة طيبة عقب استرداد بيت المقدس عام 583هـ/ 1187م، وهى إعفاء المسيحيين الراغبين في زيارة المناطق المقدسة من أية ضريبة يدفعونها نظير تلك الزيارة، وتمسك الأحباش بذلك الحق منذ أقره السلطان وطالبوا به خلفاءه من سلاطين بنى أيوب ثم سلاطين المماليك من بعدهم[72].

ومما يعبر عن ذلك التعايش أيضا رسالة ملك الحبشة زرء يعقوب (838-873هـ/1434-1468م) إلى السلطان جقمق (842-857هـ/1438-1453)، والتي ورد فيها أن السلطان قد أعطى الفرنج الحق في عمارة كنيسة لهم في بيت المقدس، ويطلب من السلطان أن يعامل الأحباش بالمثل ويسمح لهم بعمارة كنيسة مثلها[73].

ومن أدلة تمتع الأحباش بذلك الحق حتى نهاية عصر سلاطين المماليك أن أحد قصاد ملك الحبشة ومعه طائفة ممن يقصدون زيارة بيت المقدس من الأحباش قد أتوا إلى بيت المقدس في 18 صفر 886 هـ/8 أبريل 1481م

(72) سعيد علد الفتاح عاشور، بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مج4، ع2، القاهرة، 1952، ص22.
(73) السخاوي، السخاوى، التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د. ت، ص70.

للاحتفال بسبت النور[74]. وزيارة كنيسة القيامة، وحاول نائب دمشق إقامة العراقيل في طريقهم، فلما أبرز القاصد المرسوم السلطاني الشريف بالسماح لهم بالزيارة أذن لهم دون كلفة ولا بدل [75]. كما يورد لنا ابن طولون خبر ذلك الوفد الحبشي الذى دخل بيت المقدس في شهر ربيع أول عام 886هـ/ أواخر أبريل عام1481م، ويشير إلى مدى ما تمتع به الأحباش من الحرية في إقامة شعائرهم الدينية في كنف الدولة المملوكية، فيورد أن عدد ذلك الوفد بلغ نحو ثلاثة آلاف نفس دخلوا بيت المقدس على أحسن ما يكون دون عراقيل، كما نُصب لكبيرهم كرسي من ذهب في كنيسة القيامة، وأمر أصحابه بضرب الناقوس فوافق ذلك رفع الأذان، ورغم ذلك لم يتعرض لهم أحد بأذى[76].

وعُثر كذلك بأحد أبواب كنيسة القيامة على نص مرسوم يرجع إلى عهد السلطان الغوري ومؤرخ بسنة 919 هـ/ 1513م، وهو عبارة عن مرسوم أصدره السلطان يعفى الرهبان والراهبات من أي رسوم يدفعونها مقابل السماح لهم بزيارة الأماكن المقدسة، وقد ورد ذكر الأحباش في ذلك المرسوم الذى جاء فيه:" ألاَّ يكرهون جماعة الرهبان النصارى والرهبان الملكانيين واليعاقبة بموجب

(74) سبت النور: هو أحد أعياد النصارى الصغار، ويسبق عيد الفصح بيوم واحد، ويزعمون أن النور يظهر في هذا اليوم على قبر السيد المسيح، ويقيمون بهذه المناسبة احتفالاً كبيراً في كنيسة القيامة ببيت المقدس. انظر، القلقشندى، ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر، مطبعة الواعظ، القاهرة، 1906م، ص163؛ ابن إياس، نزهة الأمم في العجائب والحكم، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995، ص239.

(75) ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص 179- 180؛ حامد عمار علاقات مصر بالدول الأفريقية، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 1996م، ص 157.

(76) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ق1، ص36.

ولا خفر ولا بظلم عند دخولهم قمامة القدس الشريف، أسوة برهبان الكرج والحبوش"[77].

ويتضح مما سبق أن الرهبان الأحباش في بيت المقدس وكذلك الأحباش القادمون من الحبشة لزيارة بيت المقدس قد استفادوا من ذلك المرسوم قبل غيرهم، فهم المعنيون بالإعفاء من الأعباء المالية أثناء مرورهم بطريق الحج عبر الأراضي المصرية[78]. ولكن الأمر لم يقف عند حد الإعفاء من الرسوم والضرائب، وإنما وصل إلى حد الحماية فقد حرص سلاطين المماليك على حماية هؤلاء الأحباش من الأذى الذى قد يتعرضون له على أيدى العامة، وبخاصة في عصر اشتهر بالحروب الصليبية، وطفح بروح العداء الديني[79].

والسؤال كيف قابل رهبان دير السلطان من الأحباش تلك المعاملة؟

وهنا تبرز الصورة الأخرى التي اعتدناها في زمن الحروب الصليبية، ففي ذلك الوقت وبعد كل تلك الهزائم التي مني بها الفرنج كانت مملكة الحبشة في أقاصي الجنوب قد نهضت من ثباتها وترقت وتحضرت على أيدي نصاري مصر، فأخذت تسعي لمشاركة الغرب في الحرب الصليبية، فكان الرهبان الأحباش في دير السلطان في بيت المقدس هم الوسيلة التي أُستخدمت في نقل أخبار الحروب الصليبية تباعاً إلى الحبشة[80] من خلال الرسائل التي كان

(77) سعيد عاشور، بعض أضواء جديدة على العلاقات، ص22.
(78) حامد عمار، نفس المرجع، ص 158.
(79) سعيد عبد الفتاح عاشور: بعض أضواء جديدة على العلاقات، ص 23.
(80) المقريزى، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، المكتبة الأزهرية، القاهرة، 1958م.ص36، حامد عمار، المرجع السابق، ص113.

يحملها الحجاج الأحباش في طريق عودتهم إلى الحبشة بعد انقضاء موسم الحج في بيت المقدس، وكذلك الرسائل العديدة التي تبادلها الرهبان الأحباش بالدير وملوك الحبشة[81]، والتي كانت تتضمن أخبار الحروب الصليبية[82].

وقد دأب ملوك الحبشة على إرسال الأموال والهدايا إلى ذلك الدير طالبين من رهبانه الدعاء لهم، ومن ذلك الرسالة التي بعث بها يجيبا صيون (684-694هـ/1285-1294م) في عهد الناصر محمد بن قلاوون(693-741هـ/1293-1340) إلى رهبان دير الأحباش في القدس الشريف(83). وقد نقل لنا محيى الدين بن عبد الظاهر نص تلك الرسالة فيقول:" السلام عليكم يا رهبان الحبوش الذين صبروا على العبادة والزهد إلى هذه الأيام وصبرتم على الحر والبرد، وقد سيرت لكم ثوباً أحمراً ديباجاً ومائة شمعة... اذكروني في صلواتكم ولا تنسوني في كل يوم"[84]، كما أرسل رؤساء ذلك الدير الكثير من الرسائل إلى ملوك الحبشة وخاصة في عهد الملك زرء يعقوب الذى أولاهم الكثير من الاهتمام في إطار سعيه الدائم للاتصال بالقوى الصليبية في

(81) ويعد الملك زرء يعقوب هو أكثر ملوك الحبشة الذين راسلوا رهبان بيت المقدس؛ وذلك لرغبته في اتمام التحالف مع ملوك الغرب الأوروبي. راجع: مجدى عبد الرازق، النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصر الإمبراطورين زرء يعقوب (1434- 1468) وأبنه بئيد مريام (1468- 1478)، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1998م ص59-62.

(82) Greenfield, Richard, Ethiopia A new Political History, First Published, Pall Mall Press, London, 1963, p. 47; Budge: Op, Cit., pp. 286-287.

(83) سعيد عاشور، بعض أضواء جديدة على العلاقات، ص 24.

(84) تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة، 1961م، ص 173.

الغرب[85]، كما بادله الرهبان والحجاج الأحباش نفس المسعى والاهتمام بأمر الاتصال بأوروبا[86].

وعلى هذا الأساس أرسل إلى رهبان بيت المقدس للمشاركة في مؤتمر فلورنسا عام 843هـ/1439م الذى عقده بابا روما لتوحيد المذاهب المسيحية وعقد تحالف بين القوى المسيحية ضد دولة سلاطين المماليك[87]، فقال لهم: "أعانقكم من أعماق قلبي قائلاً سلام لكم يا بنى إثيوبيا الذين أسرتهم أورشليم الأرضية ليدخلوا أورشليم السماوية لجميل إيمانكم ورهبنتكم التي تشبه رهبنة الملائكة"[88].

وتورد مصادر التاريخ الحبشي رسالة أخرى أرسلها زرء يعقوب إلى رهبان دير السلطان في بيت المقدس يدعو لهم فيها بالخير ويثنى على ثباتهم وصبرهم على العبادة، ويطلب منهم الدعاء له في تلك المناطق المقدسة التي شهدت ميلاد المسيح وحياة الآباء الحواريين، كما يذكر لهم أنه يعتمد كثيراً على دعواتهم وصلاتهم، وورد في هذه الرسالة خبر السفارة الحبشية التي ستشارك في المجمع الذى دعا إليه البابا في روما[89].

(85) مجدى عبد الرازق، مرجع سابق، ص59-60.
(86) O'Mahony, A.: Op p. Cit., 140.
(87) حامد عمار، مرجع سابق، ص 160.
(88) مجدى عبد الرازق، المرجع السابق، ص62.
(89) Geddes, Michael, the Church history of Ethiopia, Books for the Ages, first published, Books for the Ages, USA, 1997, pp.22-23

وعلى الرغم من هذا الاهتمام الذى حظى به دير السلطان في بيت المقدس، وكذلك الأحباش المترددون عليه إلا أن هذا الدير كان بمثابة شوكة في ظهر المماليك، لارتباط رهبانه بالمخططات الصليبية[90]. ورغم ذلك حظوا برعاية سلاطين المسلمين على النحو سالف الذكر.

وهكذا ضرب لنا المسلمون حكامًا ومحكومين أرواع الأمثلة في التعايش السلمي في فترة من أصعب فترات التاريخ التي مرت على المشرق الإسلامي – الحروب الصليبية– وفي مدينة ذات خصوصية لدي أتباع الديانات السماوية، ولكن ما يجب أن ننتبه إليه أن تلك الصورة كانت عامة لا تقتصر على مدينة بيت المقدس وحدها، وإنما مارس المسلمون نفس النمط من التعايش في غيرها من المدن والبقاع التي جمعتهم بمخالفيهم في الدين.

(90) فتحي غيث، مرجع سابق، ص 119.

## قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد رفعت الدقاق، دار الكتب العمية، بيروت، ط4، 2003، ج9، ص19.
2. ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص475.
3. ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1983، ص222.
4. ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م، ج5، ص112؛ زاهر رياض، تاريخ إثيوبيا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1966م، ص81.
5. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1971، ج4، ص229.
6. ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، (د. ن)، الإسكندرية، 1957، ج2، ص317، 318.
7. أبو شامه، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ج3، ص251.
8. الأصفهاني، الفتح القُسّيّ في الفتح القُدسي، دار المنار، د. ت، ص67-68؛ أبو المكارم سعد الله بن جرجس، تاريخ أبو المكارم عن الكنائس والأديرة في القرن الثاني عشر، إعداد: الأنبا صموئيل، النعام للطباعة، القاهرة، 2000، ج3، ص20.

9. أنتوني سوريال عبد السيد، مشكلة دير السلطان: دراسة وثائقية للصراع التاريخي بين الأقباط والإثيوبيين على الدير، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص10-11.

10. بهاء الدين بن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخاجي، القاهرة، ط2، 1994، ص290.

11. تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة، 1961م، ص 173.

12. جرجس فلوثاويس عوض، أملاك القبط في القدس الشريف، المطبعة المصرية الأهلية، القاهرة، 1924، ص2.

13. حامد عمار علاقات مصر بالدول الأفريقية، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 1996م، ص 157.

14. حسين أحمد آمين، الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1983، ص175.

15. ديمتري رزق، قصة الأقباط في الأرض المقدسة، رابطة القدس للأقباط الأرثوذكس، القاهرة، 1967، ص20.

16. ساويرس بن المقفع، تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة، تحقيق عبد العزيز جمال، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2006م، ج1، ص982-983

17. السخاوي، السخاوى، التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د. ت، ص70.

18. سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكى في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1990م، ص239.

19. سعيد علد الفتاح عاشور، بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مج4، ع2، القاهرة، 1952، ص22.

20. سفر نامة، ترجمة: يحيي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993، ص66-67.

21. سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979، ص312؛ مجير الدين الحنبلي العليمي، المصدر السابق، ج1، ص474.

22. شوقي خليل، الحروب الصليبية أسبابها، أحداثها، نهايتها، دار الفكر، دمشق، 2009، ص22.

23. عبد المنعم عبد الحميد سلطان، علاقات القوى الدينية والسياسية بمدينة بيت المقدس: دراسة وثائقية من خلال أحداث الفح الإسلامي للمدينة، الندوة الدولية: القدس والمستقبل 29-30 أكتوبر 1996، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط، 1997، ص246-248.

24. عصام نصار، رؤية مغايرة لمركزية القدس: دروس من تاريخ المدينة، مجلة دراسات فلسطينية، قطاع غزة، صيف 2016، ع107، ص147.

25. عمر طوسون، وادى النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1996م، ص170-172.

26. فتحي غيث، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص119.

27. فوزي رضوان العربي، بيت المقدس تحليل تاريخي، في محمد إبراهيم منصور(محرر)، الندوة الدولية القدس: التاريخ والمستقبل 29-30 أكتوبر 1996، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط، 1996، ص149.

28. قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص7-10.

29. القلقشندى، ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر، مطبعة الواعظ، القاهرة، 1906م، ص163؛ ابن إياس، نزهة الأمم في العجائب والحكم، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995، ص239.

30. مجدى عبد الرازق، النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصر الإمبراطورين زرء يعقوب (1434- 1468) وأبنه بئيد مريام (1468- 1478)، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1998م ص59-62.

31. مجير الدين الحنبلي العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد، مكتبة دنديس، الخليل، 1999، ج1، ص465-466.

32. محمد صابر عرب، التسامح الديني في ظل الإدارة الإسلامية للقدس، الندوة الدولية: القدس والمستقبل 29-30 أكتوبر 1996، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط، 1997، ص309-310.

33. مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ق1، ص36.

34. المقريزى، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، المكتبة الأزهرية، القاهرة، 1958م.ص36

35. مكاري أرمانيوس سرور، مقادس الأقباط وحقوقهم المشروعة في دير السلطان بالقدس الشريف، الندوة الدولية القدس: التاريخ والمستقبل 29-30 أكتوبر 1996، مركز دراسات المستقبل، جامعة أسيوط، 1996، ص543.

36. المنهاجي، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق أحمد رمضان أحمد، ق1، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982، ص261.

37. وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991، ج1، ص65-67.

38. Budge, W. E.: A history of Ethiopia, Nubian &Abyssinia, London, 1928, p 185.

39. Geddes, Michael, the Church history of Ethiopia**,** Books for the Ages, first published, Books for the Ages, USA, 1997, pp.22-23

40. Greenfield, Richard, Ethiopia A new Political History, First Published, Pall Mall Press, London, 1963, p. 47; Budge: Op, Cit., pp. 286-287.

41. Munro, Dana C.: "The popes and the crusades." *Proceedings of the American Philosophical Society* 55.5, 1916, 348.

42. O 'Mahony, A.: Between Islam and Christendom: the Ethiopian Community in Jerusalem before 1517, *Medieval Encounters*, (2), 1996, Pp. 140-154.

# التمكين التربوي للقدس في المناهج الدراسية: المملكة المغربية أنموذجا


- د. عبد الجليل شوقي
- المركز الجهوي كلميم واد نون، المغرب



**الملخص:**

تسعى هذه المقالة لمقاربة موضوع التمكين للقدس (الدين والتاريخ والحضارة) في المناهج الدراسية لبعض الدول الإسلامية والعربية، باعتبار ذلك مدخلا مهم من مداخل التمكين التربوي والفكري لهذه المدينة في النفوس والعقول، ومنحها القدرة على العيش في القلوب جيلا بعد جيل؛ ذلك أن القدس بأرض فلسطين تحتل مدينة مكانة عظيمة في نفوس كل من يعتقد بحرمتها ومكانتها الدينية والحضارية، ويسعى دوما لإبقائها حاضرة في النفوس والعقول، سيما وأنها اليوم تعاني من الاحتلال والظلم والتنكيل.



**الكلمات المفتاحية:** التمكين التربوي–مدينة القدس–المناهج الدراسية – فلسطين.



**Résumé en français:** Cet article cherche à aborder la question du renforcement de Jérusalem (religion, histoire et civilisation) dans les curriculums de certains pays islamiques et arabes, en tant que point d'entrée important pour le renforcement éducatif et intellectuel de cette ville dans les âmes et les esprits, et en lui donnant la capacité vivre dans les cœurs génération après génération ; C'est parce que Jérusalem comme capitale de Palestine occupe une grande place dans le cœur de tous ceux qui croient en son caractère sacré et son statut

religieux et civilisationnel, et s'efforce toujours de la garder présente dans les âmes et les esprits, d'autant plus qu'aujourd'hui elle souffre d'occupation, l'injustice et les abus.

**Mots-clés :** renforcement éducatif, Jérusalem, curriculums, Palestine.

**المقدمة:**

تعرضت أرض فلسطين التاريخية لموجات من الاحتلال منذ فجر التاريخ، وكانت نكبة سنة 1948 بداية النكبات التي عرفتها هذه الأراضي، وهذه السنة تشير إلى تأسيس إسرائيل على أنقاض الاحتلال البريطاني لهذه الأرض.

عايش بداية هذه النكبة وتداعياتها جيل من الفلسطينيين والعرب والمسلمين على امتداد الكرة الأرضية؛ وتفجرت لديهم مشاعر من السخط على المحتل والغاصب، ومشاعر أخرى من التعاطف مع أهل هذه الربوع، بل تجاوزت ذلك الحد بأن شاركت وساهمت فعليا في حروب التحرير والمقاومة أملا في استرجاع ما ضاع منها؛ لكن لا جدوى! مما شكل صدمات نفسية على هذا الجيل الذي لم تندمل جراح الهزائم، ولم تنمح مرارة فقد الأرض.

وفي خضم هذه الأحداث؛ تشكلت عقيدة راسخة بخصوص عروبة أرض فلسطين والطابع الديني لمدينة القدس في وجدان المؤمنين من هذا الجيل.

لكن بعد مرور عقود عن هذه النكبة؛ خلف من بعد الجيل الأول خلف، لم يعايش الأحداث، ولم يعايش حروبها- بله أن يشارك فيها-، ولم يذق ألم الفقد، ولم يشاهد اقتحام القدس؛ الشيء الذي جعل جذوة القدس في النفوس تخفت،

والمرارة التواقة للتحرير تبرد، بل وظهرت قضايا وطنية أخرى ألقت بثقلها، وبدأت الشعوب تنزع شيئا فشيئا للوطنية، على حساب القضايا القومية الدينية.

ومن أجل استدامة حضور قضية القدس في النفس والفكر، كان من الضروري اتخاذ الخطوات والآليات القمينة بالتمكين لها، وضمان أولويتها من جيل إلى جيل، باعتبارها قضية عروبة ودين؛ ويبقى مدخل المناهج الدراسية من أهم المداخل، وآلية من أنجع الآليات لتحقيق التمكين التربوي والفكري لهذه الأجيال التي لم تعايش النكبة، ولم تساهم في الحروب التي سبقتها والتي تلتها.

**أ. مشكل الدراسة**

تراجعت مكانة القدس في نفوس الأجيال المتأخرة، ولم تعد تحظى بذلك التمكين التربوي والنفسي والفكري الذي طبع الجيل الأول للنكبة، ولذا بات من الضروري العمل على تجاوز هذا المشكل من خلال الانكباب على استراتيجيات علمية وتواصلية وتربوية قادرة على استعادة وهج القضية وضمان استدامته من جيل إلى جيل. ونفترض أن مدخل المناهج الدراسية هو المدخل الأنسب لضمان التمكين التربوي والنفسي والفكري لمدينة القدس لدى الأجيال.

**ب. أهداف الدراسة**

تسعى هذه الورقة العلمية إلى تقديم قراءة تحليلية نقدية لحضور مدينة القدس في المناهج الدراسية في العديد من الدول، ولا سيما دولة المملكة المغربية، بغرض تشكيل صورة حول جهود التمكين التربوي والنفسي والفكري

لهذه المدينة لدى أجيال المؤمنين بها في هذ العصر بعد أكثر من سبعين عاما عن النكبة.

**ج. مدونة الدراسة**

تكونت عناصر مدونة هذه الدراسة من عدد من النصوص القانونية والوثائق المرجعية المؤطرة للمناهج الدراسية في العديد من الدول التي لها علاقة بمدينة القدس: فلسطين وإسرائيل والأردن والمغرب ولبنان وسوريا ومصر والعراق والجزائر وموريطانيا والإمارات العربية المتحدة وقطر.

إلا أنه سيتم التركيز على المنهاج الدراسي المغربي، وذلك لعدة اعتبارات:

أولًا: المغرب بلد عايش القضية الفلسطينية تاريخيًا، (يعقوب المنصور المُوحِّدي يمد صلاح الدين الأيوبي بمده بـ 180 سفينة، حارة المغاربة، المشاركة في الحروب ضد إسرائيل، مساندة الكفاح الفلسطيني، تمثيل دبلوماسي مغربي لدى دولة فلسطين...).

ثانيًا: المغرب يترأس لجنة القدس المنبثقة عن المؤتمر الإسلامي 1979، وتأسيس وكالة بيت مال القدس 1998.

ثالثًا: المغرب يخضع لنظام إمارة المؤمنين (المؤمنون المغاربة وفي بعض الدول من جميع الديانات).

رابعًا: المغرب استأنف علاقاته نهاية 2020 مع إسرائيل، لوجود أكثر من ثلاثة ملايين مغربي بها.

## د. منهجية الدراسة ومنهجها

تتوسل هذه الدراسة بمقاربة منهجية تحليلية نقدية لجملة من المناهج الدراسية لعدد من الدول، وفق منهج وصفي تحليلي.

## أولا: في مفهوم التمكين التربوي

تعرف الدراسات المهتمة باللغات عموما، وباللغة العربية على وجه الخصوص، شحا فيما يتعلق بمصطلح "التمكين التربوي"؛ بالمقابل نجد أن هذا المصطلح حاضر في تناول أنواع أخرى من التمكين على غرار: التمكين الإداري، التمكين السياسي، التمكين للشباب، التمكين للنساء...

وتعود جذور مفهوم التمكين لستينيات القرن الماضي، وارتبط ظهور هذا المفهوم بالحركات الاجتماعية التي تنادي بالحقوق المدنية والاجتماعية للمواطنين، ويعتبر عالم النفس الأمريكي "جوليان رابابورت" المسؤول عن تقديم مفهوم التمكين إلى العمل الاجتماعي والطب النفسي الاجتماعي... ويستخدم في مجالات عدة كالاقتصاد والعمل الاجتماعي والسياسي والتنمية في مفهومها الواسع، كما يتعزز مفهوم التمكين في مجالات الإدارة والتعليم[1].

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية العربية؛ يعرف القاموس المحيط "التمكين" بـ: "تمكن فهو مكين والاسم المتمكن"[2]، ويعرفه المعجم الوسيط بـ: "مكن له الشيء:

1 هارفارد بزنس ريفيو، ما تعريف التمكين؟، المفاهيم الإدارية، موقع: https://hbrarabic.com بتاريخ 10 يونيو 2021.

2 الفيروزبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، 2008، ص: 102.

جعل عليه سلطان وقدرة"[3]؛ فهذه المعاني كلها تنحو نحو شرح التمكين بأنه السلطان والقدرة والقوة.

وبالرجوع إلى القرآن الكريم، ورد مصطلح التمكين في عدة آيات قرآنية منها:

- "وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأرض يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"[4]؛ فسرها الطبري: "قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: وهكذا وطَّأنا ليوسف في الأرض، يعني أرض مصر، (يتبوأ منها حيث يشاء)، يقول: يتخذ من أرض مصر منزلا حيث يشاء، بعد الحبس والضيق، (نصيب برحمتنا من نشاء)، من خلقنا، كما أصبنا يوسف بها، فمكنا له في الأرض بعد العبودية والإسار، وبعد الإلقاء في الجبّ، (ولا نضيع أجر المحسنين)، يقول: ولا نبطل جزاء عمل من أحسن فأطاع ربه، وعمل بما أمره، وانتهى عما نهاه عنه، كما لم نبطل جزاء عمل يوسف إذ أحسن فأطاع الله"[5]، فالتمكين الذي تناولته الآية الكريمة، هو تمكين اقتصادي واجتماعي ليوسف، بعد ضعف وتهميش اقتصادي واجتماعي.

3 إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1429هـ/2008، ص:881.
4 سورة يوسف، آية:56.
5 الطبري، تفسير الطبري، موقع جامعة الملك سعود /https://quran.ksu.edu.sa، ص:242.

- "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأرض وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا"[6]؛ يفسرها الطبري: "إنا وطأنا له في الأرض، (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا) يقول وآتيناه من كل شيء، يعني ما يتسبب إليه وهو العلم به"[7]؛ وهو ما يمكن ان نسميه بالتمكين العلمي، ليتفوق على من سواه على وجه الأرض.
- "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"[8]، ويفسرها الطبري ب: "يقول: وليوطئنّ لهم دينهم يعني: ملتهم التي ارتضاها لهم، فأمرهم بها"[9]، وهو ما يمكن أن نطلق عليه التمكين الديني للإسلام، وهو وعد من الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات، بعد ان كانوا خائفين في الأرض.

ملاك الامر؛ بالنظر إلى التعاريف اللغوية لمصطلح "التمكين"، وباستحضار تفسير الآيات الواردة أعلاه، التي تناولت لفظة التمكين؛ نجد أن مصطلح التمكين هو منح الشيء أو طرف ما قوة وعزة ومنعة وتوطينا، بإعطائه أكبر قدر من وسائل وأسباب القوة المستدامة، بعد حالة ضعف؛

6 سورة الكهف، آية: 84.
7 الطبري، مرجع سابق، ص:303.
8 سورة النور، ص: 55.
9 الطبري، مرجع سابق، ص:357.

بغرض تحقيق أهداف سامية من طرف الممنوح في خدمة البلاد والعباد، دون أن يكون ذلك مرتبطا بإضعاف الطرف الآخر بالضرورة.

وبالرجوع للدراسات الحديثة، نجد مصطلح التمكين (Empowerment)، المشتقة من الكلمة الإنجليزية (Power)، والتي تعني القوة، "لغويا، يعني التمكين التقوية أو التوزيع، بينما إجرائيا، يعد التمكين عملية منح القوة والسلطة سواء إلى الأفراد أو الشركات. في المجال الإداري، يقوم التمكين على منح الموظفين السلطة وفرص المشاركة في صناعة القرارات، ما يساهم في تعزيز دورهم وفعاليتهم في الشركة، كما يؤدي تمكين الموظف إلى حصوله على الاستقلالية في بيئة عمله، وتطوير أدائه لتحقيق الأهداف المنشودة"[10].

فالتمكين بهذا الفهم هو تقوية عنصر ما على حساب عنصر آخر، مع ما قد يوازي ذلك من ترك العنصر الآخر على حاله ضعيفا أو حتى يضعف؛ أو السعي لإضعافه، والنتيجة أن يصبح العنصر الأول قويا بمنحه أسباب القوة والمنعة؛ وعرفه تقرير البنك الدولي بأنه "توسيع قدرات وإمكانات الأفراد في المشاركة والتأثير والتحكم والتعامل مع الشركات التي تتحكم في حياتهم، إضافة إلى إمكانية محاسبة هذه الشركات"[11].

10 هارفارد بزنس ريفيو، ما تعريف التمكين؟، المفاهيم الإدارية، موقع: https://hbrarabic.com بتاريخ 10 يونيو 2021.

11 هارفارد بزنس ريفيو، ما تعريف التمكين؟، المفاهيم الإدارية، موقع: https://hbrarabic.com بتاريخ 10 يونيو 2021.

وعلى غرار التمكين السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني، يمكن تعريف التمكين التربوي والعلمي للقدس: تربية النشء على حب مدينة القدس باعتبار حمولتها العقدية والحضارية، وتوعية التلاميذ والطلبة بالمعلومات الحقيقية حول تاريخ هذه المدينة، وأدوارها الثقافية والدينية والحضارية.

**ثانيا: بين يدي جهود التمكين التربوي للقدس**

في ظل التغيرات الأيديولوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفها العالم منذ نكبة 1948، بات من الضروري العمل على تجديد آليات الدفاع على قضية القدس الشريف؛ وكذا بناء استراتيجيات مواكبة لهذه التطورات، ومنحها الشروط الكفيلة بإنجاحها.

ومن تم؛ فإن العمل على التمكين التربوي للقدس في المناهج الدراسية، لن يؤتي أكله ما لم توازيه إجراءات أخرى، وفق خطة متكاملة، عمادها بناء الإنسان القادر على فهم قضية القدس، والقادر على الدفاع عنها بمختلف الوسائل التي يتيحها كل عصر من العصور. فلا معنى لأي جهد يروم التمكين للقدس في النفوس والعقول، مادام الإنسان غارقا في الفشل: على مستوى الذات المهزومة، والفكر الغارق في الظلمات، والروح المفرغة، والجسد الذي تنخره الأمراض في ظل انعدام السيادة الصحية.

ومن أجل تأمين التمكين التربوي للقدس في النفوس والعقول من خلال المناهج الدراسية، نرى أنه بالموازاة مع ذلك، ينبغي الاهتمام بجملة من المقدمات الأساسية:

- **بناء الإنسان القوي:** بناء نفسيا وفكريا وروحيا، يشعر بالرضى والاطمئنان الداخلي.
- **بناء المجتمع القوي:** المجتمع الخالي من الأمراض، المجتمع المتضامن، المجتمع المنسجم
- **بناء الدولة القوية:** الدولة الديمقراطية المتشبعة بحقوق الإنسان، الدولة الموحدة الخالية من نزعات الانفصال واستقواء الأقليات بالعدو الخارجي، الدولة القوية اقتصاديا وماليا.
- **بناء الأمة القوية:** الأمة الموحدة التي تقبل الاختلاف وتدبره، الأمة التي تحتضن الأقليات وتحميها، الامة المتضامنة اجتماعيا واقتصاديا، الأمة المؤمنة بتعدد الأوطان واختلاف الشعوب المصير المشترك.

**ثالثا: حضور القدس في الدساتير**

مما لا شك فيه أن الدستور هو أسمى القوانين في البلدان، سواء كان في صيغته الحديثة المتعرف عليها أو في صيغه العرفية، فهو –بذلك– منطلق صياغة النصوص القانونية بمختلف درجاتها، ومن تم تعمل الدول على دسترة القضايا الأساسية والمهمة، إما لحمايتها أو لتأطير تنزيلها.

ومن تم؛ نعتقد أن دسترة قضية القدس مسألة بالغة الاهمية في بناء القوانين المتعلقة بمنظومة التربية والتكوين، بما في ذلك بناء المناهج الدراسية.

وفيما يلي نلقي نظرة موجزة حول حضور القدس في دساتير بعض الدول: دولة فلسطين وإسرائيل وبعض الدول الأخرى المهتمة بالقضية على سبيل التمثيل:

**أ. دستور دولة فلسطين**

تشير المادة 04 من مسودة الدستور الفلسطيني[12] إلى أن "القدس عاصمة دولة فلسطين ومقر سلطاتها العامة"، فيما تشير المادة 68 منه إلى أن "مقر المجلس النيابي في القدس عاصمة دولة فلسطين، ويمكن عقد جلساته في أماكن أخرى بناء على طلب رئيسه أو أغلبية أعضائه".

تعتبر مدينة القدس عاصمة دولة فلسطين ومقر سلطاتها وأجهزتها، بتعبير صريح وواضح في مسودة دستورها.

**ب. قانون إسرائيل حول القدس**

لا يوجد لإسرائيل دستور مكتوب، بل توجد قوانين تنظيمية، ومنها قانون خاص بالقدس تحت رقم: (19.04.2007)، ويعتبر هذا القانون أن "أورشليم القدس الكاملة والموحّدة هي عاصمة إسرائيل"، وينص على أن "أورشليم القدس هي مقرّ رئيس الدولة والكنيست والحكومة والمحكمة العليا".

تعتبر إسرائيل –دولة الاحتلال للقدس– في هذا القانون، أن هذه المدينة عاصمة لها ومقر أجهزتها ومؤسساتها السيادية.

12 مسودة دستور فلسطين وفق آخر تعديلات بتاريخ 4 مايو 2003.

ج. **الدستور الأردني**

لا يشير الدستور الأردني[13] إلى القدس في مواده، إلا أن للأسرة الهاشمية الأردنية الوصاية على المقدسات في القدس منذ العام 1924، وكرسها اتفاق وادي عربة بتاريخ 1994، وتشير المادتين الأولى والثانية منه إلى عروبة الأردن ودينه الإسلامي، ويشير إلى انه يعتبر جزءا من الأمة العربية.

د. **الدستور المغربي**

لا يشير الدستور المغربي[14] في نسخة (2011) لمدينة القدس باللفظ وبشكل واضح وصريح، إلا أن ملك المغرب هو رئيس لجنة القدس التي تأسست بتوصية من المؤتمر السادس لوزراء خارجية البلدان الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في جدة عام 1395 هـ الموافق 1975م، وكذلك وكالة بيت مال القدس المنبثقة عن اللجنة والتي تم تأسيسها سنة 1998، ويشير في ديباجته إلى أن المملكة المغربية تلتزم بـ: "تعميق أواصر الانتماء للأمة العربية والإسلامية، وتوطيد وشائج الأخوة والتضامن مع شعوبها الشقيقة".

هـ. **باقي الدساتير**

بعد هذه النماذج من الدساتير، لم نقف في بعض الدساتير التي راجعناها عند أي إشارة إلى قضية القدس.

13 دستور المملكة الهاشمية الأردنية وفق تعديلات 2011، منشور بالجريدة الرسمية تحت رقم 5117 بتاريخ 01 تشرين أول 2011.

14 ينفذ دستور 2011 بظهير شريف رقم 1.11.91 بتاريخ 29 يوليوز 2011.

هكذا نجد ان قضية القدس والتمكين لها غائبة في الدساتير العربية والإسلامية، وأن حضورها يقتصر على دستور الدولتين: الدولة المحتلة ودولة فلسطين؛ الشيء الذي يوحي وكأن قضية القدس هي شأن داخلي لدولة فلسطين، لا يجوز إدخاله في أسمى قانون ينظم حياة الشعوب العربية والإسلامية، فتركت هذه القضية مندورة لدستور الدولتين المعنيتين، كل واحدة منهما تعلن انها عاصمتها الأبدية.

إن هذا التغييب لمدينة القدس في الدساتير، باعتبارها قضية حضارة ودين لكل من يؤمن بها، وبغض النظر عن كل التبريرات التي قد نفترضها، ستضر بالتمكين الواجب لهذه المدينة في نفوس العرب والمسلمين، وستجعل من هذا التمكين رهين بالإرادة السياسية لكل بلد على حدا.

**رابعا: حضور القدس في المناهج الدراسية**

**1. القدس في المنهاج الدراسي الفلسطيني**

تنتظم منظومة التربية والتعليم في دولة فلسطين وفق قانون[15] تحت رقم 8 لسنة 2017 في شأن التربية والتعليم العام، ويهدف هذا القانون في المادة الثالثة إلى:

- تعزيز المكانة العلمية والاجتماعية للمعلم لدوره المتميز في بناء الإنسان والمجتمع،

15 صدر قانون التربية في العدد (132) من الوقائع الفلسطينية تحت اسم قرار بقانون رقم (8) لسنة 2017 م، بشأن التربية والتعليم العام.

- تنمية شخصية الطالب ومواهبه وقدراته الذهنية والجسمية والتفاعل إيجابيًّا مع المتغيرات المعرفية والتقنية والمعلوماتية،
- تهيئة الطالب ليكون عضوًا فاعلاً في بناء مجتمعه، وتنمية مهارات التحليل النقدي الموضوعي، وتعزيز اتباع الأسلوب العلمي في التعلم والبحث وحلّ المشكلات والاستعداد العلمي والعملي،
- تنمية القيم الدينية والأخلاقية والسلوكيات واحترام حقوق الإنسان، وحرياته، والمبادئ المنصوص عليها في المواثيق الدولية، والتشريعات الوطنية الناظمة لحقوق الإنسان، وتعزيز قيم المواطنة،
- توفير البيئة الآمنة والمعززة للتعليم والصحة المدرسية.

ويدعو هذا القانون الوزارة الوصية على التربية والتعليم في المادة 35 منه، إلى تطوير المناهج التربوية لجميع المراحل الدراسية، بناء على الأسس الآتية:

- الأسس والقواعد الواردة في التشريعات الوطنية والمواثيق الدولية الناظمة لحقوق الإنسان.
- الفلسفة المجتمعية والقيم الوطنية المرتبطة بمنظومة القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية والتي تؤصل قيم المواطنة والديمقراطية.
- مواكبة التطورات والمستجدات في جميع المجالات العلمية والتقنية والاقتصادية والحضارية.
- المرونة والاستجابة للاحتياجات الفردية للطلبة المتفوقين والموهوبين وذوي الإعاقة.

- تعزيز العادات والسلوكيات الصحية، والمهارات الحياتية اليومي.

مما سبق؛ يبدو أن قانون التربية والتعليم الفلسطيني، يدعو لإبراز الأبعاد الوطنية والدينية والقومية والدولية للهوية الفلسطينية: من خلال تقديم مواد تراثية وتاريخية وسياسية واجتماعية فلسطينية، ثم من خلال تقديم أواصر القربى والارتباط بالعالمين الإسلامي والعربي، فضلا عن ابراز ارتباط فلسطين بالشعوب والثقافات العالمية الأممية الأخرى؛ في ظل "العديد من التحديات نتيجة الأوضاع التي مّر بها الفلسطينيون ابتداء من العهد العثماني ومن ثم الانتداب البريطاني إلى الاحتلال الإسرائيلي وحتى قيام السلطة الفلسطينية. وكان من أهم هذه المشكلات غياب فلسفة تربوية فلسطينية. وذلك لأن فلسطين لم تتمتع بالاستقلال والسيادة التامة في يوم من الأيام، ولم يكن لها فلسفة مستقلة وإنما كانت تابعة لأنظمة سياسية وتعليمية مختلفة، وبالتالي ما زالت محاولات السلطة الفلسطينية في صياغة فلسفة ورسالة تعليمية فلسطينية تواجهها العديد من الصعوبات ذات جذور تاريخية وواقع سياسي معقد"[16]؛ لكن ما يثير الانتباه أن مدينة القدس لم يفرد لها أي فقرة تلزم مؤلفي البرامج لتسليط الأضواء عليها.

وبالرجوع للبرامج الدراسية الفلسطينية، نجدها تقدم دولة فلسطين بكل مدنها المعروفة، باعتبارها مدن فلسطينية وبأسمائها العربية وليس بالأسماء التي

16 الجعبري طارق عبد الفتاح، واقع المنهاج الفلسطيني في تعزيز الصورة الذهنية للوطن: دراسة استقصائية تحليلية في منهاج التربية الوطنية في المرحلة الأساسية،– جامعة شمال ماليزيا- الموقع الإلكتروني: https://democraticac.de/?p=56940 بتاريخ 10 يونيو 2021.

أطلقها عليها المحتل، كما أنه يذكر مدينة القدس أكثر من غيرها من المدن باعتبارها العاصمة الإدارية والسياسية والمدينة التاريخية والحضارية. وذكر المنهاج الفلسطيني المقدسات والآثار المسيحية والإسلامية السياحية، سواء في القدس أو في عموم فلسطين، وفيما يلي صورة لتناول البرامج الفلسطينية للمدن والآثار والأقاليم[17]:

| المدن الفلسطينية | المقدسات والآثار السياحية | الشعارات الوطنية | أقاليم فلسطين |
|---|---|---|---|
| ذكر جميع مدن فلسطين التاريخية: حيفا وعكا والناصرة وصفد والنقب والخليل وأريحا ونابلس وغزة وطوباس وخليج العقبة وبيت لحم وطبريا والبحر الميت وجنين وسهل مرج ابن عامر وبئر السبع وسبسطية القدس ذكرت 49 وبعدها يافا 12 | إشارة إلى معظم المقدسات الإسلامية والمسيحية وتجاهل اليهودية: قبة الصخرة والمسجد القبلي وكنيسة القيامة وسور القدس وأحياء القدس والحرم الإبراهيمي وكنيسة المهد وكنيسة البشارة وسور عكا وقصر هشام ومسجد الجزار وجامع حسن بك والمسجد العمري حازت مقدسات القدس على الأولوية وخاصة قبة الصخرة | العلم الكوفية الدبكة | البحر الميت صحراء النقب سهل مرج ابن عامر |

17 المرجع نفسه

## 2. القدس في قانون التربية والتعليم الأردني

بالرجوع إلى قانون[18] التربية والتعليم بالمملكة الأردنية الهاشمية، ولاسيما المادة (3) حيث تم تقديم فلسفة التربية وأهدافها، والتي تنبثق من الدستور الأردني والحضارة العربية الإسلامية ومبادئ الثورة العربية الكبرى والتجربة الوطنية الأردنية، ومن أهم الأسس الفلسفية لهذه الفلسفة، وخصوصا الأسس الوطنية والقومية والإنسانية، نجد أن "الأردن جزء من الوطن العربي والشعب الأردني جزء لا يتجزأ من الأمة العربية والإسلامية"[19]، ومنها كذلك "التمسك بعروبة فلسطين وبجميع الأجزاء المغتصبة من الوطن العربي والعمل على استردادها"[20]، وتعتبر أن "القضية الفلسطينية قضية مصيرية للشعب الأردني، والعدوان الصهيوني على فلسطين تحد سياسي وعسكري وحضاري للأمة العربية الإسلامية بعامة والأردن بخاصة".

يتضح أن قانون التربية والتعليم الأردني يؤكد على عروبة فلسطين، إلا أن تخصيص مدينة القدس بالذكر لم يحصل، ويفسر الأكاديمي الأردني ذوقان اعبيدات الأسس الفلسفية ولا سيما الأسس القومية المتعلقة بالقضية الفلسطينية بقوله: "إن الاهتمام بتدريس القضية الفلسطينية في النظام التعليمي الأردني، كان موضع تجاذب بين اللجنة الملكية لشؤون القدس وبين وزارة التربية والتعليم ورئيس الوزراء، مشيرا أن تدريس القضية الفلسطينية والقدس لم ينقطع في

18 قانون التربية والتعليم رقم (3) لسنة 1994 وتعديلاته، المملكة الأردنية الهاشمية.
19 نفسه.
20 نفسه.

مدارس الأردن يوما، فقد اعتنت المناهج والكتب المدرسية بالموضوع باستمرار، باعتباره واحدا من أهم الأسس الوطنية والقومية والإنسانية التي بنيت عليها فلسفة التربية وأهدافها"[21].

### 3. القدس في المنهاج الدراسي اللبناني

تناولت العديد من الدراسات حضور فلسطين والقدس في البرنامج الدراسي اللبناني، ومن بينها؛ ما قدمه مجموعة من الباحثين[22] حول موضوع: " فلسطين في المنهج اللبناني للتربية الوطنية وكتب التاريخ"، من خلال تناول مادتين من بين المواد المدرسة بلبنان: التربية الوطنية والتاريخ، وقد خلصت هذه الدراسة إلى أنه في مادة التربية الوطنية " يغيِّب (أو لا يلحظ) أي تدرج في ذكر المصطلحات المتصلة بفلسطين ومقاومة الاحتلال. فهي تنعدم في أكثر الصفوف، ومحصورة في الصف الرابع والسادس أساسي والتاسع أساسي والمرحلة الثانوية. بيد أن هذه الفصول قد يلحظها التخفيف (أي إنها تحضر في المنهج المكتوب وتغيب عن المنهج المنفَّذ ومن ثم عن المنهج المقوَّم). وإن وجدت، فهي لا تتطرق إلى القضية الفلسطينية البتة، وجاءت عبارة "فلسطين" فقط كدولة عربية، لا ككيان خاضع للاحتلال أو يقاوم الاحتلال الإسرائيلي؛ ما

21 سعد الدين أسامة، تراجع القضية الفلسطينية في المناهج المدرسية العربية، موقع العربي الجديد www.alaraby.co.uk://https، بتاريخ 10 يونيو 2021.

22 بيوض بثينة وآخرون، فلسطين في المنهج اللبناني للتربية الوطنية والتاريخ، مجلة الآداب، al-adab.comhttps:// بتاريخ 10 يونيو 2021.

يفتح الباب أمام التطرق إليها من زاوية المنهج الخفي، بحسب أهواء كل المعلمين"[23].

وأما في مادة التاريخ فقد خلصت الدراسة على أنه "جرى تعليقُ "محور القضيّة الفلسطينيّة"، فغاب عن المنهج المنفَّذ والمقوَّم في الصفّ التاسع أساسيّ على مدى سنوات، ولغاية العام 2017. وقد برّر "المركزُ التربويُّ للبحوث والإنماء" (على لسان رئيسته بالتكليف) هذا التوجّهَ بورود "العديد من الملاحظات من جهاتٍ رسميّةٍ وخاصّة"، وبأنّ تدريسَ هذا المحور "يمكن أن يَطرح إشكاليّةً في المجتمع اللبنانيّ" مرتبطةً بقراءة الصراع الداخليّ اللبنانيّ أثناء الحرب الأهليّة وعدمِ وجود سرديّةٍ "متّفقٍ عليها وطنيًّا". لكنّ وزيرَ التربية مروان حمادّة في أيّار 2017 أصدر توجيهًا "بإعادة محور القضيّة الفلسطينيّة إلى منهج التاريخ للصف التاسع أساسيّ للعام الدراسيّ 2017 ـ 2018، وإلغاء كلّ قرار مخالف" كان قد صدر سابقًا؛ وقد جاء ذلك ردًّا على اللغط الذي حصل في موضوع تدريس القضيّة الفلسطينيّة، بعد أنْ كان الوزير السابق إلياس أبي صعب قد أعاد إدراجَ القضيّة الفلسطينيّة في المنهج، ثمّ عاد عن قراره مقِرًّا بعدم وجود مادّة تعليميّة مهيّأة لتدريس هذا الموضوع؛ فبقيت القضيّةُ الفلسطينيّة في المنهج المكتوب، ولكنّها حقيقة في المنهج الملغى، وغابت عن المنهج المقوّم، ويتفاوت ذكرُها بحسب كتب التدريس المعتمدة لتنفيذ المنهج

23 نفسه.

المعلَّم في المدارس "[24] هذه الدراسة تعطينا صورة حول حضور القضية الفلسطينية والقدس في البرنامج الدراسي اللبناني، بحيث تعرف غيابا ناتج عن مشاكل سياسية بين الطوائف والحساسيات السياسية. وأما القدس فإن حضوره بشكل جلي غير موجود، إلا ضمن سياق الحديث عن فلسطين.

خلاصة الأمر؛ تغيب مدينة القدس في كل المناهج الدراسية في الدول العربية والإسلامية بشكل مباشر، يكون أرضية قانونية ملزمة لمؤلفي البرامج الدراسية ودفاتر التحملات لتناول قضية القدس، بتاريخها وحضارتها وعدالة قضيتها، سواء في الدول التي أوردناها في هذه الدراسة، أو في التي تناولتها دراسات أخرى على غرار الدراسة الموسومة بـ: " تراجع القضية الفلسطينية في المناهج المدرسية العربية"[25]، والتي تناولت الدول التالية: سورية ومصر والعراق والجزائر وموريتانيا والإمارات وعمان وقطر والكويت.

**خامسا: حضور القدس في المنهاج الدراسي المغربي**

بعد تناول حضور مدينة القدس في المناهج الدراسية لبعض الدول العربية والإسلامية، نقف عند حضورها في المنهاج الدراسي المغربي باعتبارها حالة للدراسة؛ سنقوم بتتبع حضور القدس في المنهاج الدراسي من خلال النصوص القانونية المغربية المنظمة لمنظومة التربية والتكوين على مدى أكثر من عقدين:

24 نفسه.

25 سعد الدين أسامة، تراجع القضية الفلسطينية في المناهج المدرسية العربية، موقع العربي الجديد www.alaraby.co.uk://https، بتاريخ 10 يونيو 2021.

### 1. الميثاق الوطني للتربية والتكوين[26]

تناول الميثاق في باب المرتكزات الثابتة، نظام التربية والتكوين بالمملكة المغربية، وأكد على أنه "يهتدي بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها الرامية لتكون المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح، المتسم بالاعتدال والتسامح، الشغوف بطلب العلم والمعرفة، في أرحب آفاقهما، والمتوقد للاطلاع والإبداع، والمطبوع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج النافع؛ ويتأصل النظام التربوي في التراث الحضاري والثقافي للبلاد، بتنوع روافده الجهوية المتفاعلة والمتكاملة؛ ويستهدف حفظ هذا التراث وتجديده، وضمان الإشعاع المتواصل به لما يحمله من قيم خلقية وثقافية"[27]، وفي ذلك إشارة إلى أن المنهاج الدراسي المغربي مرتبط بقضايا العقيدة الإسلامية والتراث الحضاري والثقافي للمغرب، بما في ذلك مدينة القدس التي تعتبر أولى القبلتين وثاني الحرمين، وأهم العالم الحضارية التي دافع عنها المغرب منذ نشأة دولته.

### 2. الكتاب الأبيض

يعتبر الكتاب الأبيض[28] الوثيقة الرسمية التي تحدد تفاصيل المنهاج الدراسي المغربي الخاص بجميع المستويات الدراسية، وقد صدر سنة 2002،

26 الميثاق الوطني للتربية والتكوين، المملكة المغربية، 1999، وهو من أهم الوثائق التي تؤطر منظومة التربية والتكوين بالمغرب، وصدوره مرحلة فاصلة في تاريخ الإصلاحات، وقد اكتسى أهميته نظرا لاعتماده مقاربة جديدة ألا وهي المقاربة بالكفايات، في إطار تطوير بيداغوجية الأهداف التي كانت معتمدة قبل ذلك.

27 الميثاق الوطني للتربية والتكوين.

28 الكتاب الأبيض، المملكة المغربية، لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية للتعليم الابتدائي والثانوي الإعدادي والتأهيلي ربيع الأول 1423 يونيو 2002.

وهو بمثابة دفتر التحملات الواجب اتباعه في بناء وتأليف البرامج الدراسية المغربية.

من الاختيارات والتوجهات التربوية العامة التي حددها هذه الوثيقة نجد:

- المساهمة في تكوين شخصية مستقلة ومتوازنة ومتفتحة للمتعلم المغربي، تقوم على معرفة دينه وذاته، ولغته وتاريخ وطنه وتطورات مجتمعه؛
- إعداد المتعلم المغربي لتمثل واستيعاب إنتاجات الفكر الإنساني في مختلف تمظهراته ومستوياته، ولفهم تحولات الحضارات الإنسانية وتطورها؛

ومن الاختيارات والتوجهات في مجال القيم التي أشارت لها الوثيقة نجد: قيم العقيدة الإسلامية؛ قيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية؛ قيم المواطنة؛ قيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية.

كما تحدد هذه الوثيقة مواصفات المتعلمين في نهاية كل سلك:

| السلك الابتدائي | السلك الإعدادي | السلك التأهيلي |
|---|---|---|
| متشبثا بالقيم الدينية والخلقية والوطنية والإنسانية | مكتسبا للقدر الكافي من مفاهيم العقيدة الإسلامية، حسب ما يلائم مستواه العمري، ومتحليا بالأخلاق والآداب الإسلامية في حياته اليومية؛ | متشبعا بقيم الدين الإسلامي، ومعتزا بهويته الدينية والوطنية، محافظا على تراثه الحضاري، محصنا ضد كل أنواع الاستلاب الفكري؛ |

هكذا نجد أن هذه الوثيقة لم تشر صراحة إلى فلسطين أو القدس بشكل صريح، لكن يمكن استقراؤها ضمنيا من خلال دعوة المؤلفين لإعداد برامج دراسية تراعي جوانب لها علاقة بالقدس، باعتبارها مدينة ذات بعد ديني وحضاري وتاريخي في نفوس المغاربة، ولهذا تعتبر الإشارات الدينية والتاريخية والحضارية مدخلا لتناول هذه القضية، ومن هذه الإشارات التي ينبغي أن تعمل على بناء شخصية المتعلم(ة):

- المعرفة بالدين والتاريخ واللغة،
- استيعاب الفكر الإنساني وفهم التحولات الحضارية،
- التشبث بالقيم الإنسانية والحضارية.

وقد سار القانون الإطار[29] 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي على هذا المنوال، من خلال تناول هذه القضية تحت مظلة الأبعاد الدينية والحضارية والثقافية.

29 القانون الإطار 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، ففي 4 يناير 2018 صادق المجلس الحكومي على المشروع ليعرض على المجلس الوزاري الذي صادق عليه بتاريخ 20 غشت 2018، ثم أحيل على مجلس النواب يوم 5 شتنبر 2018، وتمت المصادقة عليه بتاريخ 22 يوليوز 2019، وصدر في ظهير بتاريخ 9 غشت 2019، ونشر بالجريدة الرسمية بتاريخ 9 غشت 2019.

**خلاصات وتوصيات:**

## 1. خلاصة حضور القدس في المنهاج الدراسي المغربي

- لم تذكر مدينة القدس بشكل صريح في النصوص القانونية والتشريعية التي يقوم عليها المنهاج الدراسي المغربي،
- يتم الاهتمام بالقدس في المنهاج الدراسي المغربي من مداخل:

✓ القدس أولى القبلتين وثاني الحرمين، فهو من صميم ديننا الإسلامي، وكل الوثائق تدعو منظومة التربية والتكوين للاهتداء بمبادئ الدين الإسلامي،

✓ القدس من ضمن التراث الحضاري والثقافي للمغرب، وكل الوثائق تدعو منظومة التربية والتكوين للانطلاق من التراث الحضاري والثقافي للمغرب،

✓ القدس تشكل ركنا أساسيا في البعد التاريخي للمغرب،

- الاهتمام بالعنصر العبري في البرامج الدراسية هو اهتمام بالعنصر اليهودي المغربي، ولا علاقة للأمر بالكيان الصهيوني، ولا يهدد مكانة القدس الاعتبارية في نفوس الناشئة.

## 2. توصيات عامة

✓ التمكين لقضية القدس في نفس وفكر المواطنات والمواطنين من خلال دسترتها باعتبارها قضية لجميع المؤمنين بها،

✓ التمكين لقضية القدس من خلال إقرارها في قوانين منظومات التربية والتكوين وبرمجتها في المناهج والمقررات الدراسية في جميع أسلاك التعليم،

✓ تشجيع حركة البحث العلمي في المناهج الدراسية حول مدينة القدس،

- ✓ دعم تنزيل المناهج والمقررات الدراسية المدرسة بمدينة القدس بما يحفظ الحقائق التاريخية والدينية للمدينة،
- ✓ دعم التبادل الثقافي والفكري والزيارات والمخيمات بين التلاميذ (ات) المقدسيين وتلاميذ (ات) العالم الملتزم بالقضية والمنصف لها.

## قائمة المصادر والمراجع:


- **القرآن الكريم.**
- **نصوص قانونية**

1. دستور المملكة المغربية، 2011، ينفذ بظهير شريف رقم 1.11.91 بتاريخ 29 يوليوز 2011.
2. دستور المملكة الهاشمية الأردنية وفق تعديلات 2011، منشور بالجريدة الرسمية تحت رقم 5117 بتاريخ 01 تشرين أول 2011.
3. دستور فلسطين وفق آخر تعديلات بتاريخ 4 مايو 2003 (مسودة).
4. القانون الإطار 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي.
5. قانون التربية في العدد (132) من الوقائع الفلسطينية تحت اسم قرار بقانون رقم (8) لسنة 2017م، بشأن التربية والتعليم العام.
6. قانون التربية والتعليم رقم (3) لسنة 1994 وتعديلاته، المملكة الأردنية الهاشمية.
7. الكتاب الأبيض، المملكة المغربية، لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية للتعليم الابتدائي والثانوي الإعدادي والتأهيلي ربيع الأول 1423 يونيو 2002.
8. الميثاق الوطني للتربية والتكوين، المملكة المغربية، 1999.

- **مصادر ومراجع**

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1429هـ /2008.

2. بيوض بثينة وآخرون، فلسطين في المنهج اللبناني للتربية الوطنية والتاريخ، مجلة الآداب، al-adab.comhttps:// بتاريخ 10 يونيو 2021.

3. الجعبري طارق عبد الفتاح، واقع المنهاج الفلسطيني في تعزيز الصورة الذهنية للوطن: دراسة استقصائية تحليلية في منهاج التربية الوطنية في المرحلة الأساسية جامعة شمال ماليزيا– الموقع الإلكتروني:

p=56940https://democraticac.de/? بتاريخ 10 يونيو 2021.

4. سعد الدين أسامة، تراجع القضية الفلسطينية في المناهج المدرسية العربية، موقع العربي الجديد www.alaraby.co.uk://https، بتاريخ 10 يونيو 2021.

5. الطبري، تفسير الطبري، موقع جامعة الملك سعود https://quran.ksu.edu.sa/.

6. الفيروزبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، 2008.

7. هارفارد بزنس ريفيو، ما تعريف التمكين؟، المفاهيم الإدارية، موقع:

https://hbrarabic.com بتاريخ 10 يونيو 2021.

**الحمد لله على التمام**

**﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**

**صدق الله العظيم**